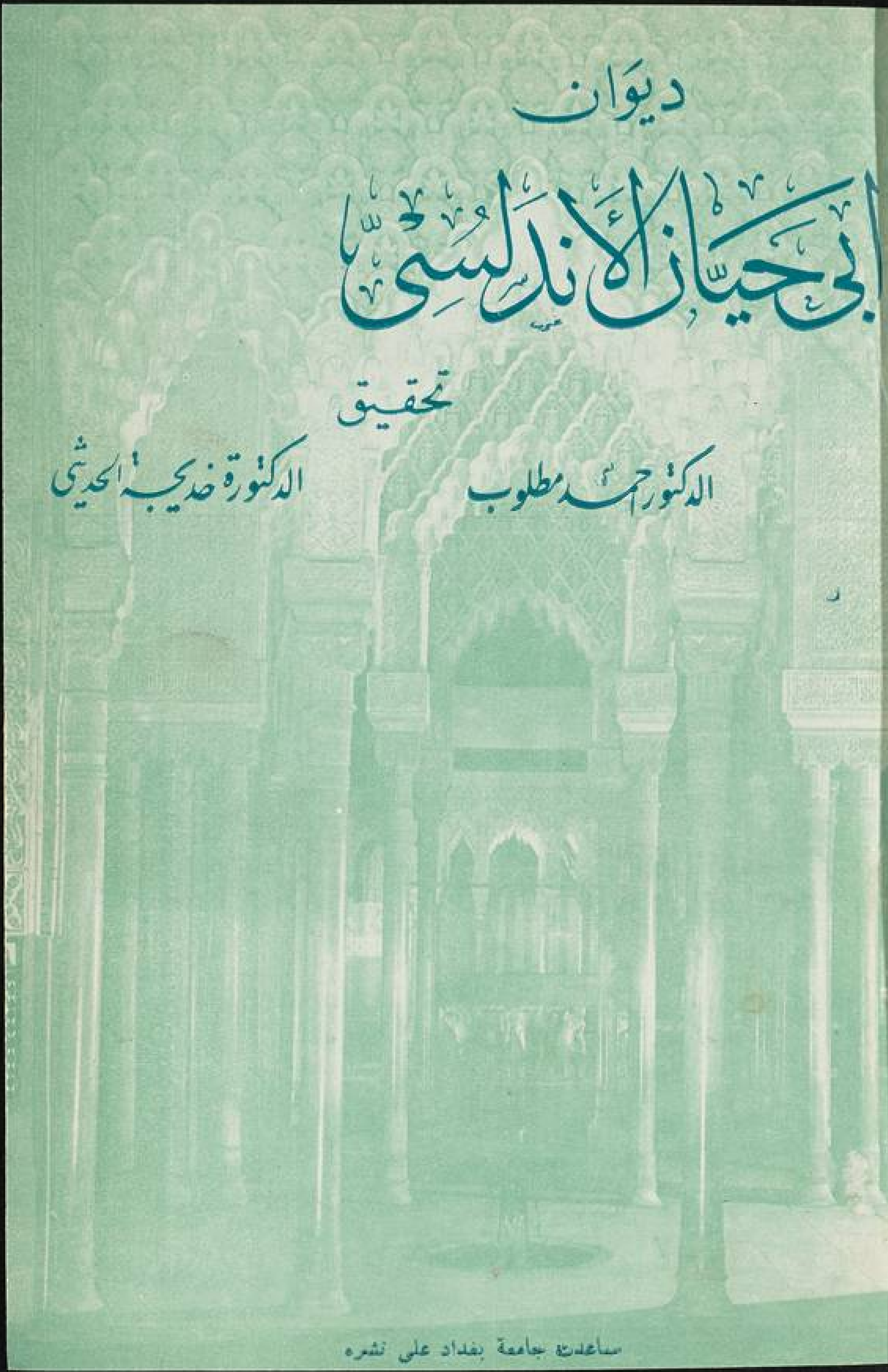


ديوان
أبي حيان الأندلسي

تحقيق

الدكتور أحمد مطلوب
الدكتورة خديجة الحديثي

ساعدت جامعة بغداد على نشره

ديوان

أبي حيان الأندلسي

ديوان
أبي حيان الأندلسي

تحقيق

الدكتور أحمد مطلوب   الدكتورة خديجة الحديثي

ساعدت جامعة بغداد على نشره

الطبعة الاولى

١٣٨٨هـ ـ ١٩٦٩

مطبعة العاني ـ بغداد

عِداتي لهم فضْلٌ عليَّ ومِنَّةٌ

فلا أذْهَبَ الرحمنُ عني الأعاديا

هُمُ بحثوا عن زلّتي فاجْتَنَبْتُها

وهم نافَسُوني فاكْتَسَبْتُ المعاليا

أبو حيّان

مكتبـة

أبي حيان الأندلسي

١ ـ من شعر أبي حيـان الاندلسي . جمعه وحققه الدكتور أحمـد مطلـوب والدكتـورة خديجـة الحديثي (بغداد ١٩٦٦) .

٢ ـ ديوان أبي حيان الاندلسي . تحقيق الدكتور احمـد مطلـوب والدكتـورة خديجـة الحديثي (بغداد ١٩٦٩) .

٣ ـ تحفة الأريب بما في القرآن من الغريب لابي حيان الاندلسي . تحقيق الدكتـور احمـد مطلـوب والدكتورة خديجة الحديثي (قريبا) .

بسم الله الرحمن الرحيم

مُقدّمة

أبو حيـان الأندلسي أحد الأفذاذ الذين خلّدهم التأريخ بأسفارهم العظيمة ومؤلفاتهم النافعة ، كان مفسراً كبيراً ونحوياً بارعاً واستاذاً قديراً شهد له ائمة عصره وزها بعلمه تلاميذه وأصحابه . وقد اشتهر بالنحو حتى كاد هذا العلم يطغى على علومه الاخرى وفنونه المختلفة ، وكان اذا ذكر اسمه قيل : « أبو حيان النحوي » .

وحينما شرعنا باصدار « مكتبة أبي حيان الاندلسي » كان أول مـا فكرنا به جمع شعره المتناثر في الكتب ، وقد تيسر لنا ذلك وبلغ ما جمعناه أربعاً وتسعين قصيدة وموشحاً ومقطوعة ، وسميناه : « من شعر أبي حيان الاندلسي » ؛ لاننا كنا نؤمن بأنّ هذا ليس كل شعر الرجل ، وبأنّ ديوانه الذي أشار اليه القدماء لابدّ أنْ تظهره الأيام . وقد صدق ما توقعناه فما ان انتهينا من طبع شعره حتى عثرنا على ديوانه ، وهو من المخطوطات النادرة التي عُثِرَ عليها في مكتبة « وزان » بالمغرب ، وحفظت صورتها في معهـد المخطوطات بجامعة الدول العربية في القاهرة . وكان هذا أملاً عظيماً رفّ بعد أن يئسنا من العثور على الديوان ، وأمنية طالما داعبت أحلامنا منـذ عهد بعيد .

وديوان أبي حيان الجديد في مائة وسبع وثمانين صفحة من القطـع المتوسط ، وقد كتب بخط مشـرقي واضح ولكنه لا يخلـو من تصحيف وتحريـف ، وفيه مائتان وتسع وأربعون قصـيدة ومقطوعة بحثنا عنهـا في

المظان القديمة فلم نعثر إلا على تسع وعشرين منها ، أما القصائد والموشحان والمقطوعات الأُخر التي ذكرناها في « من شعر أبي حيان » فلم نجد لها أثراً في الديوان ، ولعل جامعه أسقطها لسبب من الأسباب او غفل عن ذكرها لأمر من الأمور .

ولم يكن من الاخلاص في العمل ان نهمل هذا الشعر الكثير الذي فيه الجيد والرائع ، وفيه الموشحان اللذان خلا منهما الديوان ، فالحقناه ليكون تكملة للديوان الذي يطبع أول مرة .

وبعد أنْ تمت مطابقة شعر الديوان بما وجدناه في الكتب ، وبعد أن خَرَّجْنا ما عثرنا عليه ، قمنا بتعريف الأعلام الواردة فيه ، وشَرْح الألفاظ الغريبة وهي قليلة ، لانّ شعر أبي حيان من السهل القريب ، وهو شعر يمثل القرنين السابع والثامن الهجريين وهما قرنان جنح فيهما الشعراء الى اللغة الواضحة والتعبيرات الشائعة مما لا يحتاج الى تنقير في كتب اللغة أَوْ كَدٍّ للأذهان .

وكان لابدّ أن تسبق الديوان مقدمة ضافية تترجم لأبي حيان وتلقي ضوءاً على شعره ليطلع القارىء على سيرة هذا الرجل الفذ ويعرف سمات شعره وفنونه . وبذلك ضم كتابنا الذي نخرجه اليوم ثلاثة أقسام :

القسم الأول : تحدثنا فيه عن سيرة أبي حيان وشعره .

القسم الثاني : ديوان أبي حيان .

القسم الثالث : تكملة الديوان .

وبعد ، فهذا هو الكتاب الثاني من « مكتبة أبي حيان الأندلسي » نقدمه للباحثين وعشاق الأدب ، واللهَ نسأل أن يوفقنا في اخراج الكتب الاخرى ، انه سميع مجيب .

الجمعة ١٣ شوال ١٣٨٨هـ
اول كانون الثاني ١٩٦٩م

الدكتور احمد مطلوب
كلية الآداب ـ جامعة بغداد

أبو حيان

حياته وآثاره

وشعره

الفصل الأول

أبو حيّـــان

للدكتورة خديجة الحديثي

حيـاته :

هو محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان الغرناطي ، أثير الدين أبو حيان الاندلسي الجياني النفزي[1] ٠

ولد في غرناطة ، ولكن بعضهم يذكر انه ولد في « مطخشارش[2] » ٠ ويبدو ان مطخشارش ليست مدينة مستقلة بذاتها ، وانما هي حي من أحياء غرناطة أو ضاحية من ضواحيها ، يقول المقري مناقشا الصفدي : « وما ذكره ـ رحمه الله تعالى ـ في موضع ولادة أبي حيان غير مخالف لما ذكره في الوافي انه ولد بغرناطة ٠ الا ان قوله : « بمدينة مطخشارش » فيه نظر ،

---

(١) ينظر الوافي بالوفيات ، وأعيان العصر واعوان النصر ج٧ ، ونكت الهميان ص ٢٨٠ ، وغاية النهاية ج ٢ ص ٢٨٥ ، والدرر الكامنة ج٤ ص٣٠٢ ، وبغية الوعاة ج١ ص٢٨٠ ، وتاريخ ابن الوردي ج٣ ص٣٣٩ ، وشذرات الذهب ج٦ ص١٤٥ ، وطبقات الشافعية للاسنوي ص٩٧ ٠

(٢) ينظر اعيان العصر ج٧ ، وبغية الوعاة ج١ ص٢٨٠ ، وطبقات الشافعية الكبرى ج٦ ص٣٢ ، وشذرات الذهب ج٦ ص١٤٥ ٠

لانه يقتضي انها مدينة ، وليس كذلك وانما هي موضع بغرناطة ، ولذا قال الرعيني : ان مولد أبي حيان بمطخشارش من غرناطة » • وهو صريح في المراد ، وصاحب البيت أدرى بالذي فيه ، على أنه يمكن ان يرد كلام الصفدي لذلك[1] » •

ومهما يكن من شيء فلم يكن لمطخشارش أثر في ابي حيان ، ولم يعْلَق به اسم هذه المدينة أو الضاحية ، وبقيت غرناطة عالقة باسمه حتى اليوم •

وكان مولده في العشر الاخير من شوال سنة ٦٥٤هـ (١٢٥٦م)[2] ، ولكن بعضهم يذكر انه ولد في آخر شوال سنة ٦٥٢هـ[3] •

وليس في المصادر التي بأيدينا ما يشير الى أبيه أو أفراد اسرته ، ويبدو أن أباه لم يكن من ذوي السلطان ولا من ذوي العلم والمكانة الاجتماعية المرموقة ليذكر وتتناقل أخباره الكتب والرواة • وتذكر المصادر أن أبا حيان تلقى علومه الاولى في مسقط رأسه « غرناطة » على شيوخ عصره • وأغلب الظن انه ابتدأ بدراسة القرآن الكريم والحديث الشريف وعلوم اللغة العربية • وكانت اول قراءته سنة ٦٧٠هـ ، قرأ السبع ببلده على عبدالحق بن علي بن عبدالله الانصاري ، وأحمد بن علي بن محمد بن الطباع ، وأبي جعفر احمد بن ابراهيم بن الزبير ، وغيرهم من الاعلام[4] •

ولم يطل المقام بأبي حيان في الاندلس فغادرها سنة ٦٧٨هـ أو سنة ٦٧٩هـ ، ضاربا في عرض البلاد وطولها حتى استقر المقام به في القاهرة عاصمة العالم الاسلامي يومذاك • وكانت مصر يوم دخلها تحت ظل المماليك البحرية الذين استطاعوا ان يصدوا هجمات المغول عن مصر والشام وان

---

(١) نفح الطيب ج٣ ص٣١٤ •
(٢) تنظر المصادر السابقة •
(٣) التعليقات السنية على الفوائد البهية ص١٩٥ •
(٤) ينظر غاية النهاية ج٢ ص٢٨٥ ، وبغية الوعاة ج١ ص٢٨٠ ، والدرر الكامنة ج٤ ص٣٠٢ ، وتذكرة الحفاظ ج٤ ص٢٦٥ ، وشذرات الذهب ج٦ ص١٤٦ •

يؤسسوا من الاقليمين العربيين دولة لعبت دوراً كبيرا في الحفاظ على التراث الاسلامي العربي •

وفي هذه البيئة استقر أبو حيان وتفاعل معها ، وكتب وألف كتبا كثيرة في الدراسات القرآنية واللغوية والنحوية • ورأى في مصر موطن أحلامه وآماله ، فالقى بها عصا الترحال ، يقول واصفا حاله فيها : « فكم صدر أودعت علمه صدري ، وحبر أفنيت في فوائـده حبري • وامام أكثرت به الالمام ، وعلاّم اطلت معه الاستعلام • أشنف المسامع بما تحسد عليه العيون ، وأذيب في تطلاب ذلك المال المصون • وارتع في رياض وارفة الضلال ، وأكرع في حياض صافية السلسال • واقتبس من أنوارهم ، واقتطف من ازهارهم • وابتلج من صفحاتهم ، وأتأرج من نفحاتهم ، فجعلت العلم بالنهار سحيري ، وبالليل سميري • زمان يقصر ساريه على الصبا ، ويهب للهو ولا كهبوب الصبَّا • ويرفل في مطارف اللهو ، ويتقمص اردية الزهو • ويؤثر مسرات الاشباح على لذات الارواح • ويقطع نفائس الاوقات في خسائس الشهوات • من مطعم شهي ، ومشرب روي ، وملبس بهي ، ومركب حظي ، ومفرش وطي ، ومنصب سني • وأنا أتوسد أبواب العلماء ، واتقصد أماثل الفهماء • وأسهر في حنادس الظلام ، وأصبر على شظف الايام • وأوثر العلم على الاهل والمال والولد ، وارتحل من بلد الى بلد • حتى ألقيت بمصر عصا التسيار ، وقلت : ما بعد عبادان من دار »[١] •

واستوطن أبو حيان القاهرة بعد حجه ، وأنشد لشيخه أبي الحسن الزجاج :

رضيت كفافي رتبـةً ومعيشةً
فلست اسامي موسراً ووجيها

ومن جرَّ أثوابَ الزمان طويلةً
فلابُدَّ يوماً أنْ سيعثر فيها

---

(١) البحر المحيط ج١ ص٤ •

وأنشد لموسى بن أبي تليد :

حالي مع الدهر في تقلبه
كطائر ضم رِجْلَهُ شَرَكُ
فهمُّه في خلاص مهجته
يروم تخليصها فتشتبك[1]

ولقي أبو حيان حظوة من لدن سلاطين مصر وامرائها وحكامها ، فعين مدرسا في مدارس القاهرة ، وأصبح مدرسا للنحو في جامع الحاكم سنة ٧٠٤هـ ، وتولى تدريس التفسير[2] . وأصبح منذ سنة ٧١٠هـ مدرسا للتفسير في قبَّة السلطان الملك المنصور في عهد السلطان القاهر الملك الناصر[3] . وتولى منصب الاقراء بجامع الأقمر أحد جوامع العصر الفاطمي ، وكان قد خلف مشيخة محمد بن النحاس في استاذية النحو[4] .

وكان لابي حيان خصوصية بالامير سيف الدين أراغون النائب الناصري ينبسط معه ، ولما توفيت ابنته « نضار » طلع الى السلطان الملك الناصر ، وسأل منه ان يدفنها في بيته داخل القاهرة في البرقوقية ، فاذن له[5] .

وتنقل أبو حيان بعد ذلك في بلاد عدة ، فذهب الى مكة المكرمة ، ولقي فيها أبا الحسن علي بن صالح الحسيني[6] . وذهب الى الشام ، ولا ندري ماذا فعل هناك وبمن اتصل ؟ ولكن ابن قطلوبغا يقول في ترجمة احمد بن علي فخر الدين الشهير بابن الفصيح (٧٥٥هـ) : « كتب اليه الشيخ

---

(١) نفح الطيب ج٣ ص٣٢٠ .
(٢) ينظر البداية والنهاية ج١٤ ص٣٣ .
(٣) ينظر البحر المحيط ج١ ص٣ .
(٤) ينظر شذرات الذهب ج٦ ص١٤٦ ، وخطط المقريزي ج٢ ص ٢٧٨ .
(٥) الوافي بالوفيات ، ونكت الهميان ص ٢٨١ ، ونفح الطيب ج٣ ص٢٩٥ ، والدرر الكامنة ج١ ص٣٥٢ .
(٦) ينظر طبقات الشافعية الكبرى ج٦ ص٣٢ .

أثيرالدين أبو حيان لما قدم دمشق قصيدا منها :

شرف الشام واستنارت رباه

بامام الائمة ابن الفصيح

كل يوم له دروس علوم

بلسان عذب وفكر صحيح [١]

واستقر أبو حيان في القاهرة يدرّس ويؤلف ، ولا نعرف كيف قضى حياته الاخيرة ، وان كنا نستطيع أن نقول انه انصرف انصرافا تاما الى البحث والتأليف ، فاخرج كتبا في علوم شتى ما تزال تشهد على مقدرته وسعة اطلاعه •

وشاء الله ان يختم أبو حيان حياته في القاهرة فتوفي ــ رحمه الله تعالى ــ بمنزله خارج باب البحر في يوم السبت بعد العصر ، الثامن والعشرين من صفر سنة ٧٤٥هـ (١١ تموز سنة ١٣٤٥م) • ودفن من الغد بمقبرة الصوفية خارج باب النصر ، وصلي عليه في الجامع الاموي بدمشق صلاة الغائب في شهر ربيع الاخر[٢] • وكان قد أضر قبل موته بقليل ، ولذلك ذكره الصفدي فى كتاب « نكت الهميان فى نكت العميان » •

وذكر الأسنوي في طبقاته أنه توفي عشية يوم السبت السابع والعشرين من صفر سنة خمس واربعين وسبعمائة بمنزله خارج باب البحر ، ودفن من الغد خارج باب النصر بتربة الصوفية •

وقال : « وأنا كثير الزيارة له ، لانه مجاور لقبر والدتي وأخيها ــ رحمهما الله تعالى ــ ولقبر ولدي أيضا »[٣] •

---

(١) ينظر تاج التراجم في طبقات الحنفية ص١٣ •

(٢) ينظر الوافي بالوفيات ، ونكت الهميان ص ٢٨٤ ، وطبقات الشافعية ج٦ ص٣٣ ، واعيان العصر ج٧ ، ونفح الطيب ج٣ ص٣٩٢ ، وشذرات الذهب ج٦ ص١٤٧ ، والمنهل الصافي ج٣ ص٣٢٦ب ، وحسن المحاضرة ج١ ص٣٠٨ وبغية الوعاة ج١ ص٢٨٣ ، وغيرها •

(٣) طبقات الشافعية للاسنوي ص٩٧ •

وذكر الجزري انه دفن بتربته بالبرقية[١] .

ويرى بعضهم انه توفي سنة ٧٤٣هـ ، يقول المقري : « وما وقع في كلام كثير من أهل المغرب أن ابا حيان توفي سنة ثلاث واربعين وسبعمائة غير ظاهر ، لان أهل المشرق اعرف بذلك اذ توفي عندهم . وقد تقدم انه توفي سنة خمس وأربعين وسبعمائة ، فعلى كلام أهل المشرق في هذا المعول والله أعلم »[٢] .

ويذكر ابن اياس انه توفي سنة ٧٥٣هـ ، يقول : ثم دخلت سـنة ثلاث وخمسين وسبعمائة ، وتوفي في هذه السنة الشيخ شمس الدين الذهبي المؤرخ ، وتوفي الشيخ أثير الدين أبو حيان المغربي »[٣] .

وكان لموت أبي حيان أثر بالغ، فحزن عليه الناس واصدقاؤه وتلاميذه، ونظموا في رثائه القصائد . ومن أشهر ما قيل فيه قصيدة تلميذه صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي ، وهي :

مـات أثيرُ الدين خيرُ الورى
فاسـتعر البـارقُ واسـتعبرا
ورَقَّ من حزْنٍ نسيمُ الصَّبا
واعتلَّ في الاسحارِ لمَّا سرى
وصادحاتُ الأيكِ في دَوْحها
رثته في السجع على حَرْفِ را
يا عينُ جودي بالدموع التي
تروي بها ما ضَمَّهُ من ثرى

---

(١) ينظر غاية النهاية في طبقات القراء ج٢ ص٢٨٦ .
(٢) نفح الطيب ج٣ ص٣١٥ .
(٣) بدائع الزهور ج١ ص١٩٩ .

واجري دماً فالخطب في شأنه

قد اقتضى أَكْثَرَ مما جرى

مات إِمامٌ كان في علمه

يرى أَماماً والورى من ورا

أمسى منادَى للبلى مفرداً

فضمه القبرُ على ما ترى

يا أسفاً كان هُدًى ظاهراً

فعاد في تربته مُضْمرا

وكان جمع الفضل في عصره

صَحَّ فلما أَنْ قضى كُسِّرا

وعُرِّفَ العلم به برهةً

والآن لما أَنْ مضى نُكِّرا

وكان ممنوعا من الصرف لا

يطرق من وافاه خطبٌ عرا

لا أفعل التفضيل ما بينه

وبين من أعرفه في الورى

لا بَدَلٌ عن نعته بالتقى

ففعله كان له مصدرا

لم يدّغم في اللحد الا وقد

فك من الصبر وثيق العُرى

بكى لـه عمـرو وزيد فمن
أمثلـة النحـو وممن قـرا
ما أعقـدَ التسهيلَ من بعـده
فكم له من عُسرةٍ يسَّرا[1]
وجَسَّرَ الناسَ على خوضـه
إذْ كان في النحو قد استبحرا
من بعـده قـد حـال تمييزُه
وحظه قـد رجـع القَهْقَرَى
شارك من قد ساد في فنـه
وكم لـه فـن به اسـتأثرا
دأْبُ بني الآداب ان يغسلوا
بدمعهم فيـه بقـايا الـكرى
والنحـو قد سار الردى نَحْوَهُ
والصرف للتصريف قد غيِّرا
واللغة الفُصحى غدت بعـده
يلغى الذي في ضبطها قـررا
تفسيره « البحر المحيط » الذي
يهـدي الى وارده الجـوهرا

---

(١) التسهيل : كتاب ابن مالك ، وقد شرحه أبو حيان .

فـوائــد في فضلــه جمــة
عليه فيهــا نعقـد الخنصـرا
وكان ثبتــاً نقلــه حجــة
مثـل ضيـاء الصبح إذْ أسْفَرا
ورحلــة في سُنَّةِ المصطفى
أَصدق من يسمع ان خَبّرا
لـه الأسانيد التي قـد علت
فاستفلت عنها سوامي الذرى
ساوى بها الاحفاد أجدادهـم
فاعجب لماضٍ فاته من طرا
وشــاعراً في نظمــه مفلقــا
كم حرر اللفظ وكم حَبّرا
لـه معــانٍ كلمـا خَطّهــا
تستر ما يرقـم في تســترا
أفديه من ماضٍ لأَمْر الردى
مستقَبلاً من ربــه بالقِرى
مــا بات في أبيض أكفــانه
الا واضحى سُنْدُساً أَخْضَــرا
تصــافح الحــور له راحــةً
كم تعبت في كل ما سَطَّرا

إنْ مات فالذكر له خالدٌ

يحيا به من قبل أن يقبرا

جاد ثرًى واراه غيث اذا

مسّاه بالسقيا له بكرا

وخصّه من ربه رحمةٌ

تورده في حشره الكوثرا[1]

أما أسرة أبي حيان ، فكانت زوجه زمردة بنت أبرق أم ولده حيان ، وقد أسمعها الكثير على الابرقوهي وغيره ، وحدثت ، وسمع منها البرزالي • وماتت في ربيع الاول سنة ٧٣٦هـ • وكانت تكنى « أم حيان » ، وهي والدة نضار ابنته[2] •

وكان حيان ولده الكبير ، أسمعه والده من ابن الصواف وابن مخلف، وتلا بالسبع على أبيه ، وأجاز له وقرأ عليه معظم كتبه ومنها كتابه « غاية الاحسان في علم اللسان » •

وأجاز لحيان جماعة غير والده منهم : محمد بن احمد بن عبدالخالق ابن علي بن سالم بن مكي المصري الشيخ تقيالدين بن الصائغ (٧٢٥هـ)[3] • وقد حدّث حيان ومات في أواخر شهر رجب سنة ٧٦٤هـ •

وكان لحيان ولد هو أبو حيان محمد بن حيان بن أبي حيان • أخذ العلم عن جده أبي حيان[4] •

ولابي حيان ابنة كان يحبها كثيرا هي « نضار » أم العز • ولدت في

---

(١) الوافي بالوفيات ، واعيان العصر ج٧ ، ونكت الهميان ص٢٨٤ • وبغية الوعاة ج١ ص٢٨٣ ـ ٢٨٥ ، ونفح الطيب ج٣ ص٢٩٢ ، وحسن المحاضرة ج١ ص٣٠٨ •

(٢) ينظر الدرر الكامنة ج٢ ص١١٦ •

(٣) ينظر الدرر الكامنة ج٣ ص٣٢١ •

(٤) ينظر الدرر الكامنة ج٤ ص٣١٠ •

جمادى الاخرة سنة ٧٠٢هـ ، وأجاز لها أبو جعفر بن الزبير ، وحضرت على الدمياطي ، وسمعت من شيوخ مصر ، وحفظت مقدمة في النحو ، وخرجت لنفسها جزءاً من الاحاديث ، ونظمت شعراً ، وكانت تعرب جيداً ، وكان أبوها يقول : « ليت اخاها حيان مثلها » . ماتت في جمادى الآخرة سنة ٧٣٠هـ ، فحزن والدها عليها حزنا عظيما ورثاها بقصائد كثيرة ، وجمع فيها جزءاً سماه : « النضار في المسلاة عن نضار » . كتب عنها البدر النابلسي فقال : « الفاضلة الكاتبة ، الفصيحة ، الخاشعة ، الناسكة . وكانت تفوق كثيرا من الرجال في العبادة والفقه ، مع الجمال التام والظرف »[1] . قال الصفدي تلميذ أبيها في رثائها :

بكينا باللجين على نُضَار
فسيلُ الدمع في الخدين جارِ
فيا للهِ جارية تولّت
فنبكيها بأدمعنا الجواري[2]

صفاته واخلاقه :

كان أبو حيان شيخا حسن العمة ، مليح الوجه ، ظاهر اللون ، مشرباً حمرة ، منور الشيبة ، كبير اللحية ، مسترسل الشعر فيها . وكانت عبارته فصيحة بلغة أهل الاندلس ويعقد القاف قريبا من الكاف ، على انه ينطق بها في القرآن فصيحة[3] .

وذكره الرعيني فقال : « وهو شيخ فاضل ما رأيت مثله ، كثير الضحك

---

(١) الدرر الكامنة ج٤ ص٣٩٥ ، وينظر نفح الطيب ج٣ ص٣١٥ .
(٢) اعيان العصر ج٧ ، ونفح الطيب ج٣ ص٣١٥ .
(٣) ينظر الوافي بالوفيات ، واعيان العصر ج٧ ، ونكت الهميان ص٢٨١ ، والمنهل الصافي ج٣ ص٣٢٢ ، والدرر الكامنة ج٤ ص٣٠٧ ، ونفح الطيب ج٣ ص٢٩٥ ، وشذرات الذهب ج٦ ص١٤٦ .

والانبساط ، بعيد عن الانقباظ ، جيد الكلام ، حسن اللقاء ، جميل المؤانسة ، فصيح الكلام ، طلق اللسان ، ذو لمة وافرة ، وهمه فاخرة ، وله وجه مستدير ، وقامته معتدلة التقدير ، ليس بالطويل ولا بالقصير »[١] •

وكان ثقة عادلا ، ولعل هذه الصفات الحيدة هي التي حببته الى الناس ، وجعلتهم يخالطونه ويجتمعون به •

وأمتاز أبو حيان بحسن دينه وعقيدته ، وكان لا يتعاطى الخمرة والمخدرات ، ولا يلعب النرد والشطرنج ، لانه يراها محرمة • يقول عن المخدرات : « واما المخدرات كالبنج والسيكران واللفاح وورق القنب المسمى بالحشيشة فلم يصرح فيها أهل العلم بالتحريم ، وهي عندي الى التحريم أقرب لانها ان كانت مسكرة فهي محرمة بقوله صلى الله عليه وسلم: « ما أسكر كثيره فقليله حرام »[٢] • ويقول في تفسير قوله تعالى : « انما الخمر والميسر والانصاب والازلام ••• »[٣] :

« وقد شاهدنا من يلعب بالنرد والشطرنج ، ويجري بينهم من اللجاج والحلف الكاذب واخراج الصلاة عن أوقاتها ما يربأ المسلم عنه بنفسه • هذا ، وهم يلعبون بغير جعل شيء لمن غلب ، فكيف حالهم اذا لعبوا على شيء فأخذه الغالب ؟ »[٤] •

وكان عفيف النفس أبياً لا يطمع في شيء غير تلاوة القرآن والاعمال الصالحة • وكان فيه خشوع يبكي اذا سمع القرآن الكريم ، ويجري دمعه اذا سمع أشعار الغزل والحماسة •

وكان عظيم التقدير للطلبة الاذكياء ، وكان يقبل عليهم ويعظمهم وينوه بقدرهم • ولعل هذا يرجع الى ذكائه وفطنته فقد اشتهر بهذه الصفة واثنى عليه الناس • يقول لسان الدين بن الخطيب : « كان أثير الدين أبو حيان

---

(١) نفح الطيب ج٣ ص٣٢١ •
(٢) البحر المحيط ج٤ ص٢٤٢ •
(٣) سورة المائدة الآية ٩٠ •
(٤) البحر المحيط ج٤ ص١٤ •

نسيج وحده في ثقوب الذهن وصحة الادراك والاطلاع بعلم العربية والتفسير »[1] •

وكان مع فضله - يسخر بالفضلاء من أهل مصر ويستهزيء بهم ، ولكنهم كانوا يحتملونه لحقوق اشتغالهم عليه ، وكان يقول عن نفسه : « أنا أبو حيَّات » بالتاء - يعني بعض تلاميذه[2] •

ولعل وصية أبي حيان الى أهله حينما قدم مصر ، خير ما يصور أخلاقه ونظرته الى الحياة وسيرته فيها ، وتدفع عنه ما اتهم به من طعن في الناس واتهامهم باطلا • يقول :

« ينبغي للعاقل ان يعامل كل أحد في الظاهر معاملة الصديق ، وفي الباطن معاملة العدو في التحفظ والتحرز ، وليكن في التحرز من صديقه أشد في التحرز من عدوه • وان يعتقد ان احسان شخص الى آخر وتودده اليه انما هو لغرض قام له فيه يتعلق به ، يبعثه على ذلك لا لذات ذلك الشخص • وينبغي ان يترك الانسان الكلام في ستة أشياء : في ذات الله تعالى وما يتعلق بصفاته ، وما يتعلق بأحوال أنبيائه - صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين - وفي التعرض أيضا لائمة المذاهب - رحمهم الله تعالى ورضي عنهم - وفي الطعن على صالحي الامة - نفع الله بهم - وعلى أرباب المناصب والرتب من أهل زمانهم ، وان لا يقصد أذى أحد من خلق الله - سبحانه وتعالى - الا على حساب الدفع عن نفسه ، وان يعذر الناس في مباحثهم وادراكاتهم ، فان ذلك على حسب عقولهم ، وان يضبط نفسه عن المراد والاستهزاء والاستخفاف بابناء زمانه ، وان لا يبحث الا مع من اجتمعت فيه شرائط الديانة والفهم والمزاولة لما يبحث ، وان لا يغضب على من لا يفهم مراده ومن لم يدرك ما يدركه ، وان يلتمس مخرجا لمن ظاهر كلامه الفساد ، وان لا يقدم على تخطئة ببادي الرأي ، وان يترك الخوض في

(١) نفح الطيب ج١ ص٣٣٧ •

(٢) ينظر تاريخ أبي الفدا ج٤ ص١٤٢ ، وتاريخ ابن الوردي ج٢ ص٣٣٩ •

علوم الاوائل ، وان يجعل اشتغاله بعلوم الشريعة ، ولا ينكر على الفقراء وليسلم لهم أموالهم .

وينبغي للعاقل ان يلزم نفسه التواضع لعبيد الله ـ سبحانه وتعالى ـ وان يجعل نصب عينيه أنه عاجز مفتقر ، وان لا يكبر على احد ، وان يقلل الضحك والمزاح والخوض فيما لا يعنيه ، وان يتظاهر لكل بما يوافقه فيما لا معصية لله تعالى فيه ولا خرم مروءة ، وان يأخذ نفسه بحسن المعاملة من حسن اللفظ وجميل التغاظي ، وان لا يركن الى احد الا الى الله تعالى ، وان يكثر من مطالعة التواريخ فانها تلقح عقلا جديدا ، والله سبحانه وتعالى ـ أعلم »[1] .

وكانت لابي حيان علاقات وصلات كثيرة بعلماء عصره بسبب عدله ، وحسن سيرته ، وغزارة علمه وفضله ، ومن أشهر علماء عصره الذين كانت له صلة بهم العالم الكبير ابن تيمية ، وله فيه مدائح كثيرة .

وقد مدح أبا حيان كثير من الشعراء والكبار والفضلاء ، منهم القاضي محيي الدين بن عبدالظاهر الذى يقول :

قد قُلْتُ لمَّا أَنْ سمعتُ مباحثاً
في الذات قرَّرها أجلُّ مفيدِ
هذا أبو حيّان ، قلت : صدقتمو ،
وبررتمو ، هذا هو التوحيدي

ومدحه الشيخ صدرالدين بن الوكيل بقوله :

قالوا : أبو حيـان غير مدافع
ملكُ النحاةِ ، فقلت : بالاجماعِ

(١) نفح الطيب ج٣ ص٣٢١ .

اسْمُ الملوك على النقود وانني

شاهدتُ كنيته على المصراعِ

ومدحه شرف الدين بن الوحيد بقصيدة مطولة أولها :

اليك أبا حيان أَعْمَلْتُ أُنْيقي

وملت الى حيث الركائبُ تلتقي

دعاني اليك الفضل فانقدت طائعاً

ولبيّتُ أحدوها بلفظي المصدقِ

ومدحه كثيرون[1] • يقول الصفدي : « ومدحه جماعة آخرون يطول ذكرهم ، وكتبت انا اليه من الرحبة[2] سنة تسع وعشرين وسبعمائة في ورق أحمر :

لو كنت أملك من دهري جَنَاحَينِ

لطرت ، لـكنه فيكم جنى حيني

يا سادةً نِلْتُ في مصرٍ بهم شرفاً

أرقى به شرفاً ينأى عن العين

وان جرى لسماكيوان ذِكْرُ علاً

أحلّني فَضْلهم فوق السماكين

وليس غير أثير الدين أثَّلَهُ

فشاد ما شاد لي حقاً بلا مَيْنِ

---

(١) ينظر كتاب « أبو حيان النحوي » للدكتورة خديجة الحديثي ص٨٥ وما بعدها • (الطبعة الاولى بغداد ١٩٦٦) •

(٢) في نكت الهميان ص ٢٨٥ : « من رحبة مالك بن طوق » •

حَبْرٌ ، ولو قلت إنّ الباء رُتبتها
من قبل صدّقك الاقوام في ذَيْنِ
أحيا علوماً أمات الدهرُ أكثَرها
مُذ خُلِّدَت ، خُلدتْ ما بين دفين
ياواحدَ العصر ما قولي بمتهمٍ
ولا أحاشي امرءً بين الفريقين
هذي العلوم بدت من سيبويهِ كما
قالوا ، وفيك انتهت يا ثانيَ اثنين
فَدَمْ لها وبودّي لو أكونُ فدًى
لما ينالُكَ في الأيام من شَيْنِ
يا سيبويهِ الورى في الدهر لا عجب
إذ الخليل غدا يفديك بالعَيْنِ

يقبّل الارض وينهي ما هو عليه من الاشواق التي برحت بألمها ، وأجرت الدموع دما ، وهذا الطرس الاحمر يشهد بدمها • وأرْبَتْ سحبها على السحائب ، واين دوام هذه من ديمها ؟ وفرقت الاوصال على السقم لوجود عدمها •

فيا شوق ما أبقى ، ويالي من النوى
ويا دمع ما أجرى ، ويا قلب ما أصبى

ويذكره ولاءه الذي تسجع به في الارض الحمائم ، ويسير تحت لوائه مسير الرياح بين الغمائم ، وثناءه الذي يتضوع كالزهر بين الكمائم ، ويتسنم تسنم هامات الربى اذ لبست الربيع ملونات العمائم • ويشهد الله على ما قد

قلته والله سبحانه نعم الشهيد »[1] .

وقال أحمد بن علي بن عبدالكافي بهاءالدين السبكي يمدح شيخه أبا حيان من قصيدة :

فداكم فؤادٌ حان للبعد فقده
وصبٌّ قضى وجداً وما حال عَهْدُه
وقلبٌ جريحٌ بالغرام متيمٌ
وطَرْفٌ قريحٌ طال في الليل سُهْدُه[2]

وهذه المدائح وغيرها تدل دلالة واضحة على ما كان يتمتع به أبو حيان من منزلة عظيمة وقدر كبير بين رجال عصره وعلمائه .

ثقافتــه :

كان أبو حيان نحوي عصره ولغويه ومفسره ومحدثه ومقرئه ومؤرخه وأديبه . ومعنى هذا انه كان على جانب عظيم من الثقافة والاطلاع . وقد قال القدماء عنه بانه « ثبت فيما ينقله ، محرر لما يقوله ، عارف باللغة ، ضابط لالفاظها . واما النحو فهو امام الناس كلهم فيه لم يذكر معه في أقطار الارض غيره في حياته ، وله اليدالطولى فيالتفسير والحديث والشروط والفروع وتراجم الناس وطبقاتهم وحوادثهم ـ خصوصا المغاربة ـ ، وتقييد اسمائهم على ما يتلفظون به من امالة وترقيق وتضخيم لانهم يجاورون بلاد الافرنج ، واسماؤهم قريبة من لغاتهم والقابهم[3] » .

---

(١) أعيان العصر ج٧ ، وينظر نكت الهميان ص ٢٨٥ ـ ٢٨٦ ، ونفح الطيب ج٣ ص٢٢٩ ، والدرر الكامنة ج٤ ص٣٠٧ .

(٢) بغية الوعاة ج١ ص٢٤٣ .

(٣) الوافي بالوفيات ، واعيان العصر ج٧ ، ونفح الطيب ج٣ ص٢٩٥ ، والدر الكامنة ج٤ ص٣٠٣ ، والبدر الطالع ج٢ ص٢٨٨ ، وبغية الوعاة ج١ ص٢٨١ ، وشذرات الذهب ج٦ ص١٤٦ .

وكان اشتغاله بالعلم في موطنه الاندلس ، وأول قراءته سنة ٦٧٠هـ . بدأ بدراسة القرآن على شيوخ عصره ، وسمع عن كثيرين بعد أن طاف في أرجاء البلاد . وكان على أبي حيان وهو يدرس القران وتفسيره ان يلم بعلوم اللغة العربية واداابها وتأريخها ؛ لانها السبيل الموصل الى ادراك ما في القرآن من معان سامية . وقد درس اللغة والنحو والصرف والأدب وغيرها من العلوم ، وكان على اطلاع واسع بلغات أجنبية كالحبشية والفارسية والتركية ، وألف في ذلك كتباً كثيرة وصل الينا بعضها وضاع البعض الآخر(١) .

أما شيوخه فكانوا نحو اربعمائة وخمسين شيخا وأكثر من ألف مجيز . وقد ذكر أبو حيان في اجازته لتلميذه الصفدي مروياته وشيوخه(٢) .

عقيدته :

كان أبو حيان عفاً معروفاً بحسن دينه وعقيدته ، بعيدا عن الملذات . وكان في أول أمره مالكيا ثم تمذهب بالظاهرية وهو في الاندلس حيث كان هذا المذهب منتشرا يومذاك ، وكان يقول : « محال ان يرجع عن مذهب الظاهر من علق بذهنه »(٣) . ولكنه عندما جاء الى مصر وجد مذهب الظاهر مهجورا فيها فتمذهب للشافعي(٤) . وقد سئل عن ذلك فقال : « بحسب البلدة »(٥) ، حيث كان المذهب الشافعي هو السائد في مصر ، ومن هنا

---

(١) تنظر ثقافته بالتفصيل في كتاب « أبو حيان النحوي » للدكتورة خديجة الحديثي ص٦٢ ـ ٧٤ .
(٢) ينظر الوافي بالوفيات ، واعيان العصر ج٧ ، والمنهل الصافي ج٣ ص٣٢٣ ، ونفح الطيب ج٣ ص٣٠٣ .
(٣) بغية الوعاة ج١ ص٢٨١ .
(٤) أعيان العصر ج٧ ، ونكت الهميان ص٢٨١ ، والدرر الكامنة ج٤ ص٣٠٨ ، ونفح الطيب ج٣ ص٢٩٦ ، وبدائع الزهور ج١ ص١٩٩ .
(٥) بدائع الزهور ج١ ص٢٠٠ .

اعتنق هذا المذهب الذي كان الاهتمام به كبيرا . وكان أبو حيان يفضل آراء الشافعي وتلاميذه في تفسير القرآن ، وعرض الخلافات بين المذاهب المختلفة[1] .

ومال أبو حيان الى محبة الامام علي بن أبي طالب - رضى الله عنه - ، وكان بعيدا عن الفلسفة والاعتزال والتجسيم والتناسخ ، حتى انه تعجب من اشتغال أهل مصر بالفلسفة علنا[2] .

---

(١) ينظر البحر المحيط ج٢ ص١٥٠ ، ١٩٥ ، و ج٣ ص١٦٥ .

(٢) ينظر البحر المحيط ج٥ ص١٠٥ ، وينظر أعيان العصر ج٧ .

آثــــاره

كان لثقافة أبي حيان العظـيمة والاطلاع الواسـع والاتصال بعلماء عصره ، الاثر الكبير في حياته العلمية فألف كتباً كثيرة في علوم مختلفة ذكر بعضها في اجازته لتلميذه الصفدي[1] • ويرى بعض الباحثين انه لم يصل منها الا عدد قليل ، فالمرحوم الاستاذ احمد امين يقول : « وبلغت مصنفاته في العلوم المختلفة نحو ٦٥ كتابا لم يصل منها الا نحو عشرة »[2] •

ويقول الاستاذ بلانثيا : « ولم يبق لنا من كتب أبي حيان الا كتابان على الرغم من ان من ترجموا له يقولون انه وضع خمسين مؤلفا • الاول في التفسير وهو مخطوط بمكتبة ليدن ، والثاني في النحو عنوانه : « فضل النحو » مخطوط في مكتبة برلين »[3] •

وقد جمع الاستاذ سدني جليزر Sidney Glazer في مقدمة كتاب « منهج السـالك في الكلام على ألفية ابن مالك » ما تاثر من كتب أبي حيان وبوّبها تبويبا موضوعيا ، فذكر كتب النحو واللغة ، فكتب اللغـات التركية والفارسية والحبشية ، فكتب الدراسات القرآنية ، فكتب الحديث ، فكتب

---

(١) تنظر آثار أبي حيّان ، في كتاب « أبو حيان النحوي » للدكتورة خديجة ص٣٢٦ ، ونفح الطيب ج٣ ص٢٠٧ ـ ٢٠٨ •

(٢) ظهر الاسلام ج٣ ص٩٥ •

(٣) تاريخ الفكر الاندلسي ص١٨٨ •

التاريخ ، فكتب مختلفة ٠

ويلاحظ في قائمته انه لم يحسن تصنيف كتب أبي حيان فذكر في الكتب العامة « الموفور » و « الفصل في أحكام الفصل » وهما من الكتب النحوية ٠ وكرر بعض الكتب في اماكن مختلفة باسماء محرفة ٠

وما ذكره هؤلاء جميعا ليس دقيقا ، وها نحن اولاء نذكر آثار ابي حيان مرتبة على مجموعتين : الآثار النحوية واللغوية ، والآثار الدينية وفي فنون مختلفة[1] ٠

آثاره النحوية واللغوية :

١ ـ تقريب المقرب (مخطوط) ٠

٢ ـ التدريب في تمثيل التقريب (مخطوط) ٠

٣ ـ المبدع الملخص من الممتع (مخطوط) ٠

٤ ـ الموفور من شرح ابن عصفور (مخطوط) ٠

٥ ـ التذييل والتكميل في شرح التسهيل (مخطوط) وهو أضخم كتبه النحوية ٠

٦ ـ التخييل الملخص من شرح التسهيل (مفقود) ٠

٧ ـ التكميل في شرح التسهيل (مفقود) ٠

٨ ـ منهج السالك في الكلام على ألفية ابن مالك (مطبوع) ٠

٩ ـ ارتشاف الضرب من لسان العرب (مخطوط) ٠

١٠ـ اعراب القرآن (مخطوط) ٠

١١ـ غاية الاحسان في علم اللسان (مخطوط) ٠

١٢ـ النكت الحسان في شرح غاية الاحسان (مخطوط) ٠

١٣ـ اللمحة البدرية في علم العربية (مخطوط) ٠

---

(١) تنظر آثار أبي حيّان ، في كتاب « أبو حيان النحوي » للدكتور خديجة الحديثي ص١٠١ الى ص٢٥٩ وينظر المطبوع والمخطوط والمفقود منها فيه ٠

١٤ـ الشذا في أحكام كذا (مفقود) •
١٥ـ الهداية في النحو (مخطوط) •
١٦ـ تحفة الأريب بما في القرآن من الغريب (مطبوع) •
١٧ـ الارتضاء في الفرق بين الضاد والظاء (مطبوع) •
١٨ـ التذكرة (مفقود) •
١٩ـ القول الفصل في أحكام الفصل (مفقود) •
٢٠ـ الشذرة (مفقود) •
٢١ـ شرح كتاب سيبويه (مفقود) •
٢٢ـ التجريد لاحكام سيبويه (مفقود) •
٢٣ـ كتاب الاسفار الملخص من شرح سيبويه للصفار (مفقود) •
٢٤ـ نهاية الاغراب في علمي التصريف والاعراب (مفقود) •
٢٥ـ فضل النحو (مفقود) •
٢٦ـ الافعال في لسان الترك (مفقود) •
٢٧ـ الادراك للسان الاتراك (مطبوع) •
٢٨ـ زهو الملك في نحو الترك (مفقود) •
٢٩ـ منطق الخرس في لسان الفرس (مفقود) •
٣٠ـ نور الغبش في لسان الحبش (مفقود) •
٣١ـ المخبور في لسان البشمور (مفقود) •

آثاره الدينية وفي فنون مختلفة :

٣٢ـ البحر المحيط (مطبوع) •
٣٣ـ النهر الماد من البحر (مطبوع) •
٣٤ـ جزء من الحديث (مفقود) •
٣٥ـ الانور الاجلى في اختصار المحلى (مفقود) •
٣٦ـ الوهاج في اختصار المنهاج (مفقود) •
٣٧ـ الاعلام باركان الاسلام (مفقود) •

٣٨ـ مسلك الرشد في تجريد مسائل نهاية ابن رشد (مفقود) •
٣٩ـ المورد الغمر في قراءة أبي عمرو (مفقود) •
٤٠ـ المزن الهامر في قراءة ابن عامر (مفقود) •
٤١ـ الأثير في قراءة ابن كثير (مفقود) •
٤٢ـ النافع في قراءة نافع (مفقود) •
٤٣ـ الرمزة في قراءة حمزة (مفقود) •
٤٤ـ النير الجلي في قراءة زيد بن علي (مفقود) •
٤٥ـ الروض الباسم في قراءة عاصم (مفقود)•
٤٦ـ غاية المطلوب في قراءة يعقوب (مفقود) •
٤٧ـ تقريب النائي في قراءة الكسائي (مفقود) •
٤٨ـ عقد اللآلي في القراءات السبع العوالي (مفقود) •
٤٩ـ الحلل الحالية في أسانيد القراءات العالية (مفقود) •
٥٠ـ تحفة الندس في نحاة الاندلس (مفقود) •
٥١ـ مجاني الهصر في آداب وتواريخ أهل العصر (مفقود) •
٥٢ـ النضار في المسلاة عن نضار (مفقود) •
٥٣ـ مشيخة ابن أبي المنصور (مفقود) •
٥٤ـ نفحة المسك في سيرة الترك (مفقود) •
٥٥ـ نقد الشعر (مفقود) •
٥٦ـ خلاصة التبيان في علمي البديع والبيان (مفقود) •
٥٧ـ منظومة في علم القافية (مفقود) •
٥٨ـ نوافث السحر في دمائث الشعر (مفقود) •
٥٩ـ نثر الزهر في نظم الزهر (مفقود) •
٦٠ـ نكت الامالي (مفقود) •
٦١ـ بغية الظمآن من فوائد أبي حيان (مفقود) •
٦٢ـ الالماع في افساد اجازة الطباع (مفقود) •
٦٣ـ فهرست مروياته (مفقود) •

٦٤- فهرست مسموعاته (مفقود) .

٦٥- قطر الحبي في جواب اسئلة الذهبي (مفقود) .

٦٦- ديوان أبي حيان ، وهو الذي نخرجه اليوم .

* * * *

هذه حياة أبي حيان الاندلسي الغرناطي ، وهذه آثاره الكثيرة ، وقد وصل الينا بعضها ، وضاع البعض الآخر ، ولو وصلت الينا كلها لالقت ضوءاً ساطعا على سيرة هذا العالم الفذ ، ولانارت كثيرا من جوانب حياته وثقافته .

الدكتورة خديجة الحديثي

الفصل الثاني

شعر أبي حيـان

للدكتور احمد مطلوب

١
الديوان

يذكر المؤرخون والأدباء أن لأبي حيان الاندلسي نظما ونثرا جيدين، وله الموشحات البديعة . وقد جمع تلميذه صلاح الدين بن أيبك الصفدي ديوانه يقول : « وانتقيت ديوانه وكتبته وسمعته منه »(١) .

وفى المصادر القديمة كثير من هذا الشعر الجيد الذي يمثل شاعرية أبي حيان أحسن تمثيل ، وإنْ كان بعضه ليس بالشعر العالي الطبقة كشعر فحول العرب فى عصورهم الذهبية . وقد تنبه القدماء الى ذلك فقال أبـو الفداء : « وله نظم ليس على قدر فضيلته ، فمن أحسنه قوله :

وقـابلني في الـدَّرْسِ أَبيضُ ناعـمٌ
وأسـمرُ لَدْنٌ أَوْرثـا جسمي الردى

فَذا هـَـزَّ من عطفيــه رمحــاً مثقَّفـاً
وذا سَلَّ من جَفْنيه عَضْباً مهنَّــداً(٢)

---

(١) الوافي بالوفيات (المصورة المحفوظة في مكتبة جامعة بغداد المركزية) ، ونكت الهميان في نكت العميان ص٢٨٢ .

(٢) تاريخ أبي الفدا ج٤ ص١٤٢ ، وينظر تاريخ ابن الوردي ج٢ ص ٣٣٩ ، وجلاء العينين ص١٨ .

وقال ابن تغري بردي الأتابكي بعد أن ذكر موشحا لأبي حيان : « ومذهبي في أبي حيان انه عالم لا شاعر ، ولم ذكر هذه الموشحة هنا لحسنها بل قصدت التعريف بنظمه بذكر هذه الموشحة ، لأنه افحل شعراء المغاربة في هذا الشأن . وأما الشاعر العالم فهو الارجاني ، وأبو العلاء المعري ، وابن سناء الملك »[1] .

وحينما عزمنا على اخراج « مكتبة أبي حيان الاندلسي » رأينا أن نبدأ بشعره فعكفنا على المصادر ننقر فيها ، ورجعنا الى المخطوطات ننفض عنها غبار الزمن . وقد اجتمعت لدينا باقة عطرة من شعر هذا الرجل الذي غلب عليه التفسير والنحو فأخرجناها باسم «من شعر أبي حيان الاندلسي»[2] لتكون أول القطر ، ولم يَدُرْ بخلدنا أن الزمن سيطلع علينا بنسخة مخطوطة من ديوان أبي حيان تكون الدليل الناصع والبرهان الاكيد على شاعريته المتفتحة ذات الفنون البديعة والأغراض المختلفة .

ان شعر أبي حيان الذي أخرجناه جَمَعْ لما تفرق في تضاعيف الكتب المطبوعة وتناثر في المخطوطات الدفينة . ولعل كتاب « نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب » لاحمد ابن محمد المقري التلمساني كان أرحب المصادر صدرا واكثرها لشعر أبي حيان ذكرا ، لان فيه الاشعار البديعة والقصائد الطويلة والأبيات الرائعة التي نقلها من كتاب « أعيان العصر وأعوان النصر » للصفدي وكتاب « الاحاطة في أخبار غرناطة » للسان الدين بن الخطيب ، وكتاب «البرنامج» للفقيه المحدث أبي عبدالله محمد بن سعيد الرعيني الاندلسي .

وبعد أن تمَّ جمع الشعر رتبناه ترتيباً أبجدياً وألحقنا به الموشحين اللذين عثرنا عليهما ، والأبيات النحوية والبلاغية ، وكان مجموع شعر الديوان أربعاً وتسعين قصيدةً وموشحاً ومقطوعةً ، وهذا الذي ذكرناه يلقي ضوءاً على أبي حيان وشاعريته .

---

(١) النجوم الزاهرة ج١٠ ص١١٥ .

(٢) طبع بمطبعة العاني في بغداد سنة ١٣٨٦ هـ الموافق ١٩٦٦م .

وبينما كانت المجموعة في لمسات المطبعة الاخيرة ، طلع علينا ديوان أبي حيان الاندلسي فكان لابدّ أن نخرجه ليكون تثبيتاً لما اخرجناه وعوناً كبيرا لكل من يريد أن يدرس أبا حيان الشاعر •

ومخطوطة الديوان الفريدة محفوظة فى مكتبة « وزان » فى المغرب العربي ، وهي مكتبة تراكم الغبار عليها وعملت الرطوبة فيها عملها ، ولولا عناية القائمين بها لضاعت كثير من مخطوطاتها النادرة ومنها ديوان أبي حيان الذي لا نعلم له نسخة ثانية في مكتبات العالم • وقد وصف الأستاذ سعيد أعراب هذه المكتبة وهو يتحدث عن الديوان بقوله :

« منذ مدة زرت مكتبة وزان الحافلة بالاعلاق والنفائس ، هذه المكتبة التأريخية التي أُنفق في تأسيسها المولى عبدالله الشريف كل غالٍ ونفيس ، والتي سلخ بين أحضانها الشيخ الرهوني شطراً كبيراً من حياته نطلع على الناس بمؤلفات بَعُدَ العهد بمثلها في التحرير والتحقيق وارجاع النصوص الى اصولها • وكان الشاعر الرقيق أبو حامد المساري يتردد اليها ويكرع من مناهلها وله فيها قصائد رائعة » • الى أن يقول :

« هذه المكتبة التى تعيش اليوم في غربة ووحشة وقد تراكم الغبار عليها ، وعملت الرطوبة فيها عملها ، وهي عبارة عن مستودع لا نوافذ ولا هواء ، ولا انارة ولا مناضد ، ولا رفوف منتظمة ولا مقاعد ••• »[١] •

في هذه المكتبة كان ديوان أبي حيان يرقد بعد أن سجلوه تحت رقم ٤٩٢ ، ومن هذه المكتبة انطلقت مصورته الى معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية ليرى النور في بغداد بعد أن تفضل الأستاذ الجليل رشاد عبدالمطلب بتصويره لنا وحضّنا على اخراجه تكملة للفائدة وتتمة للعمل الذي بدأناه •

ومخطوطة الديوان الوحيدة ـ كما نعلم ـ مكتوبة بخط مشرقي واضح ، وهي في ١٨٧ صفحة من القطع المتوسط وفي كل صفحة عشرة أبيات أو

(١) مجلة دعوة الحق العدد الخامس ص ٧٥ (السنة العاشرة ، ذو الحجة ١٣٨٦ هـ ـ أبريل ١٩٦٧) •

أكثر بقليل . وقد كتب على الصفحة الاولى بخط مغربي أبيات شعر ثلاثة ، وعلى الصفحة الثانية عنوان الديوان وهو : « هذا ديوان الشيخ العلامة الامام الأوحد فريد دهره ووحيد عصره شيخ النحاة والأدباء (أبو حيان)[1] محمد الاندلسي المفسر - رضى الله تعالى عنه وغفر لنا وله وللمسلمين - » . وفي مطلع الصفحة الثالثة مقدمة قصيرة جاء فيها : « قال سيدنا الشيخ العالم العلامة الامام الأوحد الصدر المتقن المحقق ، فريد دهره ووحيد عصره، لسان الأدب وترجمان العرب ، شيخ النحاة والأدباء ، مولانا وسيدنا أثير الدين أبو حيان محمد بن سيدنا الشيخ الصالح التقي الزكي أبي الحجاج يوسف ابن علي بن يوسف بن حيان الاندلسي الأثري نزيل مصر - حفظه الله - رحمه الله تعالى ورضي عنه ونفع المسلمين ببركة علومه . آمين » .

ويبدو أن عبارة « رحمه الله ... » أضيفت بعد موت الشاعر ؛ لأنَّ عبارة « حفظه الله » توحي بان الديوان قد جمع في حياته ، ثم جاء ناسخ بعد موته فأضاف العبارة الأخيرة من غير أن يحذف العبارة التي قبلها .

ولعل نسخة الديوان التي بين أيدينا هي التي جمعها تلميذه صلاح الدين بن أيبك الصفدي والتي قال عنها - كما تقدم - : « وانتقيت ديوانه وكتبته وسمعته منه » . ومما يؤيد ذلك ان الديوان لا يضم شعر أبي حيان كله ، فليس فيه ما قاله وهو في موطنه الاندلس ، ولا موشحاته وقصائده البديعة ؛ وفيه مائتان وتسع وأربعون قصيدة ومقطوعة في موضوعات شتى ، ولو قارنا هذا الشعر بما أثبتناه في : « من شعر أبي حيان الاندلسي » لاتضح أن هناك كثيرا من أشعاره التي ذكرتها المصادر لم تثبت في الديوان . ولم نعثر في الديوان المخطوط على خمس وستين قصيدة ومقطوعة بضمنها الموشحان المشهوران بينما وجدنا تسعاً وعشرين قصيدة ومقطوعة مما ذكرناه في شعره ، وهو عدد ضئيل اذا ما قيس بالأشعار الكثيرة التي أهملها الديوان . وقد أشرنا الى هذا العدد القليل في أماكنه من القصائد وأثبتنا الخلافات ، وتركنا القصائد الكثيرة من غير اشارة الى مصدر لاننا لم نعثر عليها في الكتب والمظان المعروفة ، وألحقنا بالديوان القصائد والمقطوعات التي لم

---

(١) كذا في الاصل .

نرد فيه ، فتم لنا اخـراج مجموعـة كبـيرة من شـعر أبي حيـان لـم نستطع من قبل أن نخرجها بهذا الاسلوب • وقد بلغ مجموع القصـائد والمقطوعات المذكورة فى الديوان والتكملة ثلاثمائة وخمس عشرة ، وهو عدد ضخم لم نحلم به يوم عزمنا على اخراج شعر أبي حيان •

وبعد أن تم تدقيق الديوان ومطابقته بما وجدناه في الكتب والمصادر المختلفة ، وبعد ان أثبتنا الملحق وهو مما لم نجـده في الديوان ، شـرحنا الألفاظ الغريبة ـ وهي قليلة ـ وترجمنا للاعلام ، وعلقنا بعض التعليقات التي رأيناها ضرورية • وبهذا الشكل خرج الديوان ليقدم للدارسين شعر أبي حيان الذي ظل قسم كبير منه بين دفتي مخطوطة صانتها من عوادي الدهر مكتبة « وزان » ، وبقي بعضه منثوراً في الكتب والمظان •

٢
الأطـوار

وشعر أبي حيان تصوير لحياته وتعبير عما خفق به قلبه ، وقد جعل الاستاذ سعيد أعراب حياته بحسب شعره ثلاثة أطوار : أحدها طور الصبا وينتهي سنة ٦٧٨هـ أو سنة ٦٧٩هـ ، وهي السنة التي غادر فيها الاندلس الى المشرق •

والثاني : طور الشبيبة وينتهي في حدود سنة ٦٩١هـ ، وفي هذا الطور زار الحبشة وبعض الاقطار العربية والأعجمية وانتهى به المطاف في القاهرة •

والثالث : طور الكهولة والشيخوخة وينتهي في سنة ٧٤٥هـ ، وقد قضى هذا الطور أو جله في مصر[١] •

أما شعره في الطور الاول فقد ضاع أكثره ولم تبق الا أبيات قليلة لا

---

(١) دعوة الحق ص٧٦ •

تصور لنا حياته في الاندلس • قال أبو حيان : « مما نظمته وأنا شاب :

لأكْلُ الشعير واقتناء المعارف
ألَذُّ من السَلوى ولبْسِ المطارِفِ
وإني لَمُسْتَغْنٍ بعلمٍ جَمَعْتُه
وهيهاتَ ما يغني تليدي وطارفي

ومن قديم شعره بالاندلس وقد قاله في صباه قصيدته السينية التي تصور جوانب معركته مع الذين استصغروه ولم يلتفتوا اليه ، يقول :

ما للبراعةِ لا ريعت بحادثةٍ
استعجمت ولحبري الآن قد جمسا(١)
وللقوافي قفتْ مالي فلا أدَبٌ
يملى ، ولا نَشَبٌ يُريح مبتئسا(٢)
فصفْحَةُ الطرسِ من درّي معطّلةٌ
ورسمُ جُوديَ إذْ قلتُ قد درسا
وقد ذَوَتْ زَهراتُ الشعر وا أسفاً
لما غدا ماءُ فكري غائراً يبسا
كأنني لم أُعمر منتدَى أدَبٍ
ولم أجل للصبا في حلبة فرَسا

---

(١) جمس : جمد •
(٢) في الشطر الاخير زحاف •

وتشتد سورة غضبه فيصيح :

سَدَدْتُ بابَ القِرى عن كل ملتمس
إنْ كنت أَسكُنُ بعد اليوم أَنْدَلُسا

ويمضي متحدثاً عما كان يلاقيه في الاندلس ويصور حاله ويمتدح نفسه ، ويرى أن المقام صعب بين قوم ينكرون فضله ويغمزونه وتغلي صدورهم حقدا ، يقول :

وربَّ ذي حَنَقٍ تغلي مراجلُه
ناراً فيشعل من فيه لنا قبسا
رأى سُمُوِّي وما أُوتيتُ من شَرَفٍ
فرام هَتْكَ حمىً ما زال محترسا
حمى حماه حميُّ الأَنْفِ ذو كرمٍ
كالأَسْجم انْهلَّ أو كالضيغم افترسا
مفوَّه إنْ دعا حُرَّ الكلام أتى
بديعُه نحوه مستعجلاً سَلِسا
فمن قلائد يعلو الدرُّ جوهرَها
ومن فرائد يجلو نورُها الغَلَسا
أَعْجِبْ به من خطيبٍ ماهرٍ ندسٍ
إنْ قِسْتَ قساً به تخاله ودسا(١)
بل العجاب مقامي بين ذي وَحَرٍ
وحاسد بسوى الأَعْراضِ مانبسا(٢)

(١) الندس : الكيس الفطن ٠ ودس الشيء : خفي ٠ والودس ــ بفتحتين ــ العيب ٠
(٢) الوحر : الحقد ٠

قَــوْمٌ إذا غِبْتُ قالوا ما يليق بهـم
وإنْ حَضَـرْتُ تراهم خُشَّعًا نكسا

ذنبي اليهم نفوذي حين تفجؤهم
مُسَغَبّاتٌ يُدَلِّهْنَ الفتى الندسا

وإنني مثـل ماء المُزْنِ لا رَنَقٌ
كذاك بِرْدي نقيٌّ ما رأى دَنَسا

ما كان ضرّهمُ لو أنْصفوا رَجُلاً
ما نام وَهْناً على هجر ولا هَجَسا

أَما دَروا أنني لو شئتُ أفضحهم
بمفصحاتٍ وإنْ ابصرتها خرسا

من كلِ شاردةٍ عذراءَ ناهدةٍ
يكون اهداؤها لهم لها عرسا

وكلِ فاصمةٍ للظهر قاصمةٍ
تـرد من كان جذلاناً حليف أسى

لكنْ نهاني عَنْهُمْ أنهم نَجَسٌ
ومقولي قد أبَى أنْ يذكرَ النجسا

وهذه القصيدة خير ما يفسر رحلة أبي حيان عن الاندلس ، بعد أن اختلف الباحثون في ذلك ، فالسيوطي يقول : « ورأيت في كتابه النضار الذي ألفه في ذكر مبدئه واشتغاله وشيوخه ورحلته : «ان مما قوى عزمي على الرحلة عن غرناطة ان بعض العلماء بالمنطق والفلسفة والرياضة والطبيعة قال للسلطان : « اني قد كبرت فأخاف أن أموت فأرى ان ترتب لي طلبة

اعلمهم هذه العلوم لينتفعوا بها من بعدي » . قال أبو حيان : « فأشير الي أن أكون من اولئك ترتب لي راتب جيد وكسوة واحسان فتمنعت ورحلت مخافة ان اكره على ذلك »[1] .

ويذكر المقري ان الكثيرين من المؤرخين يذكرون ان سبب رحلته ما نشأ بينه وبين ابن الطباع فرفع أمره للامير محمد بن نصر المدعو بالفقيه ، وكان أبو حيان كثير الاعتراض عليه ايام تلمذته له فنشأ شر عن ذلك . وقد عزم السلطان على التنكيل بأبي حيان وأمر باحضاره ولكنه أحس بما اعتزم عليه السلطان فاختفى ثم ركب البحر ولحق بالمشرق[2] . ولكن أبا حيان ظل يحن الى الاندلس مهد احلامه ومرتع صباه ، يقول :

يا فرقة أبدلتني بالسرور أسىً
وأسهرت ناظراً قد طالما نعسا
أنّى يكون اجتماعٌ بين مفترق
جسمٌ بمصْرَ وروحٌ حلَّ أندلسا

وقد عدّ الاستاذ سعيد أعراب[3] قصيدة أبي حيان التي يعارض فيها قصيدة كعب بن زهير من أول شعره في الغزل ، وليس هناك دليل على ذلك، ويمكن القول بانه نظمها بعد أن حج البيت الحرام ؛ لانّ في القصيدة وصفا لسيره الى الحجاز ولما كان يرى في ذلك الموقف الذي تخشع له القلوب .

ومهما يكن من أمر فالديوان لا يحفل بشعر الصبا ولا تعينه المصادر في اكمال ما نقص . ولا يعقل أن يكون ما ذكرناه كل شعر أبي حيان في الاندلس ، بعد أن رأيناه يتحدث عن نفسه وعلمه وشعره في الابيات السابقة .

وشعر أبي حيان في هذه الفترة واضح التقليد ، ولا عجب في ذلك

---

(١) بغية الوعاة ج١ ص٢٨١ .
(٢) نفح الطيب ج٣ ص٣٤١ .
(٣) دعوة الحق ص٧٦ .

فليس من شاعر ناشيء الا والتقليد يسري في شعره • وشعره الى جانب هذا يحفل بالجودة والمتانة ، ولو بقيت لنا قصيدته الدالية التي نظمها في مدح النحو والخليل وسيبويه ثم خرج منها الى مديح صاحب غرناطة ، لالقت ضوءاً على شاعريته وهو في أيامه الاولى من حياة الجهاد وطلب العلم •

وأما شعر أبي حيان في الطور الثاني فهـــو ما قاله بعـد رحيله عن الاندلس ، وفيه يتضح النضج والدربة ، ومعظم شعر هذا الطور في الغزل والوصف والمدح وغيرها من الموضوعات التي كان لها صدى في نفسه يوم ألقى عصا الترحال في المشرق •

وأما شعر الفترة الاخيرة فهو في الحكمة والرثاء والشكوى والحديث عن النفس وما آلت اليه حاله بعد أن ودعه أهلوه وأحبابه واحداً اثـر واحد • وفي هذا الشعر نحس بالألم الذي عبَّر عنه الشاعر أحسن تعبير ، ذلك الألم الذي خلفه موت زوجه وابنته نضار وتلك الشكوى من ضعف البصر وسوء معاملة الناس وعقوقهم •

٣
المـلامح

وشعر أبي حيان عربي الاسلوب والمنحى ، وفيه تتضح الاصالة التي صقلتها الدربة والحنكة بعد أن استقر في مصر وأصبح علماً يؤمه الطلاب والعلماء ، ينهلون من بحر علمه الزاخر ما شاء لهم أن ينهلوا ، او يطارحونه الحديث في كثير من أمور العلم والحياة ، ويروون شعره الذي كان تعبيراً عن حياته الخاصة وعما كان في أيامه الحافلة بالعلم •

وأبو حيان لا يبتعد في شعره عن الشعر المعروف في عصره وعهود الشعر العربي ، ومعظمه في البحور المعروفة ولا سيما البحر الطويل والبحر البسيط اللذان أكثر فيهما الشعراء من لدن الجاهلية الى أيامه في عهـــد

المماليك • وتتضح فيه الاستفادة من صور الشعر العربي وأساليبه وألفاظه وفنونه ، وتتجلى المعارضة لبعض القصائد المعروفة وأخذه من أشعار معاصريه أو المتقدمين ونقله من أشعار غير العرب •

ولكي نعطي صورة لذلك نكتفي ببعض النماذج التي ذكرها الديوان وبعض المصادر القديمة • ولعل معارضته لقصيدة كعب بن زهير في مدح الرسول (ص) خير مثال لما نذهب اليه • فقد عارض هذه القصيدة المشهورة كثير من الشعراء ومنهم أبو حيان الذي يقول :

لا تعذلاه فما ذو الحبِ معذولُ
العقلُ مختبلٌ والقلبُ متبولُ
جميلةٌ فُصِّلَ الحُسْنُ البديعُ لها
فما انثنى الصبُّ إلاَّ وهو مقتول
هزَّتْ له أسْمَراً من خُوطِ قامتِها
فكم لها جُمَلٌ منه وتفْصيلُ
فالنَّحْرُ مرمرةٌ ، والنَّشْرُ عنبرةٌ
والثَّغْرُ جَوْهَرَةٌ ، والرِّيقُ مَعْسولُ
والطَّرْفُ ذوغَنَجٍ ، والعَرْفُ ذوأرَجٍ
والخصْرُ مختطفٌ والمتْنُ مجدولُ
هيفاء يَنْبِسُ في الخصرِ الوشاحُ لها
درْماءُ تَخْرَسُ في السَّاقِ الخلاخيلُ
من اللواتي غَذاهُنَّ النعيمُ فما
يَشْقَينَ ، آباؤها الصِّيدُ البهاليلُ

نزْر الكلامِ عيِيّاتٌ الجواب إذا

يسألن ، رقْد الضحى حضّر مكاسيلُ

وأبو حيان ينهج في ذلك نهج كعب في قصيدته حيث يقول في مطلعها متغزلا :

بانت سعادُ فقلبي اليومَ متبُولُ

متيّمٌ إثْرَها لم يُجزَ مكبولُ[1]

وما سعادُ غداةَ البين إذْ رحلوا

إلا أغنُّ غضيضُ الطرفِ مكحول

تجلوا عوارِضَ ذي ظَلْمٍ إذا ابتسمت

كأنّه منهَلٌ بالرّاحِ معلول

وبعد أن يصف أبو حيان تلك المليحة الحسناء يذكر انها حلت بمنعقد الزوراء وانها بعدت :

حلّت بمنعقدِ الزوراء زائرةً

شوساً غيارى فعقدُ الصبْرِ محلولُ

حيٌّ لقاحٌ إذا ما يلحقون وغى

جيّتْ ونادمَ مهزوزٌ ومسْلولُ

لبانةٌ لك من لبْناك ما قُضيتْ

وموعدُ لكَ منها الدّهرَ ممطولُ

كما قال كعب :

فلا يغرّنْكَ ما منّتْ وما وعَدَتْ

إنّ الأمانيَ والأحْلامَ تضْليلُ

---

(١) ينظر شرح ديوان كعب بن زهير ص٦ وما بعدها .

أَمْسَتْ سُعادُ بأَرْضٍ لا يُبَلِّغُهـا
إلا العتاقُ النجيباتُ المراسيلُ
ولن يُبَلِّغَها إلاّ عُذافرةٌ
فيها على الأَيْنِ إرْقالٌ وتَبْغيلُ (١)

ويُحسن أبو حيان التخلص فيقول :

فَعَدِّ عن ذِكْرِ لبنى إنَّ ذِكرَكها
على التنائي لتعذيبٌ وتعليلُ
إيّاكَ منك نذيرٌ ما نذرْتَ به
وبادر التَّوْبَ ، إنَّ التَّوْبَ مقبولُ
وأَمِّل العفْوَ واسْلُكْ مَهْمهاً قذِفاً
الى رضى الربِّ إنَّ العفْو مأْمولُ
إنَّ الجهادَ وحجَّ البيتِ مُختتماً
بذمةِ المصطفى للعفو تأْميلُ

كما أَحْسَنَ كعب التخلص فقال في مدح سيد المرسلين (ص) :

فقلتُ : خلّوا طريقي لا أبالكم
فكلُّ ما قدَّرَ الرحمنُ مَفْعولُ
كُلُّ ابنِ انثى وإنْ طالت سلامتُه
يَوْماً على آلةٍ حَدْباءَ محمولُ

---

(١) عذافرة : شديدة غليظة • الاين : الاعياء • الارقال : ان تعدو وتنفض راسها • التبغيل : مشي فيه سعة •

أُنْبِئْتُ أَنَّ رسولَ اللهِ أَوْعدني
والعفوُ عند رسولِ اللهِ مأْمولُ

مَهْلاً هداكَ الذي أعطاكَ نافلةَ الـ
ـقرآنِ فيها مواعيظٌ وتَفْصيلُ

ويتحدث أبو حيان عن سفره ويصف ما رأى حتى يصل الى الثغر مع الناس ويكبرون اعظاما لربهم وكلهم طرفه بالسهد مكحول ، ويقطعون ما بين الثغر والبيت الحرام على نجائب بها الخير معقود حتى اذا لاح بيت الله حفوا بكعبته :

حَفُّوا بكعبةِ مولاهم فكعْبُهُمْ
عالٍ بها ، فلهم طَوْفٌ وتَقْبيلُ

وبالصَّفا وَقْتُهم صافٍ لسعيهم
وفي منى لمناهم كان تنويلُ

تَعَرَّفوا عرفاتٍ واقفين بها
لهم الى اللهِ تكبيرٌ وتَهْليلُ

ثم ماذا بعد ذلك ؟

لما قضينا من الغرّاء مَنسكَنا
ثُرْنا ، وكلٌّ بنارِ الشَّوْقِ مَشْمولُ

ثُرْنا الى الشَّدْقَميات التي سَهِكَتْ
أبدانُهنَّ وأَعياهُنَّ تَنْعيلُ (١)

---

(١) الشدقميات : الابل المنسوبة الى شدقم وهو فحل كان للنعمان بن المنذر • سهكت : سهك الرجل : ظهرت له ريح كريهة من عرقه ، وسهكت الدابة جرت جريا خفيفا وتمايلت يمينا وشمالا •

الى الرسولِ نُزَجّي كُلَّ يَعْملةٍ
أجل من نحوه تُزجى المراسيلُ

مَنْ أُنْزِلَتْ فيه آياتٌ مطهرةٌ
وأوريَتْ فيه توراةٌ وانجيلُ

ويستمر في مدح الرسول (ص) حتى اذا جاء الى القرآن الكريم قال :

أوْحى اليه الذي أوْحاهُ من كُتُبٍ
فالقلْبُ واعٍ بِسِرِّ اللهِ مَشْغولُ

يتلو كتاباً مِن الرحمنِ جاء به
مُطَهَّراً ظاهرٌ منه وتأويلُ

جارٍ على مَنْهجِ الأَعْرابِ أَعْجزهم
باقٍ مَدَى الدَّهْرِ لا يأتيه تبْديلُ

بلاغَةٌ عندها كعَ البليغُ فلم
يَنْطِقْ ، وفي هَدْيه طاحَتْ أَضاليلُ

ويعود بعد ذلك الى الرسول (ص) فيقول :

وكم له معجزاً غير القُرآن أتى
فيه تظافَرَ مَنْقولٌ ومَعْقولُ

فللرسولِ انشقاقُ البدر نَشْهَدُهُ
كما لموسى انفلاقُ البحر مَنْقولُ

وبعد أنْ يذكر كراماته – عليه السلام – يختم قصيدته بقوله :

هـذا وكم معجـزاتٍ للرسـولِ أتَتْ
لهـا من اللهِ إمْدادٌ وتأْصيـلُ
غدَتْ من الكُثْرِ أعْداد النجوم فما
يُحصي لهـا عَـدَداً كُتْبٌ ولا قِيلُ
قد انقضت معجزاتُ الرُسْلِ منذ قَضَوا
نَحْبـاً ، وافحم منهـا ذلك الجيـلُ
ومعجـزاتُ رسـولِ اللهِ باقيـةٌ
محفوظةٌ مـا لها في الدهْرِ تحويلُ
تكفَّـلَ اللهُ هـذا الذكر يحفظـه
وهـل يضيـع الذي باللهِ مكْفـولُ
هذي المفـاخِرُ لا تحظى الملـوكُ بهـا
الملكُ منقطعٌ والوحي مَوْصـولُ

وينهي كعب قصيدته بمدح الرسول أيضا ، ومن هنا تبدو متابعة أبي حيان له في الغزل والوصف والمدح وحسن التخلص ، ولا يقلل من قيمة القصيدة ما فيها من متابعة لولا انها جاءت في عصر غلبت على شعرائه الصنعة والغلو في ذكر المحسنات البديعية .

ويتجلى أخذ أبي حيان من الآخرين في بيتيه المشهورين وهما :

عِداتي لهـم فَضْلٌ عليَّ ومِنَّـةٌ
فلا أذْهَبَ الرحمنُ عني الأعـاديا

هُمْ بَحثوا عن زَلّتي فاجْتَنَبْتُها

وهم نافسوني فاكتسبتُ المعاليـا

وقد أخذهما من قول الطغرائي(١) :

من خصَّ بالـود الصحـابَ فـانني

أَحْبـو بخالص وِدّيَ الأَعْداءا

جعلـوا التنافُسَ في المعـالي دَيْدني

حتى وطئت بأخمصي الجـوزاءا

ونَعَـوا اليَّ مثالبـي فحذرْتُهـا

ونفيتُ عن أَخْلاقيَ الأَقْـذاءا

ولربّمـا انتفـع الفتى بعدوِّه

كالسـم أحيـانا يكـون دَواءا

---

(١) ينظر نفح الطيب ج٣ ص٢٩٠ ، وديوان الطغرائي ص ٦١ ـ ٦٢ (مطبعة الجوائب ١٣٠٠ هـ) ، والابيات فيه :

من خص بالشـكر الصـديق فانني

أحبـو بخالص شـكري الاعـداءا

جعلوا التنافس في المعـالي ديدني

حتى امتطيت بنعلي الجـوزاءا

نكروا عليّ معـايبي فحـذرتها

ونفيت عن أخـلاقي الاقـذاءا

ولربما انتفـع الفتى بعـدوه

والسم أحيانا يكـون شـفاءا

وبيتا أبي حيان اكثر ايجازاً وأوضح دلالة وأشد تأثيرا •

ويتجلى الاخذ في قوله :

إني لأَسْمَعُ من خُلْدٍ وحين أرى
حبي يحدثني أُصْغي على صَمَمِ

كيما تَلَذَّ بتكرارِ الكلام معي
أذني ، وتلفظ منه الدرَّ في الكَلِمِ

يقول أبو حيان : « أخذت هذا المعنى من قوله » :

تصامَمْتُ إِذْ نطقَتْ ظَبْيَةٌ
تصيد الأسودَ بألحاظِها

وما بيَ وَقْرٌ ولكنني
أَرَدْتُ إِعادةَ ألفاظِها

وفي قوله :

إذا وضعَ الاحسانُ في الخب لم يُفِدْ
سوى كفره ، والحرُّ يجزي به الشُكْرا

كغيثٍ سقى أفعى فجاءَت بسمها
وصاحَبَ أَصْدافاً فأَثْمرتِ الدُّرَّا

وقد ذكر المقري قبلهما : « وقال ابن رشيد : حدثنا أبو حيان قال : حدثنا التاجر أبو عبدالله البرجوني بمدينة عيذاب من بلاد السودان ـ

وبرجونة قرية من قرى دار السلام ـ قال : كنت بجامع « لولم » من بلاد الهند ومعنا رجل اسمه يونس ، فقال لي : اذكر لنا شيئاً . فقلت له : قال علي ـ رضي الله عنه ـ : « اذا وضع الاحسان في الكريم أثمر خيراً ، واذا وضع في اللئيم أثمر شراً ، كالغيث يقع في الاصداف فيثمر الدر ويقع في فم الأفاعي فيثمر السم » .

فما راعنا الا ويونس المغربي قد أنشدنا لنفسه :

صنائعُ المعروف إنْ أودعتْ
عند كريمٍ ذكَتِ النعْما
وإنْ تكن عند لئيمٍ غدَتْ
مكفورةً موجبةً إثْما
كالغَيْثِ في الأَصْداف درٌّ وفي
فم الأفاعي يُثمِرُ السُّما

قال أبو حيان : « فلما سمعتُ هذه الأبيات نظمت معناهما فى بيتين هما : اذا وُضِعَ ... »(١) .

وقال أبو حيان : « قرىء عليّ في شعر الأعشى قوله :

عُلّقْتُها عَرَضاً وعُلّقتْ رَجُلاً
غيري وعُلّق أخرى غيْرَهَا الرَّجُلُ

(١) نفح الطيب ج٣ ص٣٣٩ .

وعُلّقتْه فتاةٌ ما يحاولها
ومن بني عمها مَيْتٌ بها وَهِل[1]

وعُلّقتني أُخيرى ما تلائمني
فاجتمع الحب حبُ كُلُّهُ تبلُ[2]

فاعجبتني هذه السلسلة التي هي ست حلقات فرضت نفسي في نظم سلسلة في الحب فقلت :

ولمّا أَبَى إلاّ جفاءً مُعَذّبي
دعوتُ له أَنْ يُبْتَلى بهيامِ

وكان دعائي اللهَ وَقْتَ إجابةٍ
فها هو ذا في لوعةٍ وغَرامِ

يذوق من الهجران ما قد أَذاقني
ويسقم منه الجِسْمُ مِثْلَ سقامي

وكان بخيلاً بالوصال فحبُّه
غدا باخلاً حتى بطيفِ منامِ

وعلّقته ريماً وعُلّق آخراً
هوى آخراً يهذي ببدر تمامِ

---

(١) في ديوان الاعشى ص١٤٥ : من أهلها ميت يهذي بها وهل · الوهل : الذاهب العقل ··

(٢) في الديوان : فاجتمع الحب حبا كله تبل · التبل : من تبله ، ذهب بعقله ·

وعلق أخرى حبها أخر هوى

أُخيرى غدت تهذي بآخر رام

الى آخر الأبيات .

ولأبي حيان معانٍ شعرية أخذها من لسان العجم ونظمها في أبيات بديعة ، يقول : « وجاء بعض العجم بأبيات بلسان العجم فيها معانٍ لم يعهدها العرب وسألني نظم معانيها بالعربي في قافية التاء المكسور في بحر الطويل ، فقلت :

مهندُكَ الميمونُ كالسَّيْف صورةً

ولكنْ فِرِنْدُ السَّيْفِ ماءٌ بمزنةِ

لئن كان يحكي الماءَ لُطْفاً ورقةً

فكم هامةٍ في ذلك الما غريقةِ

الى آخر الأبيات .

ولو مضينا في المقارنة لوجدنا كثيرا من المعاني والصور التي أخذها من الشعراء الآخرين ، ولايقلل ذلك من قيمة أبي حيان الذي عاش في عصر كان للتقليد فيه أثر كبير .

ومن السمات التي تربط أبا حيان بشعراء عصره تلك المحسنات البديعية التي أكثر الشعراء منها في قصائدهم ، ولكنه استطاع باصالته وشاعريته أن ينجو في كثير من الاحيان من هذا القيد ، وتمكن في بعضها أن يكسبها حياة جديدة لا يضيق بها المطبوعون . وقد مرّت في معارضته لقصيدة كعب بن زهير أبيات فيها جناس وطباق ومقابلة في مثل قوله :

« فالنحر مرمرة والنشر عنبرة » ، وقوله « والطرف ذو غنج والعرف ذو أرج » ، وقوله : « حلت بمنعقد الزوراء ... فعقد الصبر » ، وقوله : « حي لقاح اذا ما يلحقون » ، وقوله : « لبانة لك من لبناك » ، وقوله : « اياك منك نذير ما نذرت » ، وقوله : « حلوا بكعبة مولاهم فكعبهم » ،

وقوله : « وبالصفا وقتهم صافٍ » ، وقوله : « وفي منى لمناهم » ، وقوله : « تعرفوا عرفات » ، وغيرها .

ومن محسناته وتفننه في الشعر قوله :

كأنَّ النَّقا والغُصْنَ والبدرَ والدجى
معاً رِدْفُها والقدُّ والوَجْه والشَّعْرُ

وقوله :

لاحت لنا ولها في ساقِها خلخال
وقد تزينَ منها خَدُّها بالخال
لما ظفِرْتُ بها في منزلٍ لي خال
قلت : ارحمي مُدْنفاً ، قالت نعم يا خال
وأَسْفَرتْ عن محيا من رآه خال
بدراً بدا ونَضَتْ عنها برودَ الخال
كأنَّها غُصُنٌ بالروض مِن ذي خال
ولا تَسَلْ ما جرى من ناهدٍ مبْخال

فقد كرر لفظة « خال » بمعانيها المختلفة .

وقوله :

عَيْنُ المها للصَّبا قلب الشجي يلْزِزنْ
كم أتلفت مهجاً منا وكم يعززن
يَهْزُزْنَ سُمْرَ القنا يا حُسْنَ ما يهززن
إذا طعنَّ بها في مهجتي يحززن

وقوله :

شوقي لــذاك المُحيا الزاهِـر الزاهي
شوقٌ شديدٌ وجسمي الـواهن الــواهي
أَسْهَرْتُ طَرْفي وولهت الفؤادَ هَوًى
فالطرْفُ والقلْبُ منها السَّاهِرُ الساهي

الى آخر الأبيات ....

ومثل هذه الفنون كثير في شعر أبي حيان . وصفوة القول : إنَّ شعر هذا الرجل يمثل الاصالة والمتانة في الاسلوب واللغة من ناحية ، ويمثل اسلوب عصره في التفنن في القول والاسراف في المحسنات اللفظية والمعنوية من ناحية أخرى ، وهو لذلك يمثل فترة أدبية جديرة بالعناية والدرس ، ويصور جانبا من حياة أبي حيان وثقافته التي كانت واسعة متعددة الجوانب .

٤
الموشحات

ونجد الى جانب هذا الشعر لوناً آخر فتن به أهل الاندلس وأكثروا منه ، وهو الموشحات . والغريب ان مخطوطة ديوان أبي حيان تخلو من هذا اللون من الشعر مع شهرة الرجل بالموشحات وهو الاندلسي الصميم . وأغلب الظن انه لم ينظم موشحات وهو في بلاده الاندلس ، وما وصل الينا يشير الى انه نظمه وهو في مصر . ومن أروع ما له في هذا الباب موشح عارض به ابن عفيف التلمساني ، يقول فيه :

عاذلي في الأَهْيفِ الأنسِ
لو رآه كان قد عذرا

رشأ قد زانه الحور
غُصُنٌ من فوقِه قمر
قَمَرٌ من سُحْبِهِ الشَّعر
ثغر في فيه أم دُرَرُ
حال بين الدر واللعسِ
خمرة مَنْ ذاقها سَكرا

ويقول :

نَصَبَ العينينِ لي شَرَكا
فانثنى والقلبُ قد ملكا
قمر أضحى له فلكا
قال لي يوماً وقد ضَحِكا
أَتَجي من أَرْضِ اندلسِ
نحو مِصْرَ تَعْشَقُ القَمرا

والقفل الأخير يدل دلالة واضحة على أنّ أبا حيان قال هذا الموشح وهو في مصر .

وله موشح آخر يقول فيه :

إنْ كان ليلٌ داج وخاننا الاِصْباح
فنورُها الوهَّاج يغني عن المصباح

* *

سلافَةٌ تبدو كالكوكبِ الأزْهَرْ
مِزاجُها شهْدُ وعَرْفُها عَنْبَرْ

يا حبَّذا الورْدُ منها وإنْ أَسْكَرْ
قلبي بها قد هاج فما تراني صاح
عن ذلك المنهاج وعن هوى يا صاح

ولم نعثر الا على هذين الموشحين بعد أنْ خلا الديوان منهما ومن غيرهما ، ولا نعرف السبب الذي جعل جامع الديوان ومنتقيه يسقط هذا اللون من الشعر الذي اشتهر به الاندلسيون والمغاربة • ولعل الأيام تكشف عن موشحات أُخَر لتضاف الى ما أثبتناه في ملحق في هذا الديوان •

والموشحان اللذان عثرنا عليهما في الغزل والخمرة ، وغزله فيهما يتجه الى الغلمان كما هو مشهور في عصره ، يقول :

مهلاً أَبا القاسمْ على أبي حيّانْ
ما إنْ له عاصِمْ من لحظِكَ الفتّانْ

ويقول :

قَد أتاني اللهُ بالفَرَجِ
إذْ دَنا مني أبو الفرجِ
قَمَرٌ قَدْ حَلّ في المهجِ

ولا نعرف أنّه كان ميالاً الى ذلك ولكنه اسلوب عصره ، ولا نعرف أنّه عاقر الخمرة ولكنه على عادة الشعراء جرى وعلى نهجهم سار ، ولذلك قال :

سلافةٌ تبدو كالكوكبِ الأزْهَرْ

وقال :

سَبْعٌ الوجوه والتاج هِيْ مُنيةُ الأَفْراحْ
فاختر لي يا زَجّاج قمصال وزوج أَقْداَح

و « سبع الوجوه والتاج »[1] مكان مشهور ظاهر القاهرة وهو من منتزهاتها يقصده الناس أيام الربيع ، والقمصال خابية الخمر أو دنها ، وأبو حيان يدعو الى ذلك المكان البديع ويطلب أن يعد مجلس الخمر ، وأين منه ما عرف عنه من تقوى وورع ، ولكنه - كما قلنا - جرى على اسلوب شعراء عصره ولا سيما ابن عفيف التلمساني الذي عارض موشحه •

٥
الفنون

عالج الشعراء العرب فنوناً مختلفة منذ عهدهم الأول بالشعر الى عهد أبي حيان ، وكانت معظم الأغراض الشعرية التي شاعت في عصر المماليك ترتبط ارتباطاً وثيقاً بما قاله الشعراء المتقدمون • وفي ديوان أبي حيان وشعره المبثوث في المصادر القديمة كثير من هذه الفنون والأعراض أهمها وأوضحها : الغزل والرثاء والمديح والوصف والحكمة والتصوف والفلسفة والزهد والاخوانيات والشكوى والعتاب وحديثه عن نفسه وعن الصحابة والكتب ومدعي العلم وغيره •

الغـزل :

أما الغزل فهو معظم ديوان أبي حيان ، وأكثره مما قاله في الطور الثاني من حياته ، وهو لونان : غزل بالمؤنث وغزل بالمذكر •

أما غزله الأول فيتجلى في حبه لزوجه أم حيان فقد بث لوعته في اشعاره وتحدث عنها وجن بها ، يقول :

جننْتُ بها سوداءَ لَوْنٍ وناظرٍ
ويا طالما كانَ الجنونُ بسوداءِ

(١) ينظر هامش ٣ ص١١٤ ج١٠ من النجوم الزاهرة وخطط المقريزي ج١ ص٤٨١ ففيهما حديث عن سبع الوجوه والتاج •

وَجَدْتُ بها بَرْدَ النعيمِ ولم يكن
فؤاديَ منها في جحيمٍ ولأْواءِ
وشاهدْتُ معنى الحُسْنِ فيها مُجَسَّداً
فاعجبْ لمعنى صار جَوْهَرَ أَشْياءِ
أطاعِنةٌ من قدِّها بمثقفٍ
أصبت وما أغنى الفتى لبْسُ حَصْداءِ
لقد طعنتْ والقلْبُ ساه فما درى
أَبالقَدِّ منها أم بصعدةِ سَمْراءِ

وأحَسَّ أبو حيان انه جاوز الحد في البيت الأول فغيَّره وقال :

جُننتُ بها سوداءَ شعرٍ وناظرٍ
وسمراءَ لونٍ تَزْدري كُلَّ بَيْضاءِ

ويختلط الغزل بالمديح والاعجاب في هذه الأبيات ، ولا غرو في ذلك ، فقد أحبها وهام بها وكانت أنيسه في الغربة وسميره في الوحشة . وقصائده الغزلية كثيرة ولا سيما في التركيات الجميلات اللاتي كن مضرب المثل في أيامه ، يقول :

هو الحُسْنُ حُسْنُ التُرْكِ يُسْبي الورى لُطفا
ويعطف سالي القلب نحو الهوى عَطْفا
يُدِرْنَ من اللُخصْ السواجي مدامةً
فللّهِ ما أَحْلى ولله ما أَصْفى(١)

---

(١) لخصت عينه : ورم ما حولها ، فهو ألخص ، وعينه لخصاء ج لخص .

وَيَنْصُبْنَ من هُدْبِ المآقي حبائلاً
فكم أنفسٍ أَسْرى لدى المقلةِ الوَطْفا

ويقول :

كنت قِدْماً عاشقاً في عَرَبٍ
وأنا اليوم مُحِبٌ في أَسَن

ويرى في صغر أعين التركيات جمالاً لا يعدله جمال ، يقول :

بروحي التي زارت بليلٍ واقبلت
تجر على آثارِها العصْبَ والوشْيا
هداها سناها نحو طاوٍ ضلوعه
على سلوةٍ ماتَتْ ووجد بها حَيّا
تحلّتْ بدرٍ فوق لبات نحرها
فكان لذاك الدرِ لباتها حلْيا
من التركِ ضاقَ العين منها لبخلها
وليست من العينِ التي تُشبه الظَبْيا

ويقول :

قد سَباني من بني التُرْكِ رَشَاً
جوهريُ الثَغْرِ مسكيُ النَفَسْ
قد حكى غُصْناً وبَدْراً ونقا
في ارتجاج وانبلاجٍ ومَيَسْ
ضيّق العينين تركيهما
واسعُ الوَجْنة خَزيّ المجسْ

وظل أبو حيان يحن الى التركيات وهو في شيخوخته فيقول :

وبي من التُركِ ما لو كنتُ أذكره
لأصبح الدهرُ من ذكراه مختالا
قد كان هذا وريعانُ الشباب لنا
غضٌ وطرفُ الصبا في حلبةٍ جالا

ويقول :

يا صبوةً قد أتتني آخر العُمْرِ
تذكر القلبَ ما قد كان في الصغرِ

وأمّا غزله بالمذكر فكثير أيضا ، ومن طريفِ ذلك قولُه :

يقولُ لي العذولُ ولم أُطعْه
تسلَّ فقد بدتْ للحبِّ لِحيَه
تخيَّلَ أنَّها شانتْ حبيبي
وعندي إنَّها زينٌ وحِليَه

ولا تخرج صور غزله بالمؤنث والمذكر عن الصور والأخيلة والمعاني المعروفة . ولعل أبا حيان لم يكن صادقاً في معظم شعره هذا الا ما رأيناه في الحديث عن زوجه زمردة بنت أبرق أم ولده حيان ، مع ان بعض المصادر تروي هيامه بالغلمان وولعه بهم ، يقول الأدفوي في ترجمة ابن دقيق العيد : « وقال لي شيخنا أثير الدين : رآني مرة ومعي شاب أمرد اتحدث معه . فقال : يا أبا حيان أنت تحبه ؟ فقلت : نعم . فقال : أنتم يا أهل الاندلس فيكم خصلتان : محبتكم للشباب ، وشربكم الخمر . فقلت : أما الخمر فواللهِ ما عصيت الله به ، وأما الشباب فان أهل مصر أفسق منا . قال فتبسم »[1] .

(١) الطالع السعيد ص٥٨٤ . (تحقيق سعد محمد حسن ، القاهرة ١٩٦٦) .

والى جانب هذين اللونين من الغزل نجد اتجاها جديداً عند أبي حيان ، فقد هام بحب السود وافتتن في وصف محاسنهن وفضلهن على الغواني البيض ، وله في ذلك فلسفة غريبة ، يقول :

لنا غرامٌ شديدٌ في هوى السُّودِ
نختارُهُنَّ على بيض الطلا الغيدِ
لَوْنٌ به أشْرقَتْ أبصارُنا وحكى
في اللون والعَرْفِ نَفْحَ المِسْكِ والعودِ
لا شيءَ أحسن من عاجٍ تركَّبُهُ
في أبنوسٍ ولا أشفى لمبرودِ
لا تَهْوَ بَيْضاءَ لَوْنَ الجِصِّ واسْمُ الى
سوداءَ حسناءَ لون الأَعْينِ السُّودِ

ويقول :

علقته سبجيَّ اللون فاحمه
ما أبيضٌ منه سوى ثغرٍ حكَى الدررا
قد صاغه من سواد العين خالقُهُ
فكلُّ عينٍ اليه تُدْمِنُ النَّظَرا

ويقول في زوجه ـ على احدى الروايات ـ :

جُنِنْتُ بها سوداءَ لونٍ وناظرٍ
ويا طالما كان الجنونُ بسوداءِ

ولم يظل أبو حيان صريع السود بل قال في عكس ذلك :

إذا مال الفتى للسّود يوماً
فلا رأيٌ لديه ولا رَشادُ

أتهوى خنفساءَ كأنَّ زفتاً
كسا جلداً لها وهو السَّوادُ
وما السَّوداءُ إلا قدرُ فرنٍ
وكانونٌ وفحمٌ أو مدادُ
وما البيضاءُ إلا الشمسُ لاحت
تنيرُ العينُ منها والفؤادُ
سبيكةُ فضةٍ حشيتْ بوردٍ
يلذُّ السُّهدُ معْها والرُّقادُ
وبيْن البيضِ والسُّودانِ فرقٌ
لدى عقلٍ به اتَّضح المرادُ
وُجوهُ المؤمنينَ بها ابيضاضٌ
ووَجْهُ الكافرينَ به اسودادُ

وفي ذلك مفارقات كبيرة ، ولعل الشاعر كان يتفنن في قوله ، فيهوى السود ويقع في غرامهن أحيانا ، ويعشق البيض ويسقط صريعا في هواهن احيانا اخرى •

ولا يقف أبو حيان عند هذا وانما يصور كيد النساء والغلمان فيقول :

جبِلَ النساءُ على التكتم فاحترزْ
من كيدهِنَّ وإنَّه لعظيمُ
فمتى تعف فربما عَفَّتَ فانْ
تهمل فكشْحٌ يُسْتَباحُ هَضيمُ

وكـذا الصبيُّ إذا عرَتْه خصاصةٌ
يبـدو لـه لفْـظٌ يُعَـدّ رخيـمْ

ويعلن توبته من الغواني فيقول :

قد كان هـذا وريعـانُ الشباب لنـا
غَضٌ وطَرْفُ الصِّبا في حلْبـةٍ جالا
والآنَ أحْدَثَ شيبي في ضعف قوًى
وأوْرَثَ القَلْبَ أوْجاعاً وآجـالا

وصارمَتْني وصارمَتْ الغوانيَ لا
يحفلن بي كلهـا في ودِّهِ حـالا
وتُبْتُ لله أرْجـو منـه مغفـرةً
ورحمـةً توسِعُ المسكينَ إفضـالا
فالحمْدُ للهِ إذْ لم يأتني أجـلي
حتى اكتسيْتُ من الطاعاتِ سربالا

ولم يقترف أبو حيان معصية حتى يتوب فقد كان عفا بعيـداً عن الشبهات ، يقول :

تجنَّبْتُ ما يختـار منه ذوو الخنـا
قبيح فعالٍ يُوجِبُ المَقْتَ والزَّلَلْ
فلم أرَ مثلي عاشـقاً ذا صبابةٍ
تمكّنَ مما يشـتهيه وما فعَـلْ

ويقـول :

وكنت امرءاً أهوى الجمالَ ولم أَشُبْ
ودادي يـوماً باتباعي للغـيِّ

ولأبي حيان غزل عجيب وعشق أعجب فهو يتغزل بالبرص وبنوتي ويعشق مصارعا وفحاما واعمى وأحدب وشيخا ، وكأنه أراد بذلك أن يدلي بدلوه فى كل فن ولون ، يقول فى الشيخ :

تعشقته شـيْخاً كأنّ مشـيبه
على وجنتيـه ياسـمينٌ على وَرْدِ

أخا العقـلِ يدْري مـا يُراد مِن النهى
أمِنْتُ عليـه مـن رقيبٍ ومـن ضـدٍّ

وقالوا : الورى قسمانِ في شرْعةِ الهـوى
لسُودِ اللحـى ناسٌ وناسٌ الى المُـرْدِ

ألا إنّني لـو كنتُ أصْبو لأمْـردٍ
صَبوتُ الى هيفـاءَ مائسةِ القـدِّ

وسودُ اللحى أبْصَرْتُ فيهم مشاركاً
فأحْبَبْتُ أنْ أبقـى بأبيضهم وَحْـدي

ويقول في الأعمى :

ما ضرّ حسـن الـذي أهواه أنّ سـنى
كريمتيـه بـلا شيْنٍ قـد احتجبـا

قد كانتـا زهْرتي روْضٍ وقـد ذوتـا
لكنّ حُسْنَهما الفتّانَ مـا ذهبـا

كالسَّيْفِ قَدْ زالَ عنه صقله فغدا
أنْكى وآلمَ في قلْبِ الذي ضَربا

وهذا تعليلٌ عجيب ، فهو يُحِبُّ الشيخَ لينفردَ بحبه ، ويهوى الأعمى لانَّ هواه أكثر ايلاما ، ويهيم بالابرص والنوتي والمصارع والفحام والاحدب لأمور يراها جميلة •

الرثاء :

فَقَدَ أبو حيان الأهل والولد والاصدقاء واحداً اثر واحد فبكاهم أوجع البكاء وذرف عليهم الدمع مدرارا • وكان أهل بيته خمسة تشرق المنازل منهم ولكنّ الردى طواهم :

خَمْسةٌ تُشْرِقُ المنازلُ منهم
أُدْرِجوا تَحْتَ ظلمةِ الأَحجار

مات ابنُه حيان وماتت ابنته نضار ولحقت بهما زوجه زمردة بنت أبرق ، يقول :

ودَهاني من بَعْد ذلك فَقْدي
أم حيَّان خيرة الأخيار

وتتابعت عليه الآلام وهو شيخ كبير ومضى اولاده الى دار البقاء وظل وحده يندب حظه العاثر ويشكو من الدنيا الفانية ويرجو نعيما دائما في الباقية ، يقول :

وأنتجتُ أَفراخاً مضَوا لسبيلهم
على حينِ نقلٍ من سريرٍ ومن مهدِ
وبلّغتُ من عُمري ثمانين حجّةً
وثنتين أمسي دائماً نائماً وَحْدي

ثم يقول :

ودنياهمُ ما نِلْتُ منها نعيمَها
وأرجو نعيماً دام في جنة الخلْد

ولعل أبا حيان من أكثر الشعراء الذين رثوا بناتهم وبكوا عليهم بكاءاً مُراً ، وكان يعزها كثيراً ويفضلها على أخيها حيان لانها كانت عالمة معربة مؤدبة ، حضرت على الدمياطي وسمعت من شيوخ مصر وكانت تقرأ وتكتب وخرجت لنفسها جزءاً من الأحاديث ونظمت شعراً وكانت تعرب جيدا ، وكان أبوها يقول : « ليت أخاها حيّان مثلها » . ماتت في جمادي الآخرة سنة ٧٣٠هـ فحزن عليها حزنا عظيماً وجمع في ذلك جزءاً سماه : « النضار في المسلاة عن نضار » ، وكتب عنها البدر النابلسي فقال : « الفاضلة الكاتبة الفصيحة الخاشعة الناسكة وكانت تفوق كثيراً من الرجال في العبادة والفقه مع الجمال التام والظرف»[١] .

ولما توفيت طلع أبوها الى السلطان الملك الناصر محمد وسأل منه أن يدفنها في بيته داخل القاهرة في البرقية فأذِنَ له في ذلك ، ووجد عليها وَجْداً عظيماً وانقطع عند قبرها ولازمه سنة .

وفي الديوان اثنتا عشرة قصيدة في رثائها ، وأبو حيان في كل هذه القصائد يتحدث عن لوعته وحزنه وعن علمها وفطنتها وذكائها ، ويصور ما كان يعتريه وهو مكب على قبرِها يذرف الدمع ، يقول في قصيدته التي مطلعها :

ضَريحُ بنتي جَعَلْتُ بيتي
وقُلْتُ : ليتي أموتُ ليتي

ان الغائب عن اهله يعود ولكن الميت لا يرجى قدومه ، وان دمعه لا يجري فليبك دماً عليها . ويخاطب تربتها فيقول :

---

(١) الوافي بالوفيات ، والدرر الكامنة ج٤ ص٣٩٥ ، ونفح الطيب ج٣ ص٣١٥ ، وأبو حيان النحوي ص٤٩ .

يا تربةً قَدْ حَوَتْ نُضاراً

طِبْتِ شَذاً بالذي حَويْتْ

لماذا ؟ لأنّها فتاة حَوت عقلاً وبحر علم وسؤدداً ، وسعت الى المكارم والعلى ولكنها لم تمتع بشيء ، فسرعان ما سرت الى عالم عليّ بعد أن آمنت بالقضاء لتعيش روحها في جنة الخلد .

ويختم قصيدته بقوله :

وإنّ بيتاً أضحى مَحلاً

لخيرِ بِنْتٍ لخيْرُ بيْتِ

ومضت الأعياد وأبو حيان مكب على قبر ابنته نضار لا يبرحه ولا يستطيع سلوانا ، يقول :

إن جسمي مقيدٌ بالضريحِ

وفؤادي وَقْفٌ على التبريحِ

راح عيدٌ وبعْدُ عيدٌ كبيرٌ

ونضارٌ تحت الثرى والصفيحِ

لا أرى فيهما وُجيهَ نُضار

يا لشوقي لذا الوُجيه المليحِ

ونُضارٌ كانتْ أنيسي وحبي

ونضارٌ كانت حياتي ورُوحي

ويتحدث بعد ذلك عن ذكائها وعقلها الرجيح وحيائها ونظرها في علوم الفقه والحديث والنحو والتأريخ ، ويشير الى انه سيلحق بها عن قريب :

إنْ تَكن قد تَقَدّمَتْ وبَقينا

برهةً في زمانِنا المَسْفوحِ

فعلى إثرها نروحُ ونرجو
عَفْوَ رَبٍّ عن الذنوب صفوحِ

ولا ينفك أبو حيان في قصائده الاخرى عن ترديد هذه المعاني ، ونحس في جميعها بالألم الذي كان يعتصر قلبه والحزن الذي جعل عينيه تبيضّان ، ونشعر بكرهه للحياة وأمله في أن يلحق بابنته :

أَرْقُبُ المَوْتَ وأَسْتَبْطئُه
ليلةَ اليومِ أَتى أو في غدِ

ونحس بعزوفه عن الناس :

عَزَفَتْ نفسيَ عن هذا الورى
بعدما حَلَّتْ نُضارُ في الثَّرى

فبسمعي صَمَمٌ إِنْ حَدَّثوا
وبعيني نَبْوةٌ أَنْ تنظرا

كيف لي عَقْلٌ بأَنْ أَصْحبهم
لا أرى وَجْهَ نضارِ النيّرا

لا ولا أَسْمَعُ من أَلْفاظها
كَلِماً قَدْ أَبْرزتها دُرَرا

و في بعض قصائده حديث عن مرضها وما كانت تعانيه في الأشهر الستة من حمى وسعال وسل انهك قواها فمضت الى بارئها قبل أن تتمتع بجمالها وعلمها الجم الغزير • وقد تحملت الآلام لانها مؤمنة بالله – عز

وجل - الى أن قضت نحبها يوم الاثنين ، يقول :

فما ضَجِرَتْ يَوْماً ولا اشتكتِ الضَّنى
ولا ذكرت ماذا تقاسي من اليأسِ

قَضَتْ نَحْبَها في يوم الاثنين بَعْدَما
تَبَدَّى لنا قَرْنُ الغزالةِ كالوَرْسِ

ويقول :

قَضَتْ عِنْدَما لاحتْ ذكاءُ وأَشْرَقَتْ
لنا عوضا ، أَقْبِحْ بها من معوّضِ

ويشير في قصائد أخرى الى حجها البيت الحرام وزيارتها قبر الرسول
عليه السلام ، فيقول :

وبالكعبةِ الغَراء طُفْتِ بمكةٍ
وللحجرِ المسوَدِّ كان التِثامُكِ

وجاوَرْتِ أَياماً بها ولياليَاً
وكان كثيراً بالمقامِ مَقامُكِ

وزُرْتِ رسولَ الله أَفْضَلَ مَنْ مَشَى
على الأرض واحتلَّتْ هناك خيامُكِ

فكان ببيتِ الله بَرؤُكِ أَوَّلاً
وزورة خيرِ الخَلْقِ كان اختتامُكِ

ويقول في قصيدة أخرى :

قد نوّرَ اللهُ بالتقوى بصيرتها
فلم يضعْ لها في غيرِها الزَمنا

حَجَّتْ وزارَتْ رسولَ اللهِ ثم أتَتْ
لِمصْرَ قَدْ أحْرَزَتْ أجْراً وحُسْنَ ثَنا

وادلهمَّت الحياة بوجه أبي حيان وترنَّق صفو حياته وظل يردد :

أبَعْدَ نُضارٍ أبتغي صَفْوَ عيشةٍ
وقد كدَّرَتْ ، يا بعد عيشي من الصَفْوِ

لقد أشْرَبتُ قلبي وطرفي ومسمعي
ومالِيَ من فِكْرٍ ومالِيَ من عضوِ

وإني معمور الزمان بشخصها
يمثّلُ لي في الأمْسِ واليومِ والغَدْوِ

وعاهَدْتُ أنّي لا أزالُ إزاءَها
مُقيماً كئيباً دائمَ الشَوْقِ والشَجْوِ

الى أنْ توافيني شَعوبُ فنرتقي
من الوهدةِ السُفْلى الى العالَمِ العلْوي

لَئِنْ كان غيري قَدْسَها عن حبيبه
فما أنا يوماً عن نضارٍ بذي سَهْوِ

وإنْ كان سكرانٌ من الحب قَدْ صحــا

فـاني ســكرانٌ ، ومـالي من صَحْـو

ولحقت زوجُه زمردة بابنتها نضار عام٧٣٦هـ فبكاها كما بكى ابنته ورثاها أحر الرثاء ، يقول وهو يرثي ابنته :

ثمَّ راحَتْ لمّـا قضى اللهُ فيهـا

بثنـاءٍ وطيّـبِ التّـذْكــارِ

ودَهاني من بَعْـدِ ذلك فَقْدي

أمَّ حيّــان خِـيرةَ الأخيــارِ

كانت اُنْسي في وَحْـدتي واغترابي

ومنـامي ويقظـتي وســفاري

ونديمــي في رِحْـلتي ومقــامي

وزميلي في حجتــي واعتمــاري

كُنْتُ أرْجو بأنْ تعيشَ وتبقى

حـين سـقمي تدور بي وتــداري

لم تـكن زوجةً ولـكن كـأمٍّ

وأنـا كابنهـا صغـيرُ الصغـار

كانَـتِ الروحَ بـين جنبيَّ راحت

فحياتي صارت كثـوبٍ مُعــارِ

دَعَتِ اللهَ أَنْ تموتَ سريعاً
في حياتي في عِزَّةٍ واستتارِ
فأَجابَ الإلهُ منها دُعاءاً
وقضت نَحْبَها لدارِ القرارِ
فَسقى اللهُ قَبْرَها ـ غيرَ عاثٍ
وحباها بديمةٍ مِدْرَارِ

وأبو حيان لا يرجو الحياة بَعْدَها :

أأرجو حياةً بعد فَقْدِ زُمُرَّذٍ
وكانَتْ بها روحي تَلَذُّ وتَغْتَذي
زُمُرَّدُ قد خَلَّفْتِ للصَّبِّ لوعةً
وحُزْناً بقلبي آخِذاً كُلَّ مأخَذِ

وفي هذه القصيدة الطويلة يتحدث عن زوجه ويصف اخلاقها وعلمها وتقواها وحجها بيت الله الحرام وزيارتها للرسول عليه السلام •

وفي ديوان أبي حيان لون آخر من الرثاء وهو رثاء اساتذته واصدقائه، فقد رثى استاذه رضي‌الدين الشاطبي وأبا القاسم بن سهل وصدقة الطيبي • وتغلب النظرة العقلية في هذا الرثاء ، ولا نحس بالعاطفة الجياشة التي لمسناها في رثاء اولاده وزوجه •

المديح :

ومَدْحُ أبي حيان يكاد يكون مقصوراً على أهل العلم والأدب ، من أصدقائه وشيوخه وتلاميذه • ولعل لانقطاعه للعلم وعزوفه عن حب الشهرة والحياة الرغدة أثراً في هذا الاتجاه ، فليس له صلات بالسلاطين

والحكام تدفعه الى التزلف والمديح ، وليس له أرب في عطاياهم • وهو حينما مدح جلال الدين القزويني وابنه لم يقصد الرفد والمال وحده بل لانّه قسا على الزنادقة وغيرهم من المضللين ، يقول :

أَلا يا قُضاة المسلمينَ أَلا انْهضوا
لقتلِ كفورٍ صار في الدين قادِحا
كأني بالقاضي المعظَّمِ قد دَرى
بهم فاغتدوا فوق الترابِ ذبائحا
وإنَّ جلالَ الدين قاضي قضاتنا
أقام منارَ الشَّرْعِ فالتاح واضِحا
وقام بنَصْرِ الدّينِ دينِ محمدٍ
وأَخْمَدَ شَراً كانَ كالنار لافحا
على حين لم يَنْهَضْ الى نَصْرِه امرؤٌ
سواه فأضحى وافِرَ الأَجْرِ رابحا
فدام جلالُ الدين للدينِ ناصراً
وللعلِم ذا نَشْرٍ وللجود مانحا

ولا ينسىُ أبو حيان جود القزويني وكرمه ، يقول في قصيدة أخرى :

كريمٌ متى تَسْأَلْه شيئاً فانه
يجودُ ويُعْطي ما تشاءُ ويتتقي
وإنَّ جلالَ الدين قاضي قضاتنا
لخيرُ إمامٍ في الفضائل مُعْرِقِ

ويقول عن تاج الدين ابن القزويني :

جليل قَدْرٍ جلال الدين والدُه
قاضي القضاة فمنه نُورُه لاحا

إنَّ الزمانَ بتاجِ الدين مُزْدَهِرٌ
يكادُ مِنْ طَرَبٍ يَهتَزُّ أفْراحا

ومدائحه الاخرى قالها في ابن منظور صاحب « لسان العرب » وأبي زكريا ابن القاسم العزفي وابن الفصيح وابن تيمية وتاج الدين السبكي وبهاء الدين بن النحاس وغيرهم من اصدقائه وشيوخه وتلاميذه .

ولأبي حيّان مدائح في العلم والنحو وغير ذلك ، وهي تدل دلالة واضحة على انصرافه الى الحياة العلمية المحضة وعزوفه عن ملذات الحياة والوقوف أمام أبواب الأمراء والسلاطين .

وليس لأبي حيان قصائد مستقلة في الهجاء وانما تأتي أهاجيه في غضون مدائحه والفخر بنفسه .

الوصف :

وقصائده في الوصف قليلة ، ومن ذلك قوله :

لقد ذكرتُك والبحرُ الخضمُّ طغت
أمواجُه والرَّدى منه على سَفَرِ

في ليلةٍ أسْدَلَتْ جلبابَ ظلمتها
وغاب كوكبُها عن أعْيُنِ البَشَرِ

والماءُ تَحْتَ وفَوْقَ المُزْنِ واكفُه
والبرقُ يستَلُّ أسيافاً من الشَّرَرِ

والفُلْكُ في وَسَط الماءين تحسبُها
عَيْناً وقد أطبقَتْ شفراً على شفرِ

وقوله يصف متنزهاً خرج اليه مع ناس من اصحابه :

صَفَفْنا حوالي بركةٍ راقَ ماؤها
ورقٍّ كأخلاقٍ لنا لم ترنَّقِ

سَبَحْنا بها عَوْماً ففارت لسِبْحنا
أوز ففاتتنا تَصيحُ وتلتقي

وناعورةٍ تحكي بطولِ بكائها
ورنَّتِها صَباً كثير التشوّقِ

لَئِنْ ضاقَ عنها الجفن من عَبراتها
فأضْلاعُها عن دَمْعِها لم تَضيَقِ

بَكَتْ فأرَتْنا الدّهْرَ يَضْحَكُ إذْ بكت
وناحَتْ فأزْرَتْ بالحمامِ المطوّقِ

وقوله في وصف روضة :

عدٌّ للروضة التي قد تجلت
كعروس ونقّطَتها الغيومُ
فاكتسى أيكُها من الزَهْر زُهْراً
فكأنَّ الغصونَ فيها النجومُ

وله قصيدتان احداهما فى وصف التمساح والاخرى فى وصف الفيل ، يقول في التمساح :

وخلقٍ غريبِ الشكلِ في مصرَ ناشيء
وما هو في أرضٍ سوى مصرَ يُوجد
هو السبعُ العادي بنيل صعيدها
يقافص مَنْ للماء في النيل يقصِدُ

ويتحدث عن افتراسه الناس ، ويصف ذنبه الطويل المرخى الذي يلفه حول فريسته ، واسنانه ، وصلابة جلده الذي هو كالصفيح المسرد ، والجلدة اللينة التي تحت ابطه وفيها يكون مصرعه •

ويقول في الفيل :

وأدكنَ مثل الطودِ أمّا سراتُه
ففيحاءُ يعلوها عديدٌ من الرجلِ
له جثّةٌ عظمى كأنّ إهابه
صفيحُ حديدٍ لا يخرّق بالنبْلِ

ثم يصف حدّةَ بصره وقوته وكيف يهزالأرض فتميد بأهلها كأنّ بها الزلزال • والفيل سفينة البر له خرطوم يقوم مقام اليد في الأخذ والرمي والأكل ، ويلعب بالأسياف كأنها مخاريق بالأيدي ، ويخر ساجداً للسلطان حتى كأنه انسان يحس ويشعر ، يقول :

إذا ما رأى السلطان قد خرَّ باركاً
له خدمة غرزاً بأنيابه العُصْلِ
ذكيٌّ أخو فهمٍ على عظْمِ جسمه
يكاد يباري في الذكاء ذوي العقْلِ

فلو صَحَّ قولٌ بالتناسخِ قلت: قد
سرت روحُ أَرَسْطو لجثمانه العَبَلِ
غريبَ بلادٍ قد تأنَّس بعدما
توحَّشَ دَهراً في يَبابٍ وفي أَهْلِ
تعالى الذي أَنْشاه شَكْلَ بعوضةٍ
فلا فَرْقَ إِلاَّ بالتكثرِ والقلِّ

الحكمة :

تتجلى في شعر أبي حيان الأخير الحكمة والتأمل ، ولا سيما بعد أن خطا خطوات واسعة نحو الشيخوخة والوحدة التي فرضها على نفسه بَعْد مَوْت أحبابه واصدقائه ، ومن ذلك قوله :

يا منضيَ الطَّرْفِ في مَيْدانِ لذَّتِه
وناضيَ الطرْفِ بين الرَّاح والرودِ
سَتَشْرَبُ الراحَ راحَ الوقتِ كارهةً
ويذهبُ الجسمُ بين الترْبِ والدودِ

وقولـه :

طالِعْ تواريخَ مَنْ في الدَّهْرِ قد وُجدوا
تَجِدْ خطوباً تُسلّي عنك ما تَجِدُ
تَجِدْ أكابرهم قد جرعوا غصصا
من الرزايا بها كم فُتِّتَتْ كَبِدُ

وقولـه :

ويزهى الفتى بالمالِ والجاه في الدنى
ولذةِ مطعومٍ وناعمِ ملبوسِ

وغايتــه ضَعْفٌ وشيبٌ وميتــةٌ
وقبــرٌ وبعْثٌ للنعيــمِ أو البـوسِ

وقولـه :

إذا استَتْبَعت نفس امـريء نفس غيره
فتلك لهــا عــزٌ وهذي لهــا ذلٌ
كفى بك نَقْصاً أنَّ غيرك حاكمٌ
عليـك فلا عقـدٌ اليـك ولا حَــلُّ

ومن أبياته السائرة في الحكمة قوله :

عداتي لهم فضلٌ عليَّ ومنــة
فـلا أذهب الرحمــنُ عني الأعــاديا
هُمُ بحثـوا عن زلَّتي فاجتنبتهـا
وهـم نافسـوني فاكتسبت المعاليا

وشعر الحكمة مبثوث في قصائده وديوانه ، ويمثل هذا اللون اتجاه أبي حيان في حياته الأخيرة •

التصوف :

ازدهر التصوف ازدهاراً عظيماً في عصر أبي حيان ، وظهر في مصر عدد كبير من ائمته الذين تنسب اليهم طرق ومناهج بأعيانها أمثال ابراهيم الدسوقي والسيد احمد البدوي وأبي الحسن الشاذلي وأبي يوسف العباسي المرسي وعبدالعزيز الدريني وغيرهم[١] • وكان لأبي حيان موقف خاص من بعض المتصوفة فقد وقف بوجههم ورماهم بالالحاد والزندقة والنجاسة ونبه الناس الى اعمالهم وسَرَدَ اسماءَهم عندما فسر قوله تعالى : « لقد

---

(١) ينظر الادب الصوفي في مصر للاطلاع على حركة التصوف ومعرفة الاعلام •

كفر الذين قالوا إنّ الله هو المسيح بن مريم »[1] .

ويرى ان من يلبس الصوف ويدعي العلم بالمغيبات انما يفعل ذلك لأجل الانصراف عن العمل والتكسب الى اللهو واللعب بعقول الناس ، ولأجل جمع الاتباع والمريدين . إنّ المتصوفة يتباهون بالعلم وهم أجهل الناس ، ويلبسون الصوف وهم عارون عن الفضل ، يقول :

أَيا كاسياً من جيِّدِ الصُّوفِ نَفْسَه
ويَا عاريا مِن كُلِّ فَضْلٍ ومن كَيس
أتُزْهَى بصوفٍ وهو بالأَمسِ مصبحٌ
على نعجةٍ ، واليومَ أمسى على تَيْسِ

ويقول في المنتسبة الى الصوف :

فارتَموا يدعون أمراً عظيماً
لم يكن للخليلِ لا والكليمِ
بينما المرءُ منْهمُ في استِفْال
أَبصر اللوح ما به من رقومِ
فجنى العلم منه غَضّاً طرياً
ودرى ما يكون قبل الهجومِ
إنَّ عقلي لفي عقالٍ إذا ما
أَنا صدَّقْتُ بافتراءٍ عظيمِ

قال أبو حيان قبل هذه الأبيات : « ولقد ظهر من هؤلاء المنتسبة الى الصوف أشياء من أدعاء علم المغيبات ، والاطلاع على علم عواقب اتباعهم

(1) ينظر البحر المحيط ج٣ ص٤٤٩ ، وأبو حيان النحوي ص٢٢٨ .

وانهم معهم في الجنة مقطوع لهم ولاتباعهم بها يخبرون بذلك على رؤوس المنابر ،و لا ينكر ذلك أحد • هذا مع خلوهم عن العلوم يوهمون انهم يعلمون الغيب ••• وقد كثرت هذه الدعاوى والخرافات في ديار مصر ، وقام بها ناس صبيان العقول يسمون بالشيوخ عجزوا عن مدارك العقل والنقل وأعياهم طلاب العلوم »[1] •

ولأبي حيان مع ذلك قصائد على طريقة أهل التصوف ، وقد ذكر ابن الملقن انه لبس ملابس الصوفية ، يقول : « وأجاز لي شيخنا الاستاذ أبو حيان الاندلسي جميع ما يسوغ له روايته ، حضرت عنده وسمعت عليه ، وهو لبس من شيخه قطب الدين القسطلاني وكمال الدين بن النقيب »[2] • ومن شعر أبي حيان في هذا الغرض :

سَرَتْ من نسيمِ الأنسِ ما عطَّرَ الكونا
فبحتُ بسر طال كتمي له صَوْنا

وما نَظَرَتْ عيني الى غير واحدٍ
تصرّف في كلٍ ، فلونٌ يرى لَوْنا

وما أَدْرَكَ الاشياءَ غيرُ منطّقٍ
أخي لُطُفٍ يَمْشي على أَرْضِهِ هَوْنا

فكم بَيْنَ ذي عِلْمٍ وآخَرَ جاهلٍ
وكم بين ذي نُورٍ وعادِمِهِ بَوْنا

هي النَّفْسُ يجلوها فتبدو حقائقٌ
بها وصداها الجون يظهره جَوْنا

---

(١) البحر المحيط ج٤ ص١٤٥ •
(٢) طبقات الأولياء (مخطوطة مكتبة الاوقاف العامة ببغداد ومخطوطة الظاهرية بدمشق ونسخة الاستاذ عبدالله الجبوري التي يقوم بتحقيقها) •

ومن أبياته في غرض التصوف قوله :

تفرَّدْتُ لما أنْ جمعت بذاتي
واسكنت لما أَنْ بدَتْ حركاتي

فلم أرَ في الأكوان غيري لانني
أزحت عن الأغيار روحَ حياتي

الى آخر الأبيات •

الفلسفة :

ووقف من الفلاسفة كما وقف من المتصوفة ، ورأى أن كلامهم مطرح لا يلتفت اليه وانه ينبغي تنزيه تفسير الكتاب العزيز منه[1] • وحمل عليهم وعلى القرامطة والزنادقة حملة عنيفة ، يقول :

أرى كلَّ زنديقٍ إذا رام نَشْرَ ما
طواه ادّعى أَنْ صار في الناس صالحا

فيستخدمُ الجهّالَ يَنْهَبُ مالهم
ويُبْدي لهم كِذْباً على الله فاضحا

قرامطُ دَجّالونَ سُنْخُ ضلالةٍ
كلابٌ على الاسلام أَضْحتْ نوابحا

ويذكر في هذه القصيدة أنّ هؤلاء حرفوا القرآن الكريم تحريف كافر ويدعو قضاة المسلمين الى قتل كل كفور صار في الدين قادحاً ، ويمدح جلال الدين الخطيب القزويني لانه نهض لهذه المهمة وأخمد الشر الذي أثاره هؤلاء •

---

(١) ينظر البحر المحيط ج٥ ص٣٨٧ وص٤١٦ ، وأبو حيان النحوي ص٢٣٠ •

ويقول في قصيدة أخرى :

أَمطلباً رَشاداً من أناسٍ
غَدَوا وَهُمْ على غَيٍّ عكوفُ
قد اتخذوا مجالسَ لاجتماعٍ
بأغمارٍ وهم فيه صنوفُ
فَبَعْضُم اتحاديٌّ وبعضٌ
لباطِنٍ أو لفلسفةٍ يَشوفُ
قرامِطُ يدَّعون لهم صلاحاً
ودنيا والفسوقُ لهم حَليفُ

ويتحدث عن كذب الفلاسفة فيقول :

وادَّعى الفيلسوفُ وهو كذوبٌ
إنَّ عَودَ الجسومِ صار مُحالا
وسَواءٌ إِعادةٌ وابتداءٌ
عند ربي والعَودُ أهوَنُ حالا
كُلُّ ما شاءَه إلهُ البرايا
كونَه فهو كائنٌ لا محالا
واختلافُ الأنامِ في النفس جَهْلٌ
لا يزيدُ البحَّاثَ إلاَّ ضلالا
هي خَلْقٌ وليس يَعْلَم خَلقٌ
كنهَها ، إنها عجيبٌ فعالا

وادَّعى علمه بها فَلْسَفيٌ
بكلامٍ قد أَوْهَمَ الجُهّالا
وأَدَّعى إِنَّها قديمةُ ذاتٍ
قِدَمَ الربِّ، جَلَّ ربي جلالا

الزهد :

وهذا الفن من شعره المتأخر قاله بعد أن ذاق حلو الحياة ومرها ، وبعد أن مرّ بتجارب كثيرة ورأى الناس على طبيعتهم . وكان لابدّ له أن يزهد بكل شيء بعد أن ايقن أنّ الحياة فانية ، وبعد أن ودّع اولادَه وزوجَه واصدقاءَه ، يقول :

وما لكَ والاتعابَ نَفْساً شريفةً
وتكليفَها في الدَّهْرِ ما ليس يَعْذُبُ
أَرِحْها فعَنْ قُرْبٍ تُلاقي حمامَها
فتنعمُ في دارِ البقا أَو تُعَذَّبُ

ويقول في المال :

وزهَّدَني في جمعيَ المالَ أَنَّه
إِذا ما انتهى عند الفتى فارَقَ العُمْرا
فلا رُوحُه يوماً أراحَ من العَنا
ولم يكتسِبْ حَمْداً ولم يَدَّخِرْ أَجْرا

ويقول :

تذكُري للبلى في قَعْرِ مظلمةٍ
أَصارني زاهِدا في المالِ والرُّتَبِ

إني أُسَـرُّ بحـالٍ سوف أُسْلبهـا
عمّـا قريبٍ وأبقى رِمّـة التربِ

ويقـول :

لقـد زادنـي بالنَّاس عِلْمـاً تجـاربي
ومن جَرَّبَ الأَيامَ مثلي تَعلَّمـا
وإنـي وتَطْـلابي مـن الناسِ راحَـةً
لكالمبتغي وَسْـطَ الجحـيم تنعُّمـا
سَـأَزْهَدُ حتـى لا أرى ليَ صاحبـاً
وأُنْجِـدُ حتـى لا أُلاقيَ مُتْهِمـا

ويقـول :

يومُنـا يُشْـبه أَمس مِثْلَمـا نُصْبِحُ نُمسي
إنَّ هـذي لحيـاةٌ مـا تساوى عشر فَلْس

الاخوانيات :

ولأبي حيان مطارحات ومجاملات مع اصدقائه واساتذته وتلاميذه ، وفي ديوانه وشعره المنثور في الكتب أمثلة كثيرة ، من ذلك قوله مخاطبا ابن جماعة عند ولادة ابنه عمر بعد بنتين :

حبيتَ بريحـانتي روْضَـةٍ
وبعـدَهما جاءَ نَجْلٌ أغَرّ

وقوله رداً على أبيات تلميذه بهاءالدين السبكي :

أبـو حامـدٍ حَتْمٌ علـى النـاس حَمْـدُه
لمـا حـاز من علـمٍ بـه بـانَ رُشْـدُه

وقوله لابن فضل‌الله الذي طلب منه استعارة ديوان أبي فراس فأرسله اليه أبو حيان مع أبيات أولها :

لا سفْرَ هــذا السفر إنْ صار مُلْكَ مَنْ
مكارمُــه أَنْدى وأَجْــدى من السُّحْبِ

ومن ذلك قصائده في بدر الدين الاسعردي ، وبدر الدين بن جماعة ، وشرف‌الدين الحراني ، وجلال‌الدين القزويني ، وشرف‌الدين السنجاري المجدلي امام جامع الأزهر قطب الدين ، وشمس‌الدين السروجي الحنفي ، والقاضي نجم‌الدين ، وابن الوكيل ، وبهاء‌الدين بن النحاس الحلبي ، والوزير أبي القاسم الرندي ، والتاج مظفر الذهبي وغيرهم •

وتظهر القصائد التي قيلت في هؤلاء أو وجهت اليهم علاقة أبي حيان بأعيان عصره ومودتهم واحترامهم العظيم له • وكان بعض هذه القصائد جوابا لرسائل أو أبيات شعرية بعث بها هؤلاء الأعلام •

الشكوى :

رفع أبو حيان صوت الشكوى بعد أن تخطى عتبة شبابه وكهولته ، ومضى يشكو مما هو فيه من حزن وألم ، ولوعة وفراق ، ومما لقيه من الأيام والناس ، يقول :

أَيَّ عيشٍ لشُــيــيخٍ هــو حَيٌّ مثْــلُ ميْت
عادِمُ الانس غــريبٌ مُفْرَدٌ من أَهْلِ بيت
ولـه نفسٌ تنــادي للمنــايا هَيْتَ هيْت

ويقــول :

رمــاني الزَّمــانُ بأَحْداثــه
وكنْتُ صَــبوراً عـلى مـا حَدَثْ

وأَفْنى الشَّبابَ وأَهْلاً قَضَوا
وما كُنْتُ ممن بذاك اكترثْ

ويقول :

مَلَلْنا ومَلَّتْنا الحياةُ فلو أَتَتْ
شَعوبُ استَرَحْنا من مُقاساةِ أعْراضِ
تقارُبُ خَطْوٍ وانحناءٌ وشَيبةٌ
وضَعْفُ لحاظٍ وانتهاض كمنهاضِ

ويقول :

حَلَبْتُ الدَّهرَ أشْطُرَهُ زَماناً
وأَغناني العيانُ عن السّؤالِ
فما أَبْصَرْتُ من خِلٍّ وَفيٍّ
ولا أَلفيت مشكورَ الخلالِ
ذئابٌ في ثيابٍ قد تَبَدَّتْ
لرائيها بأَشْكالِ الرجالِ

ويشكو من ضعف بصره فيقول :

ومنذ عيا بصري ضعفه
قَعَدْتُ كأني رهينُ الجَدَثْ
وقد كنْتُ مستأنساً ساكناً
فقد صِرْتُ مُسْتَوحشاً ذا عَبَثْ
إذا رُمْتُ انظر في مهرق
تغشى سَنا ناظريَّ الشَّعَثْ

ويقول :

أرى بصري قد قلَّ إذْ صِرْتُ مبتلى
بدائرةٍ منها لوجهي براقع

ويقول :

عَشِيَتْ عيني فلا أُبْصِرُ ما
خطَّ في صُحُفٍ ولا شيء حسن
ولقد كان أنيسي بَصَري
فعدمْتُ الأُنْسَ منه والوسن

ويشكو من الناس لانه لم يجد فيهم رجلاً صالحاً ، يقول :

عجبْتُ لمثلي عِشْتُ سبعين حجة
وتسعاً أُلاقي النَّاسَ شَرْقاً ومَغْرِبا
فما ظَفِرَتْ عَيْني بمَنْ هو صالحٌ
سوى مَنْ به بين الأنام تلقَّبا

ويقول :

وقد جلْتُ ما بين الحجازِ ومغربٍ
واندلسٍ مع مِصْرَ في البرِّ والبَحْرِ
فلم أرَ في الدنيا امْرءًا هو يرتجى
لنفعٍ ولا يدعى ليكشف عن ضُرَّ

ويقول في أهل مصر الذين عاش معهم زمناً طويلا :

عذيري من بني مصْرٍ فاني
أَفَدْتُهُمُ العلومَ ، ولا فخارُ

أَقَمْتُ بمصرِهم ستين عاماً
فلم يُخْلِص لي فيهنَّ جارُ
وفارَقْتُ الأَنامَ وفارقوني
فها أنا لا أَزورُ ولا أُزار
فانْ ماتوا فلا أَسَفٌ عليهم
وإنْ مُتْنا فقد ماتَ الخيار

ولذلك انصرف أبو حيان عن الناس وجلس مع كتبه التي هي أعز ما عنده ، يقول :

أرحت نَفْسي من الايناس بالناس
لما غنيتُ عن الأكياس باليأسِ
وصِرْتُ في البيت وَحْدي لا أرى أحداً
بناتُ فِكْري وكتبي هنَّ جلاّسي

ويقول :

أعاذِلَ ذَرْني وانفرادي عن الورى
فلستُ أُرى فيهم صديقا مصافيا
نداماي كُتْبٌ أَسْتفيدُ علومَها
أَحِبّايَ تُغْني عن لقائي الأعاديا
وآنَسُها القرآنُ فهو الذي به
نجاتي إذا فكرْتُ أو كنت تاليا
لقد جلْتُ في غَرْب البلاد وشرقها
أنقب عمن كان لله داعيا

فلم أرَ إلا طالباً لرياسةٍ
وجمّاعَ أموالٍ وشيخاً مُرائيا
قبضْتُ يدي منهم وآثرت عزلةً
عن الناس ، واستغنيت بالله كافيا

وكان سيء الظن بالناس ، يقول :

وأوصاني الرضيُّ وصاةَ نُصْحٍ
وكان مُهَذَّبا شَهْماً أَبيا
بألاَّ تحسِنَنْ ظَنَاً بشخْص
ولا تصحبْ حياتَك مغربيا

ويقول :

قصرْتُ ذاتي على ذاتي وقُلْتُ لها :
فرّي عن النّاسِ ما منهم ترَي حَسَنا

ويقول :

إذا كان للانسانِ عِنْدكَ حاجة
أتى رائحا فيها اليك وغاديا
فانْ تَقْضِها يَوْماً فليس مسلماً
عليك ويهوى أنْ يُرى لك ناعيا

وما دام الناس كذلك فليتمسك بالدراهم وليعض عليها بالنواجذ لانها أجل شفيع ، يقول :

أَجَلُّ شفيعٍ ليس يمكن رَدُّه
دراهِمُ بيضٌ للجروحِ مراهمُ

تَصيَّرُ صَعْبَ الأمرِ أسهلَ ما أرى
وتقضي لبـانات الفتى وهـو نـائم

ومن شكواه التي هي أقرب الى العتاب قوله :

أَلا أَبلغ فلانَ الدين عَتْبي
عليه فقد تمادى في الجفاءِ
صَفَوْتُ له ضَمِيراً واعتقاداً
فجازاني بمذْقٍ لا صَفاءِ
ورامتْ مُهْجتي منه وفاءً
وهل خِلٌ يدوم أخا وفاءِ

فنون اخرى :

ولأبي حيان شعر في فنون أخرى منها حديثه عن نفسه واعتزازه بهله وفخره بشعره ، يقول :

ولي هِمَّةٌ هامَتْ بادراك غايةٍ
من العز من يُبْصِرْ بها يكثر الغبطا

ويقول :

إِذا أَنا أَوْدعت الترابَ فلن ترى
كمثلي نحوياً أَحدَّ وأَحْذَقا

ويقول عن صون علمه :

إنَّ عِلْماً تَعِبْتُ فيه زماني
باذِلاً فيه طارفي وتلادي

لجدير" بأنْ يكونَ عزيزاً

ومصوناً إلاَّ على الأَجْواد

ويقول عن حضوره مجالس العلم :

وميدان عِلْمٍ قد حَضَرْتُ ولم يكن

لغيري احضار به أَنا فارِسُه

إذا قُلْتَ أصغى أَهْلُه وتفهموا

غوامضَ قد أعيت على من يجالِسه

لنوّه بي علمي وزِدْتُ جلالة

وغيري في خاملُ الذِّكْرِ باخِسُه

وطبّقَ ذكري الأَرْضَ حتى كأنما

أَنا مَثَلٌ سارٍ تخبُّ عرائِسُه

كأني شَمْسٌ قد أَضاء بنورها

جميعُ الدنى معمورُه ودوارِسُه

ليشْنَا حياتي من أَرادوا فانني

شجا حلقه حتى يواريه رامِسُه

ويتحدث عن شعره فيقول :

ولقد بَعَثْتُ من الكلام قَوافيا

تحوي من السِّحْرِ الحلالِ بدائعا

ويقول

إذا ما مضى بَيْتٌ تلاه نظيره

سريعاً وإنْ لم أَدْعُ آخرَ يَلْحقِ

فلا الفِكْرُ مكدودٌ ولا الشعر غامض
ولكنه كَالبحـــر إِنْ يَطْمُ يَفْهَــقِ

ومنها حديثه عن صون ماء وجهه وعن تواضعه وقناعته وتقريعه لنفسه وأمانيه التي تداعب أحلامه ، وما تلك الأماني الا تلاوة القرآن وعفة النفس يقول :

أُريـدُ من الدنيـا ثَـلاثاً وإِنَّهـا
لغايـةُ مطلوبٍ لمن هـو طالِبُ
تـلاوةُ قـرآنٍ ونَفْسٌ عفيفَـةٌ
واكثـارُ اعمالٍ عليهـا أواظِبُ

ويكرر هذه الأمنية في أبيات أخرى فيقول :

أَمـا أَنَّه لـولا ثـلاثٌ أُحِبُّهـا
تمنيتُ أَني لا أُعَدُّ من الأَحْيـا
فمنها رجائي أنْ أفـوزَ بتوبـةٍ
تكفرُ لي ذَنْباً وتنجـح لي سَـعْيا
ومنهُنَّ صَوْني النَّفْسَ عن كُلِّ جاهلٍ
لئيمٍ فـلا أمشـي الى بـابه مشْـيا
ومنهنَّ أَخْـذي بالحديث إِذا الورى
نَسوا سُنَّةَ المختارِ واتَّبعـوا الرَّأيا
أَتتـركُ نَصّـاً للرسـولِ وتقتـدي
بشخصٍ ، لقد بدّلت بالرشـد الغيـا

ومنها حديثه عن ابن ابنه وحجه وحج عائلته بيت الله الحرام ، وشوقه اليهم وفرحه بالبشير الذي نادى بقرب وصولهم :

قلت للنفس وهي ذاتُ اضطرابٍ
استكني فقد تقضى السَّفار
قد أتانا مبشِّرٌ بالتداني
وغداً تجمعُ الحبيبَ الديارُ

ومنها كلامه على النفس وعودتها ، وعلى صلف الأغنياء وشهوة الانسان ومتعته ، والنفور من الزواج وبلاء الدراهم والنساء .

ومن ذلك حديثه عن الصحابة - رضوان الله عليهم - يقول فيهم :

وقُلْ : إنَّ أصْحابَ الرسول هم الأُلى
بهم يُقتدى في الدين بالقول والفِعْلِ
همُ خَيْرُ خَلْقِ اللهِ بعد نبيهم
فليس لهم في السَّبْقِ والفضل من مِثْلِ

وحديثه عن الكتب وعلى رأسها كتاب الله الحكيم الذي نزل معجزة وقف الناس أمامها مبهورين ، يقول عن الرسول (ص) ومعجزة القرآن :

يتلو كتاباً من الرحمن جاءَ به
مُطَهَّراً ظاهرٌ منه وتأويلُ
جارٍ على مَنْهجِ الأَعْراب أعجزهم
باقٍ مدى الدَّهْرِ لا يأتيه تبديلُ
بلاغة عندها كَعَّ البليغُ فلم
ينْطِقْ ، وفي هَدْيه طاحَتْ أضاليلُ

وطُولبوا أَنْ يجيئُوا حين رابهم
بسُورةٍ مثله فاستعجز القيلُ

ويقول عن الكتب التي أعجبته :

أَيا طالباً أَنْ ينالَ الأربْ
قريباً عليك لسان العربْ
تُشاهِدُ مجموعَ ذي خبرة
بصيرٍ بما قد نأَى واقتربْ

ويتحدث عن « لسان العرب » لابن منظور في قصيدة أخرى فيقول :

تَمَّ لسانُ العربِ فجاء قصد الاربِ
عشرون سِفْراً بعدها سبع ذوات نخبِ
جاء جمالُ الدين في تصنيفه بالعجبِ
أَبْقاه ذخراً للورى يبقى بقاء الحقبِ

ويتحدث عنه في قصيدته التي مطلعها :

أَجلْتُ لحاظي في الرياضِ الرمائثِ
ونزّهتْ فكري في فنون المباحثِ

ويشير أبو حيان كثيراً الى كتبه في قصائده ، مفتخراً حيناً ، ومبيناً أهميتها أحيانا أخر ، ويتكلم على الكتب وأهميتها وقيمتها ، ولكنه لا يرى بها فائدة عظيمة من غير أستاذ يوضح مشكلها ويحل غامضها ، يقول :

أمُدَّعياً عِلْماً ولستَ بقارىءٍ
كتاباً على شَيْخٍ به يسهل الحزْنُ

أتزعم أنَّ الذِّهنَ يوضح مشكلاً
بلا موضح ؟ كلاّ لقد كذب الذِّهنُ

وإنَّ الذي تبغيه دون معلّمٍ
كموقدِ مصباحٍ وليس له دهنُ

ويثور أبو حيان في بعض الأحيان على مدعي العلم لانهم يزهون على غيرهم ويفخرون مع أنهم لم ينالوا من العلم الا طرفا يسيرا .

ولم يسلم شعر أبي حيان من الألغاز التي شاعت في عصره ، يقول في صفات الحروف وأخرجها مخرج التغزل :

أنا هاوٍ لمستطيلٍ أغنٍّ
كلما اشتدَّ صارت النفسُ رخوه

أهمسُ القولَ وهو يجهرُ سراً
واذا ما انخفضت أظهر علوه

فتح الوصل ثم أطبق هجراً
بصفيرٍ والقلب قلقل شجوه

لآن دهراً ثم اغتدى ذا انحراف
وفشا السر مذ تكررت نحوه

وله في الممازحة قوله :

يا مَنْ يوالي علينا دائما ورَقا
هلاّ بعثتَ لنا في طيها وَرِقا

إنْ كان أعجزكم من فقركم وَرَقْ
فليس تعجز أنْ تُهدي لنا ورَقا

من كان في خِدْمة الملك الهمام يكن

ذا همةٍ ويجِدْ نحو النَدى طَرقا

هذي ممازحةٌ ليست مطالبةً

تقضى بصفو ودادٍ لم يكن رَنِقا

* * * *

هذه نظرة عابرة ألقيناها على شعر أبي حيان لنصور جانباً ما يزال مهملاً من جوانب حياته ، فقد عرف نحويا ولغويا ومفسراً ولم يعرف شاعراً له ديوان • ويتضح في هذه النظرة أن الرجل شغف بالشعر وكان ينحو فيه منحى عربيا في الصياغة والأسلوب والأغراض ، ولم يخرج على ما عرف في الشعر العربي القديم الا في موشحاته التي خلا منها الديوان ولم نعثر الا على موشحين أثبتناهما في التكملة • ويكاد أبو حيان يقصر شعره على الغزل والرثاء وهما من الفنون الذاتية التي تعبر عما يختلج في نفسه من هوى ومودة ، أو حزن وشكوى • ولا نجد له شعراً في مدح الأمراء والسلاطين كشعراء عصره ، لانه ابتعد عن ساحاتهم ووقف حيث يقف العلماء الذين يتباهون بعلمهم ويفخرون بأنفسهم ويعتزون بها كل الاعتزاز • وهو من الذين يتحاشون صحبة الملوك الذين يستخدمون الناس في ملذاتهم ، أليس هو القائل :

لا تَصْحَبَنْ مَلِكاً أوْ مَنْ يلوذُ به

وإنْ تَنَلْ منهم عِزّاً وتمكينا

يستخدمونَك في لذات أنْفسهم

ويذهب العُمْرُ لا دنيا ولا دينا

ولعل أبا حيان كان يرى في الشعر سلوى وعزاءاً وترويحاً عن النفس في ساعات يأسها أو نشوتها فينطلق مغرداً كما تغرد البلابل على

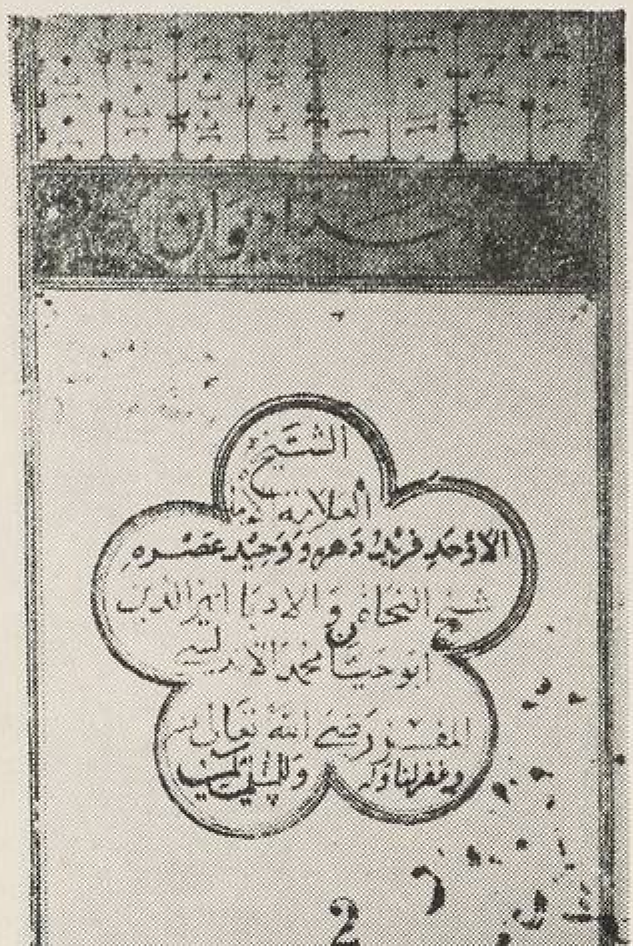
الدوح وقت السحر . ولو انه عاش في عصر الشعر الذهبي لأبدع ايما ابداع ولأجاد كما أجاد الشعراء الكبار ، ولكنه كما قال المتنبي :

أتى الزمانَ بنوه في شبيبته
فسرَّهم وأتيناه على الهرمِ

ومهما يكن الأمر فأبو حيان شاعر كبير بين شعراء عصره ، ولعل هذه النظرة العجلى تحرك الأدباء والباحثين الذين يعنون بدراسة الأدب بعد سقوط بغداد عام ٦٥٦هـ ، وتدفعهم الى الكتابة عن هذا الشاعر الذي طغت عليه سمعته العلمية في التفسير والنحو واللغة فأهملت شاعريته ولم يعن أحد بالبحث عن ديوانه الذي أشار اليه القدماء . وإنّ في طبع ديوانه وجمع شعره المتفرق في الكتب حافزاً قوياً لمن يريد أن ينصف هذا الرجل الذي ظل ديوانه مطموراً في رفوف مكتبة « وزان » بالمغرب العربي .

ومن الله التوفيق ؟

الدكتور احمد مطلوب



عنوان الديوان



بسم الله الرحمن الرحيم وبه التوفيق

قال سيدنا الشيخ العالم العلامة الامام الاوحد
الصدر المتقن المحقق فريد دهره ووحيد عصره لسان الادب
وترجمان العرب شيخ النحاة والادباء مولانا وسيدنا اثير الدين
ابو حيان محمد بن سيدنا الشيخ الصالح التقي الزكي ابي الحجاج يوسف
ابن علي بن يوسف بن حيان الاندلسي الاثري نزيل الديار المصرية حفظه الله
رحمه الله تعالى ورضي عنه ونفع المسلمين ببركة علومه امين

قافية الهمزة وقال رحمه الله

الا ابلغ فلانا الذي عشقه … علته فقد تمادى في الجفاء
صحوت له ضميرا واعتقادا … فما ارى بشرا ولا صفاء
وزانت [illegible] منه وفاء … وهل حال يدوم لها وفاء
وكان شفاء نفسي ان تراه … سرور [illegible] الشفاء
ولو ان لفلان عراه خطب … لكنت لما عراه ذا اكتفاء
ارد عراه مغلول شباه … [illegible]
واذكره [illegible] … واحفظه بغيب واختفاء

الصفحة الاولى

ديوان

أبي حيان الأندلسي

تحقيق

الدكتور أحمد مطلوب

الدكتورة خديجة الحديثي

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه التوفيق

قال سيدنا الشيخ العالم العلامة والامام الاوحد الصدر المتقن المحقق ، فريد دهره ، ووحيد عصره ، لسان الادب وترجمان العرب ، شيخ النحاة والادباء ، مولانا وسيدنا أثير الدين أبو حيان محمد بن سيدنا الشيخ الصالح التقي الزكي أبي الحجاج يوسف بن علي بن يوسف بن حيان الاندلسي الاثري ، نزيل ديار مصر ـ حفظه الله ـ رحمه الله تعالى ورضي عنه ونفع المسلمين ببركة علومه (١) ، آمين .

(١) يبدو أن عبارة « رحمة الله ... » أضيفت الى نسخة الديوان بعد موت أبي حيان .

قافية الهمزة

١

قال رحمه الله :

الوافر

أَلا أَبْلِغْ فلانَ الدين عَتْبي
عليه فقدْ تمادَى في الجفاءِ
صَفَوْتَ له ضَميراً واعتقاداً
فجازاني بمَذْقٍ لا صفاءِ[1]
ورامَتْ مُهْجتي منه وفاءً
وهل خِلٌّ يدوم أخا وفاءِ ؟
وكان شِفاءَ نفسي أَنْ تراه
يزور فعزَّ وُجدانُ الشفاءِ
ولو أَنَّ الفلانَ عراه خَطبٌ
لكنت لما عراه ذا اكتفاءِ
أَرُدُّ عراه مفلول شباة
فتُصبح نارهم ذاتَ انطفاءِ

---

(١) مذق الود : لم يخلصه .

واذكُرهُ وأنصُرهُ بخير
واحفَظْه بغيبٍ واختفاءِ

[٣]

وأَعْذِلُ ثم أعذرُ منه صبّاً
تشاغَلَ بالبنينَ وبالرِّفاءِ (١)
ورُبَّتَما يُقيم لَديَّ عُذراً
أرقَّ من الهَباءَةِ والسَّفاءِ (٢)
فغيري لو دعاهُ لبعض أمرٍ
لبادرَ ذا احتفالٍ واحتفاءِ
تميل النفسُ حيثُ يكون فيه
هواها ما بذلك من خفاءِ
وفي حاجاتِ غيري ذا اهتمام
وفي حاجِي تراهُ ذا انكفاءِ
نفَضْتُ يدي من الاصحابِ طُراً
على آثارهم دِيَمُ العفَاءِ
لئنْ أصبحتُ فيهم ذا انتقاءٍ
لقد أمْسَيْتُ منهم ذا انتفاءِ
وكُنتُ أظنُّهم زُبْداً فبانوا
لنا زَبَداً ذَهوباً كالجَفاءِ

(١) الرفاء : الاتفاق ·
(٢) الهباء : الغبار ، دقائق التراب ، والهباءة : القطعة من الهباء · السفا : التراب والغبار ·

أفي مثلي يضيعُ جميلُ فعلٍ
وعن مثلي يُعرِّدُ ذو اصطفاءِ(١)
من المصريِّ لا ترجو وفاءً
فقد خُلِقوا بلا واوٍ وَفاءِ

٢

وقال عفا الله عنه :

الطويل

لَئِنْ ظَهرتْ في مُقلةِ الحِبِّ حُمرةٌ
فما ذاكَ داءٌ يُختشى من بقائِهِ(٢)
ولكنها سيفٌ أَصابَتْ اداَ الهوى
فطارَ رَشاشٌ نحوها من دمائِهِ(٣)

٣

وقال يباسط شيخه العلامة بهاءالدين(١) ــ رحمه الله ــ

الخفيف

عُجْ بشيخِ النُّحاةِ والأُدباءِ
وإمامِ الأئمةِ الفُضلاءِ

[٤]

---

(١) عرّد تعريدا : هرب وفر ٠
(٢) الحِب ــ بكسر الحاء ــ : الحبيب ٠
(٣) كذا في الاصل ، ولم نجد لـ « ادا » معنى يستقيم به البيت ٠
(٤) هو محمد بن ابراهيم بن محمد بهاءالدين بن النحاس الحلبي النحوي شيخ الديار المصرية في علم اللسان ٠ ولد سنة ٦٢٧هـ ومات سنة ٦٩٨هـ ٠ قال ابو حيان عنه : « كان هو والشيخ محيي‌الدين المازوني شيخي الديار المصرية ولم الق أحدا أكثر سماعا منه لكتب الادب » ٠ (بغية الوعاة ج١ ص١٤) ٠

تجِـدِ الريمَ راتِعـاً في حِماهُ
قد حَمَـاهُ حتى من الرقبـاءِ
يا إمـاماً لمَـا تـَزَلْ مُسْـدِياً لي
نِعَماً قـد جلَّتْ عن الاحصـاءِ
لو يحُلُّ الغـزالُ غـير حِماكم
لانتصفْنا بسُنَّةِ الشـعراءِ
إنْ يكُ القَلْبُ غيرَ راضٍ بهـذا
فلسـاني عليك رَطْبُ الثنـاءِ
ضَلَّ عَقْلي بصَدِّ ريمِك حتى
لكأني أسـيرُ في الظَّلْمـاءِ
أيُّ بحرٍ يَفيضُ من عَبَراتي
أيُّ جمرٍ يَشُبُّ من أحشائي
ليس جَمْعُ الأضْدادِ عندي مُحالاً .
إنني جامِعٌ لنـارٍ ومـاءِ
بـأَبي أحْوَرُ الجفـونِ ربيبٌ
طـار عقلي بـه وطال عنائي
إنْ تبدَّى فَحَسْبُ طرفي منه
نظرةٌ وهي لـو تدوم شِـفائي
ولئـن غاب شخصُـه قلت : نفسـي
اصْبِري فالبهَـاءُ عند البهاءِ (١)

(١) البهاء الاولى الحسن ، والبهاء الثانية شيخه .

قافية الباء

٤

كان الرئيس كاتب السر السلطاني شهاب الدين احمد بن فضل الله(١) قد طلب منه استعارة ديوان أبي فراس الحمداني ، فارسله اليه صحبة هذه الابيات :

الطويل

لا سِفْرَ هذا السفرُ إنْ صارَ مُلْكَ مَن
مكارمُه أنـدَى وأجـدَى من السُّحبِ

[٥]

وتـاه على الأسفارِ زَهـواً ونخوةً
وانشـر زهْـواً وافتخـارا عـلى الـكُتْبِ
لقـد جَـلّ قَدْري إذْ بَلَغْتُ بهمّتـي
سماءَ المعـالي وانتقلْتُ الى الشُّهْبِ
الى العالَم العُلويِّ سَعدي مُصعَّـدٌ
أُناجي إماما خصَّني منه بالقُرْبِ
تفرَّسْتُ أنْ لـو كان في عصـره أبـو
فِراسٍ ثَنَى شعري الى جُـودِهِ الرَّحْبِ
فكان شهابُ الدينِ يُعليـهِ رُتبـةً
يصير بهـا مَلْكاً على جنسـهِ العُرْبِ

(١) هو احمد بن يحيى بن فضل الله العمري المتوفى سنة ٧٤٩هـ ، وهو صاحب « مسالك الابصار في ممالك الامصار » . (فوات الوفيات ج١ ص٧ ، والدرر الكامنة ج١ ص٣٣١ ، والنجوم الزاهرة ج١٠ ص٣٣٤) .

وإنْ كانَ قدْ أوْدى فاءنّ بذكره
لـه شَـرَفاً يبقى على غابر الحقب
كريم لـه في كل قُطرٍ مكارمٌ
من الفضل قد عمّتْ ومرّت الى الغرْبِ
فأحيتْ أبا حيّان مِنْ بعد ميتةٍ
وأروته ظمآناً من البارد العذْبِ

٥

وقال – رحمه الله – :

المتقارب

أعبدَ الرحيم أنا في جحيمٍ
فهل من رحيمٍ لِصَبٍّ غريبٍ ؟
أطلْتَ البعادَ ، منَعتَ الرقادَ
سلبتَ الفؤادَ بحُسْنٍ عجيبِ
بسِرٍّ الجمالِ ونورِ الهلالِ
ولحظِ الغزالِ وقَدٍّ القضيبِ
ووجهٍ بهيٍّ وريقٍ شهيٍّ
وعَرْفٍ ذَكيٍّ حوَى كلَّ طيبِ
أريجٌ كمسكٍ وثغرٌ كسلك
به زالَ نسكي وزادَ نحيبي

تَرى صاحٍ يدري غرامي بدري
فانَّ بصدري حريقَ لهيبِ

[٦]

دموعيَ تجري وقَدْ طال هجري
فجُدْ تربَح اجري بوصْلٍ قريبِ

٦

وقال ـ غفر الله له ـ :

الطويل

بحيث قُدودُ البيض سُمْرٌ تهزُها
شَمولُ الصِّبا والدَّلِّ لا شَمْاَلُ الصَّبا(١)
خِفافٌ فلولا ثقْلُ كُثْبٍ تقصَّفَتْ
لعادَ لجدب الخصرِ رِدْفٌ قد اخصبا
عَلَتْها بدورٌ قد سَفَرنَ فما ترى
لهنَّ سوى من حالكِ الشَّعْرِ غَيْهَبا

٧

وقال ـ رحمه الله ـ :

الطويل

هُمُ النَّاسُ شتَّىً في المطالبِ لا ترى
أخا همَّةٍ إلاَّ قد اختارَ مَذْهبا
فمن يعتني بالفِقْهِ يرأس إذ يلي
قضاءً وتدريساً وفُتْيا ومَنْصِبا

---

(١) الشمول والشمأل : ريح الشمال ٠

ومَنْ كانَ ذا حظٍّ من النحو واللُغا
يرى أنه أسنَى الفضائلِ مطلبا
ويَزْهى على هذا الأنام لأنَّه
يرى همَجًا في الناس من ليس مُعرِبا
ومن كان بالمعقول مشتغلاً يرى
جميعَ الورى صُمّاً عن الحق عيَّبا
فانْ كان في النحوين صاحبَ دِرْيَةٍ
فذاكَ الذي يُدعَى الامامَ المهذَّبا
وحافظ ألْفاظِ القراءآتِ جاهلٌ
بالاعْرابِ والمعنى للاقْراءِ رُتِّبا
يرقِّقُ ما قد فَخَّمُوا ومفخِّمٌ
لما رقَّقوا لم يَلْقَ شيخاً مهذَّبا
يرى أنَّ نظمَ الشاطبيْ غايةُ المنى
ولم أرَ نَظْماً منه أعصى وأصعبا[1]

[٧]

يظلُّ الفتى فيه سنينَ عديدةً
يحاولُها فَهما فيبقَى مُعَذَّبا

---

(١) الشاطبي : هو القاسم بن فيرة المقرىء النحوي الضرير ، صنف القصيدة المشهورة في القراءات . ولد سنة ٥٣٨هـ ومات سنة ٥٩٠هـ . (بغية الوعاة ج٢ ص٢٦٠) .

بلغزٍ وأُحجيَاتٍ شَلْشل شَمَرْدَلٍ
ودَغْفلٍ اسماءٍ عن الفَهْم حُجْبا[1]

وقد أولعَ الجُهَّالُ فيه بشرحِهِ
فمن شارحٍ قَصْراً وآخر أَطْنبا

وغايتُه نُطْقٌ بألفاظٍ أحرفٍ
كمالك نَسْخٌ نَنْسِها لا نكذّبا

لقد كان هذا الفنُّ سَهْلاً معرّبا
فبعَّدَهُ هذا القصيد وصعّبا

وناظمِ أشعارٍ يدورُ على الورَى
بذمٍّ ومدحٍ مُرهِبا أو مُرغّبا

يرى أنَّ نظمَ الشعرِ أسنَى فضيلةً
وليس بفضلٍ ما بطبعٍ تركّبا

وراوي حكاياتٍ لناس تقدّمُوا
غدا واعظاً يشرو وينشر مُطرِبا

وطوراً يُبكّي الناسَ خوفاً ورهبةً
وطوراً يرجِّي بالتسامح مُذْنِبا

وتالٍ لِقرآنٍ بتربةِ ميِّتٍ
قد اتخذ التنغيمَ بالصوتِ مكسبا

---

(١) الشلشل : المتحرك · الشمردل : الفتى السريع · الدغفل : ولد الفيل ·

وجامعِ آدابٍ وحفظِ رسائلٍ
وجودةِ خطٍّ راجيا أن يُقرِّبا

الى ملكٍ كيما يكونَ موقَّعا
فينظُفُ أثواباً وينبُل موكِبا

وحاملِ أجزاءٍ لطافٍ سقيمةٍ
تأبَّطها كيما تروّى وتُكتبا

يدورُ على شيخٍ جَهولٍ وشيخةٍ
عجوزٍ ترى جمع الرؤوسِ تقربا

وجمّاعِ أنواعٍ من الفِسْقِ لم يَلْ
بمعصيةٍ ان كان كهلا أو اشيبا

[٨]

أتأخذُ دينَ اللهِ عن مثلِ هؤلا
لأَنْتَ إذَنْ في الغَيِّ أصْبَحْتَ مُسْهبا

وغايةُ ما يدريهِ أنَّ فلانةً
روت جزءَ بيبي وهي ماتتْ بيثربا(١)

وذا لقَّبوه جَزرةً ومُلقبٌ
بصاعقةٍ إنْ كان في الحِفْظِ أغْلبا

ومشتغلٍ بالطبِّ قد رام صَنعَةً
قليلاً جَدَاها ما أشقَّ وأخْيبا(٢)

---

(١) كذا في الاصل .
(٢) الجداء : العطاء ، النفع .

يــدور عــلى المرضى ويحــزر علَّــة

ويســأل ماذا كان عنــه تســبَّبا

وينهبُ منــه مــالَه لا يهمُّــه

ســواء لديه أن يَصِحَّ ويَعْطَبــا

وغايتــه استقبالُ بــولٍ بوجهــه

وشمُّ قذوراتٍ كأنْ شمَّ زَرْنَبــا[1]

وكسلانَ يختارُ المشيخةَ صَنعــةً

فيجمــع أوْشاباً الى الزَّرْد رَغْبــا[2]

تيوسٌ رُعاعٌ وهــو جهــلا أبوهُمُ

فاقبِــحْ بهم وُلْــداً واقبِــحْ بــه أبــا

ويَبْهَــتُ نحــو الأرض طوراً وتــارة

الى العــالَمِ العلــويِّ يستمعُ النَّبــا

ويركبُ عــيراً وهــو عــيرٌ حقيقةً

فجهــلٌ بسيطٌ قادَ جهــلاً مركّبا[3]

فيُخبِرُ عن أشيــاءَ في ملكوتــهِ

رآهــا عيــانا ليس عنهــا محجَّبــا

---

(١) الزرنب : طيب أو شجر طيب الرائحة ، والزعفران ٠

(٢) الاوشاب : الاخلاط من الناس ٠ الزرد : البلع ٠

(٣) العير : القافلة أو كل ما امتير عليه ابلا كانت أو حميرا او بغالا ٠ والعير ـ بالفتح ـ الحمار وغلب على الوحشي ٠ (القاموس) ٠

تـلاميذه يمشـون حولَ حَمـارِهِ
وأوساطُهم مشدودةٌ لابِسو القَبا[1]
عريُّـون عن علمٍ ومـن كـان فاضـلا
تقرمَطَ كي يُدعى الامامَ المقرَّبا
فيبدِي لهـم أسـرارَ عـلمٍ غوامضـا
تلقَّفهـا عن سـرٍ سـرٍّ ترتَّبـا

[٩]

فمنهُ اليـهِ عنهُ فيـهِ لديـهِ قـدْ
بدت غامضاتٌ عنه تنبَثُ كالهَبا[2]
عَجِبتُ لمثـلي عِشْتُ سبعينَ حِجَّـةً
وتِسـعاً ألاقي الناسَ شَرْقـا ومغرِبـا
فمـا ظفِرتْ عيني بمـَن هـو صـالحٌ
سوى مَنْ بـه بيـنَ الأنـامِ تلقَّبـا

٨

وقال[3] ـ رحمه الله ـ :

البسيط

تَذَكُّري للبِلى في قَعْـرِ مُظْلمةٍ
أصارني زاهـداً في المـال والرُّتبِ[4]

---

(١) القباء : ثوب يلبس فوق الثياب .
(٢) الهباء : دقائق التراب ، الغبار .
(٣) ذكرهما المقري في نفح الطيب ج٣ ص٣٢٧ .
(٤) قعر مظلمة : القبر .

إِنِّي أُسَرُّ بِحَالٍ سَوفَ أُسْلِبُهَا
عَمَّا قَرِيبٍ وَأَبْقَى رِمَّةَ التُّرْبِ[1]

٩

وقال[2] ايضا :

الطويل

أَتَيْتُ وَمَا أُدعَى وَأَقْبَلْتُ سَامِعاً
فَوائِدَ مَوْلى سَيِّدٍ مَاجِدٍ نَدْبِ[3]
وأَحْضُرُ جمعاً أَنتَ فيه جمالُهُ
أُشَنِّفُ سَمْعِي مِنكَ بِاللؤلُؤِ الرَّطْبِ

١٠

وقال ـ رحمه الله ـ

الطويل

مَغيبُكَ فِي الاسبوعِ يومينِ عن شَجٍ
ويومينِ بُعدٌ قاتلٌ للشجي الصَّبِّ[4]
وهَبْكَ بقلبي حاضِراً فلِمُقلتي
برؤيتِكَ الأُنسُ المريحُ من الكَرْبِ

---

(١) الرمة ـ بالكسر ـ العظام البالية ، والجمع رمم ورمام ، وقد رم العظم رمة : بلي ، فهو رميم • وقال الله تعالى « من يحيي العظام وهى رميم » •

(٢) ذكرهما المقري في نفح الطيب ج٣ ص٣٢٧ •

(٣) الندب : الخفيف في الحاجة ، الظريف النجيب •

(٤) الشجي : الحزين •

ومن نورِكَ الوهّاجِ تَسري أشعّةٌ
لعيني فيسري النورُ منها الى قلبي

١١

وقال أيضا :

البسيط

خَرَجْتُ أَمشي الى شخصٍ فحدَّثَني
قلبي بمجلسِ من يهوَى وما كَذَبا

[١٠]

فجئتُه فرأَيْتُ الغُصْنَ مُعتَدِلاً
والظبيَ ملتفتاً والبَدْرَ مُرتقبا
مَنْ أعلَمَ القلْبَ أنَّ الحبَّ مجلسُه
هناكَ أعلمهُ سرٌّ لهُ جذَبا
قد كنتُ أُنكرُ عِلمَ الغيبِ من أحدٍ
حتى رأيتُ فؤادي يعلَمُ الغيبا

١٢

وقال : وكان الصاحب تاج الدين محمد بن محمد بن سليم(١) قد اشترى فرسا من العرب فاقامت عنده زمانا ثم عبر على بيوتهم فجفلت ، فنظم

---

(١) هو الصاحب تاج الدين بن الصاحب فخر الدين بن الصاحب بهاء الدين ابن حنا واسمه محمد بن محمد بن علي بن محمد بن سليم ٠ ولد في سنة ٦٤٠هـ وتولى الوزارة بعد مقتل الوزير سنجر الشجاعي في سنة ٦٩٣هـ ولكنه لم يوفق في اعمالها فصرف عنها ٠ توفي سنة ٧٠٧هـ ٠ (السلوك للمقريزي ج١ ص٨٠٢ ، والدرر الكامنة ج٤ ص٥٤٨ ، والنجوم الزاهرة ج٨ ص٢٢٨) ٠

بيتين يأتي ذكرهما في قافية الراء . قال فنظمت في معناهما :

الطويل

عجِبتُ لمُهري إذْ رأى العُرْبَ نكّبا
كأنْ لم يكُن بينَ الأعاريبِ قدْ رَبا

فَلا ليس نُكْراً للفريق وإنّما
تخوَّفَ عَتْباً منهُمُ فتَجَنّبا

١٣

وقال أيضا :

المتقارب

أيا طالباً أنْ ينالَ الأرَبْ
قريبا عليك لِسانُ العَرَبْ[١]

تشاهِدُ مجموعَ ذي خِبرةٍ
بصيرٍ بما قد نأى واقْتَرَبْ

وإنَّ الجمالَ امامُ العلومِ
ففي كلِّ سَهْمٍ لها قد ضَرَبْ[٢]

لأَطْلِعَهُ وهو شمسُ الضحى
فنجمُ العلومِ له قد غَرَبْ

---

(١) لسان العرب لابن منظور .

(٢) هو جمال الدين محمد بن مكرم صاحب لسان العرب في اللغة ولد سنة ٦٣٠هـ ومات سنة ٧١١هـ . (بغية الوعاة ج١ ص٢٤٨) .

وهـذَّبَ الفـاظَ تهـذيبِهِم

فقـد صارَ نبعـاً وكان العذَبْ(١)

[١١]

وكـان الصّحـاحُ بهـا جربٌ

فـداوى الصّحـاح وزالَ الجرَب(٢)

وأحـكمَ تـرتيبَ محـكمِهِم

فسَرَّ العنـاج وسـرّ الكرب(٣)

صحـائفُ كـانَ بهـا ميَـلٌ

فثقّفَ من مَيْلهـا مـا اضطرَبْ

وقد كـان ندَّتْ شَـوارِدُهـا

فـردَّ الـذي كانَ منها هرَبْ

دعـاها بلفـظٍ رقيـقٍ رفيـقٍ

فهزّ المعـاطفَ منهـا الطّـرَبْ

جـزى اللهُ جامعَهـا جنَّـةً

ليُسقى بِهـا لبناً مَـعْ ضَرَبْ(٤)

---

(١) هو كتاب التهذيب في اللغة للازهري المتوفى سنة ٣٧٠هـ . (بغية الوعاة ج١ ص١٩) .
العذب : القذى .

(٢) الصحاح في اللغة لاسماعيل بن حماد الجوهري المتوفى سنة ٣٩٣هـ . (بغية الوعاة ج١ ص٤٤٧) .

(٣) المحكم لابن سيده اللغوي النحوى المتوفى سنة ٤٥٨هـ . (بغية الوعاة ج٢ ص١٤٣) .
العناج : وجع الصلب .

(٤) الضرب : العسل الابيض ، وبالتحريك أشهر . (القاموس المحيط) .

١٤

وقال ـ رحمه الله ـ ومما كتب على السفر السابع والعشرين من كتاب « لسان العرب » :

مجزوء الرجز

تمَّ لســـانُ العَربِ فجـاءَ قَصْدَ الأربِ

عِشْـرونَ سِـفراً بعدها سـبعٌ ذواتَ نُخَبِ

جاءَ جمـالُ الدينِ في تصنيفِهِ بـالعَجَبِ

أبقـاهُ ذُخْـراً للورَى يبقى بقــاءَ الحِقَبِ

طوّقَ جيـدَ عصـرِهِ طوقـاً بـه مِن ذَهَبِ

رصَّعَــهُ بجـوهرٍ فصـارَ زَيْنَ الكُتُبِ

كتابُهُ شمسُ الضحى وكتْبُهُـمْ كالشُّــهُبِ

[١٢]

من أُسرةٍ بَذُّوا الوَرَى بسُمْرِهِمْ والقُضُبِ

أبنـاءُ قحطـانَ الأُلى سُـمُّوا بأنصارِ النَّبي(١)

فَيالَهـا من أُسْـرَةٍ شـريفةٍ في النَّسَـبِ

جمَّلَهـم جمـالُهُمْ انسـانُ عينِ الأدبِ

سـقَى الالـهُ قبـرَهُ من مُثْجِماتِ السُّحُبِ(٢)

ولا تـزالُ روحُــهُ مـع الحسانِ العُرُبِ(٣)

في جَنَّـةٍ يُسْـقَى بهـا من لَبَنٍ وضَرَبِ

---

(١) جمال الدين محمد بن مكرم صاحب لسان العرب من الانصار ، ولذلك يقال عنه : ابن منظور الانصاري ·

(٢) ثجمت السماء : أسرع مطرها ·

(٣) العرب جمع العروب ، وهي المرأة المتحببة الى زوجها ، أو العاشقة له ، أو العاصية له ·

قافية التاء

١٥

قال ـ رحمه الله ـ يرثي ابنته العالمة المعربة نضار(١) :

مخلع البسيط

ضَـريح بنتـي جَعَلـتُ بيَتْـي
وقلتُ : لَيتـي أمـوتُ لَيتـي

قـدومُ حَـيٍّ يغيبُ يُـرْجَى
وليس يرْجَى قُـدومُ ميْتِ

يـا عـينُ اِبكي دَماً عليهـــا
فليس يجـري دَمْـعٌ بكَيتِ

يـا ليلـةَ البـينِ من نُضـارٍ
صَدَّعْتِ قلبي بمـا جَنَيْتِ

يـا تربـةً قَدْ حوَتْ نُضاراً
طِبْتِ شـذاً بالـذي حوَيْتِ

---

(١) هي نضار أم العز ، ولدت في جمادى الآخرة سنة ٧٠٢هـ وأجاز لها أبو جعفر بن الزبير وحضرت على الدمياطي وسمعت من شيوخ مصر وحفظت مقدمة في النحو ، وخرجت لنفسها جزءا من الاحاديث ونظمت شعرا ، وكانت تعرب جيدا . ماتت سنة ٧٣٠هـ وحزن عليها أبوها حزنا عظيما . (ينظر الدرر الكامنة ج٤ ص٣٩٥ ، ونفح الطيب ج٣ ص٣١٥) .

وَعَيْتِ عقلاً وبحرَ عِلْمٍ
وسُؤدداً بالتي وَعيتِ

[١٣]

أَمَضَّني الحزنُ يا نضارُ
وصِرتُ مُضْنىً لَمّا مَضَيتِ

أَصْبحتُ فَرداً فليتَ أَنّي
قَضيتُ نَحباً لَمَّا قَضَيْتِ

سَعيتِ للعلمِ باجتهادٍ
ولم تُمتَّعي بما وَعَيْتِ

سَرَتْ الى عالمٍ عَليٍّ
روحُكِ يا بُعْدَ ما سَرَيْتِ

الى سماءِ الذي تَسامَتْ
حتى رأيتِ الذي رأَيْتِ

الروحُ منكِ استحالَ طيراً
لَمَّا تَشَكّى الظَما سَقَيتِ

وآخِرُ النُطْقِ كانَ منكِ
التشهُّدُ اللذْ بهِ رَبَيْتِ

وقَدَّسَ اللهُ منكِ روحاً
نالتْ من الخُلدِ ما اشتهَيْتِ

وإنَّ بيتاً أضحَى مَحَلاً
لخيرِ بِنْتٍ لَخيرُ بيْتِ

١٦

وقال ـ رحمه الله ـ وجاء بعض العجم بأبيات بلسان العجم فيها معان لم يعهدها العرب ، وسألني نظم معانيها بالعربي في قافية التاء المكسورة في بحر الطويل ، فقلت :

الطويل

مُهنَّدُكَ الميمونُ كالسيفِ صورةً
ولكنْ فِرِنْدُ السَّيْفِ ماءٌ بِمزْنَةِ (١)
لئِنْ كانَ يحكي الماءَ لُطفاً ورِقَّةً
فكم هامةٍ في ذلك الما غريقةِ
فِرِنْدٌ لَوَ انَّ الجِنَّ ليلاً تَمُرُّ بي
سناءٌ رأتها الأُنسُ من بعدِ خِفْيَةِ

[١٤]

عبيدُكَ خيَّاطونَ في الحربِ قد رَآوا
لها بذراعِ الرُّمحِ أبدان بَهْمَةِ
وقد قطَّعوها بالسيوفِ وخيَّطوا
باسهُمِهِم فَتْقَ الجُسومِ العَصِيَّةِ
وبحرُ دماءٍ زورقُ الشمسِ غارقٌ
به ونجومٌ كالحَبابِ بِخَمرةِ

---

(١) فرند السيف : جوهره ووشيه ، ويقال : سيف فرند ، أي : لا مثيل له .

فلو أذهبت ريح تراب جنابكم
الى النار أضحت ماء روض بجنة
ولو حل في مصر دخان بلائكم
إذن بلغ الأهرام حلق بعوضة
ولو أن ملكاً رام لثم ركابكم
وقد حط تحت الرجل أعلى مكانة
كراسي أفلاك العلا التسع لم يصل
لتقبيله الا بأوهام فكرة
مليك علا الأملاك عزاً ورفعة
يقصر عن ادراكها كل رفعة
محمد في الافلاك شمس وإنهم
نجوم متى يبدو سناه اضمحلت
أقام منار الشرع شرع محمد
وقام بنصر الملة الحنفية
دعا دعوة في مصر يا لمحمد
فكل ملوك الشرق طاعت ولبت
إذا آنست عيني سناء علاكم
فقد بلغت من دهرها ما تمنت
ورحت كمثل الشيخ عاد شبابه
أو الميت يحيا في نعيم وغبطة

١٧

وقال أيضا :

مجزوء الرمل

أيُّ عيشٍ لشُيَيْخٍ هو حيٌّ مثلُ ميَّت

[١٥]

عادِمِ الأُنسِ غريب مفرد من أَهْلِ بيت
ولـه نفسٌ تُنادي للمنايا هَيْتَ هيت
تترجَّى وتمنَّى بلعلِّي وبلَيت
وسراجي ليس فيه للبَقا نُقطةُ زيت
سوف يُكنى عن حديثي كانَ منه ذَيت ذيت[1]

---

(١) ذيت ذيت ، مثلثة الآخر ، عن ابن القطاع ، أي : كيت كيت . (القاموس المحيط) .

قافية الثاء

١٨

وقال رضي الله عنه :

المتقارب

رمـاني الزَّمـانُ بأَحـداثِه
وكنتُ صَبُـوراً عَلَى مـا حَدَثْ

وأفنَى الشبابَ وأهـلاً مَضَوا
ومـا كُنتُ مِمَّن بـذاكَ اكترَثْ

ومُنْـذُ عَيا بَصَـري ضَعْفُهُ
قَعَدْتُ كأنِّي رهـينُ الجَدَثْ

وقـد كنتُ مُستأنِسـاً سـاكناً
فقد صِرْتُ مُستَوحِشاً ذا عبثْ

إذا رُمْتُ انظـر في مُهْـرَقٍ
تغَشَّـى سَنَا ناظِرِيَّ الشَّعَثْ

وإنْ أنـا أَبعَثُ ذهني لـه
لفكرٍ أراهُ إذن مـا انبَعَثْ

ومَنْ كان في العلمِ ذا شِبَعٍ
فـإنِي الى فَقرِهِ ذو غَـرَثْ(١)

---

(١) الغرث : الجوع ٠

يَزينُ الفتى عِلمُه مثلَما

يزينُ الفتاةَ الحُلى والرُعُثْ[1]

وان كان قلبي قريحاً فلي

لسانٌ بحمدِ إلٰهي نَفَثْ

[١٦]

١٩

وقال رحمه الله :

الطويل

أَجَلْتُ لِحاظي في الرياضِ الرَّمائثِ

ونزَّهتُ فكري في فنونِ المباحثِ[2]

وشاهدتُ مجموعاً حوى العلمَ كلَّه

فاولُ مكتوبٍ وثانٍ وثالثِ

فيا حسنه من جامعٍ لفضائلٍ

جليلٍ على نيلِ المعارفِ باعثِ

لحازَ لسانَ العُربِ أجمعَ فاغتدَى

نهايةَ مُرتادٍ ومَطْلَبَ باحثِ

بهِ أزهرتْ للأزهريٍّ رياضُهُ

فانوارُها تجلو دياجي الحوادثِ[3]

---

(١) الرعثة ـ ويحرك ـ : القرط . (القاموس) .

(٢) الرمث : مرعى للابل من الحمض وشجر يشبه الغضى ، وأرض مرمثة : تنبت الرمث .

(٣) هو محمد بن احمد اللغوي ، ولد سنة ٢٨٢هـ ومات سنة ٣٧٠هـ . له التهذيب في اللغة . (بغية الوعاة ج١ ص١٩) .

وصحّتْ بـه للجوهريِّ صحاحُه
فلا كسرَ يعروها ولا نقرَ عابثٍ[1]

وسادَ بـه بينَ الأنامِ ابنُ سيدةٍ
فمحكمُهُ مـا فيـه عيثٌ لعابثٍ[2]

وبرَّ ابنُ بريٍّ وصحَّتْ بنقدِهِ
الصحاحُ استقلَّتْ في براثنِ ضابثٍ[3]

وللجزريِّ ابنِ الاثيرِ نهايةٌ
إذا قُرِئتْ أزْرَتْ بِسمعِ المثالبِ[4]

وكلٌّ مُجلٍّ إذ تقادَمَ عهدُهُ
وليس المصلّي في السباق برابثٍ[5]

وإنَّ جمالَ الدينِ جمَّلَ كُتبَهم
باصلاحِ مـا قد أوهنوا من رثائثِ[6]

---

(١) هو اسماعيل بن حماد الجوهري المتوفى سنة ٣٩٣هـ ، صاحب الصحاح في اللغة ٠

(٢) هو ابن سيده المتوفى سنة ٤٥٨هـ صاحب المحكم والمخصص ٠

(٣) هو عبدالله بن بري ، ولد في مصر سنة ٤٩٩هـ ومات سنة ٥٨٢هـ ، له حواش على الصحاح وكتب في اللغة ٠ (بغية الوعاة ج١ ص٣٤) ٠ ضبث : قبض عليه ٠

(٤) هو المبارك بن محمد ابن الاثير المتوفى سنة ٦٠٦هـ صاحب النهاية في غريب الحديث ٠

(٥) الربث عن الحاجة : الحبس عنها ٠ المصلي من الخيل : الذي يجيء بعد السابق ٠

(٦) هو جمال الدين بن منظور صاحب لسان العرب ٠

لقد فاقهم علماً وزادَ عليهمِ
وأنّى ببادي الفتخ خُرج الأباغِثِ (١)

تجمّع فيه ما تفرّقَ عندهم
وأربَى عليهم بالعلوم الأثائثِ (٢)

بنثرٍ كشبهِ الزهرِ غِبَّ سمائِهِ
ونظمٍ كمثلِ الزهرِ بالسحرِ نافثِ

[١٧]

له قدمٌ في ساحةِ الفضلِ راسخٌ
ومجدٌ قديمٌ ليس فيه بحادثِ

ونسبةُ علمٍ كابراً بعد كابرٍ
فمن خيرِ موروثٍ الى خيرِ وارثِ

حفيظٍ لاسرارِ الملوكِ أمينِها
عليمٍ بتصريفِ الخطوبِ الكوارثِ

به افتخرتْ قحطانُ واشتدَّ ازرُها
وباهتْ به الاملاكَ ابناءُ يافثِ

ولا برِحتْ روحُ الجمالِ مقيمةً
بِعَدْنٍ لَدَى الحُورِ الحِسانِ الأواعثِ (٣)

---

(١) الابغث : طائر من طير الماء ج بغث وأباغث .
(٢) أثّ : كثر ، فهو أثيث ج أثائث .
(٣) امرأة وعثة : سمينة .

٢٠

وقال أيضا :

البسيط

صبابةُ المرءِ بالأحداثِ مُذهِبَةٌ

للدين والمالِ فاحذَرْ صُحبةَ الحَدَثِ

كفى من الذمِّ والتنفيرِ أنَّهُمُ

سَمَّوْهُ باسمِ الذي يُبدِيهِ من خَبَثِ

قافية الجيم

٢١

قال رحمه الله تعالى :

الطويل

أوجهُكَ أم بـدرٌ منيرٌ تبلَّجـا
ونشْرُكَ أمْ مِسْكٌ فتيقٌ تأرَّجـا(١)

وعِطفُكَ أم خُـوْطٌ من البـانِ ناعمٌ
وردفُكَ أمْ دِعْصٌ مَهيلٌ ترجرجا(٢)

محاسـنُ لم يُجمعْ لغـيركَ مثلُها
شَباباً وحُسْـناً باهـراً يسلبُ الحِجـا

أجلتُ لِحاظي في المِـلاحِ فمـا رأتْ
لِحاظِي أبهَى منك حُسْناً وأبْهجـا

[١٨]

حيـيٌّ إذا ناطَقْتُـهُ كـادَ خَـدُّهُ
لفَـرطِ حيـاءٍ فيه أن يتضرَّجـا

شكوتُ اليـهِ ما بقلبي من الجَوَى
ووَجْدِيَ فاستخذَى حيـاءً ولجلجـا

(١) فتق المسك : استخرج رائحته ٠ تأرج : فاحت منه رائحة طيبة ٠
(٢) الخوط ـ بضم الخاء ـ : الغصن الناعم لسنة أو كل قضيب (القاموس)٠

رأى شَـبَحِي نِضْواً ونُطقـي خافِتـاً

ودمعي هَتَّاناً وحِسِّـي قد سَـجا[١]

فزارَ بلا وعـدٍ دُجى فاخـالَـهُ

ترصَّـدَ من حُراسَهِ غفلةً وَجَـا

فلم أرَ مولىً زارَ عبداً كمثلِـه

ولم أرَ مثلي نالَ مـا كان قـد رجـا

خلـوتُ بـه والدهرُ قَدْ غَضَّ طرفَهُ

وقد سَـدَّ بابَ الخوفِ مفتتحِ الرَّجـا

فعانقتُ منـه الغُصْنَ أمْلَدَ ناضـراً

وغازَلْتُ منه الخِشْفَ أحْوَرَ أدعجا[٢]

ولليـلِ من تلكَ الـذوائبِ ظُلمـةٌ

وللصبحِ من خدَّيْهِ نُـورٌ تبلَّجـا[٣]

فمن يستحِلْ جمعٌ لضدَّينِ عنـدَه

فهذا حبيبي جامعُ النـورِ والدُّجـى

---

(١) سجا : سكن وهدأ ·

(٢) الدَّعج ـ محركة ـ ، والدعجة ـ بالضم ـ : سواد العين مع سعتها ، والادعج : الاسود · (القاموس) ·

(٣) تبلج : اضاء وأشرق ·

٢٢

وقال رحمه الله :

الكامل

أترى بريدي بالغاً يا جوجا
أم غالَهُ أمرٌ يكونُ مَريجا[١]
عَمِيَتْ علينا إذ نأى أخبارُه
لكأنَّه سَلَكَ السماءَ وَلُوجا
أوْ أنهُ خسَفت به يَهْمَاؤُه
وهوى الى بَهَموتِها تعريجا[٢]
يا مَنْ بهِ علِقَتْ حبائلُ همَّتي
وغدا الى الزمنِ الكريهِ بهيجا
ووردتُ منه بَحْرَ فضلٍ زاخرٍ
فغنِيتُ عن وِردي سواه خليجا

[١٩]

ورفلتُ من عزّي به في حُلَّة
شرُفَتْ يَداً وأُرومَةً ونَسِيجا
فخرتْ به الشُهُبُ الدَّراريْ واعتَلَتْ
حتى حَلَلْنَ من السماءِ بُروجا

---

(١) المريج : المختلط .

(٢) اليهماء : الفلاة لا يهتدى فيها . اليهماء : مفازة لا ماء فيها ولا يسمع فيها صوت .
البهموت : المبهم .

الثاني منها وقسمه قسمين : قسم يلحق الكلمة من أولها ، وقسم يلحقها من آخرها . والقسم الاول هو : همزة الوصل ، وهي التي تثبت في ابتداء الكلمة ، والقسم الثاني هو ما يلحق الكلمة من آخرها وهو : علامتا التثنية والجمع على حده ، وياء النسب ، وعلامة التأنيث، ونون التوكيد ، ونون التنوين . وعقد لكل منها بابا وهي : باب التثنية ، وباب جمع التصحيح ، وباب النسب ، وباب علامة التأنيث، وباب نوني التوكيد ، وباب التنوين .

أما الجملة الثانية من الارتشاف فهي : في احكام الكلم حالة التركيب ، وهي اعرابية وغير اعرابية ، وغير الاعرابية : البناء ، والادغام من كلمتين ، والتقاء الساكنين من كلمتين ،والتقاء الهمزتين من كلمتين ، ولحاق علامة التأنيث للفعل لاجل مرفوعه ، والعدد ، والكناية عن العدد ، والوقف . وقد عقد بابا لكل منها وضمنه فصولاهي: النداء ، والحكاية.وتكلم على : فصل العلم وفصل غير العلم من المعارف،وفصل الاستفهام . وباب الادغام من كلمتين وفيه فصول : فل المتقاربين ، فصل وقع التكافؤ . وباب التقاء الساكنين . وباب الهمزة التي في آخر الكلمة . وباب العلامات التي تلحق الفعل دلالة على تأنيث المرفوع به وعلى تثنيته وجمعه ، وباب العدد وفيه فصول : فصل عطف العشرين ، وفصل اسم الفاعل المشتق من المفرد ، وفصل التأريخ . وباب الكنايةعن العدد وفصوله : فصل واما كائن ، وفصل واما كذا . وباب الوقف وفصوله : فصل المتحرك ، وفصل الوقف على المبني .

هذا هو القسم الاول من الجملة الثانية ،اما القسم الثانيمنها فهو: في احكام الكلمة حالة التركيب التي هي اعرابية . وقد بدأه أبو حيان بالكلام على اللغة ، وأبوابه هي:باب الاعراب ، باب النكرة والمعرفة، باب المبتدأ والخبر وما يدخل عليهما من أدوات وافعال ، باب الفاعل ، باب المفعول الذي لم يسم فاعله ، باب المنصوبات وهي : المفعول المطلق، والمفعول له ، والمفعول به ، والمفعول فيه ، والمفعول معه ، والمستثنى ،

والحال ، والتمييز . باب النواصب للفعل ، باب الجوازم للفعل ، باب المجرورات وقدتكلم فيهعلى القسم، واحرف الجواب .وباب الاضافة.

وبعد ان انتهى أبو حيان من هذه الابواب تكلم على النعت والمنعوت به اذا كان معرفة ، وعطف البيان ، والبدل ، وعطف النسق ، وانتقل الى الحديث عن الافعال واقسامها فعقد ابوابا لكل من :حبذا، وصيغ التعجب ، والمتعدي واللازم ، ثم تكلم بعد ذلك على الافعال الداخلة على المبتدأ والخبر ، والاشتغال ، والنداء والاستغاثة،والترخيم، والاختصاص ، والتحذير والاغراء . وتحدث عما يعمل عمل الفعل كالمصدر ، واسم الفاعل ، واسم المفعول ، وأفعل التفضيل ، والصفة المشبهة ، وختم الكتاب بباب في الضرائر التي تجوز للشعراء .

ولا تختلف موضوعات : « الارتشاف » ـ كما رأينا ـ عن موضوعات : « التذييل والتكميل » الا في التبويب والتفصيل ، فقد سار أبو حيان في « التذييل » على خطة ابن مالك وطريقته ، لانه كان شارحا لكتابه : « التسهيل » . أما في « الارتشاف » فقد بوبها تبويبا جديدا . هذا من ناحية ومن ناحية أخرى فاننا نجد ابا حيان يزيد بعض الموضوعات والفصول الصغيرة في : « الارتشاف » ، والموضوعات التي اضافها هي : فصل في نوادر من التأليف ، باب صيغ من التعجب لم يبوب لها النحاة السابقون ، باب الضرائر وما يجوز للشاعر وضمنه باب التقديم والتأخير ، وباب الابدال من الضرائر الشعرية .

وقد اعتمد ابو حيان على كتب كثيرة ، وعلى آراء النحاة المتقدمين فكان « الارتشاف » سجلا حافلا بمختلف الآراء ومن هنا تأتي قيمته في الدراسات النحوية وتطور الآراء والمذاهب المختلفة مما حدا بالسيوطي الى ان يلخصه في كتابه : « همع الهوامع » ،ويستفيد من مادته الغزيرة، ومن آراء أبي حيان .

اعتمد ابو حيان في « الارتشاف » على كتب لغوية ونحوية وصرفية كثيرة ، وأهم هذه الكتب : البسيط للواحدي ، وكتاب سيبويه،

يقولُ علـى رأسِ الجمـاهـير كلهـمْ
وقد أَوْهَمَ الجهالَ أَنْ صار ناصحا

بـأَنَّ وليَّ اللهِ مَنْ كانَ فاسـقاً
ومن كانَ عن ديـنِ الشـريعةِ نازحـا

وأَنَّ اليهـودَ والنصارَى وشِبْهَهَمُ
علـى الحـقِّ كلٌّ فعلُـهُ كانَ راجحـا

وعابـد أصنـام وعابـد كوكبٍ
وعابـد نـارٍ صـار للحـقِّ جانحـا

وفَسْـر علـيٍّ وابنِ عبّاسٍ اغتـدى
لديـه لقى فَشْراً مع الريح طامحـا[1]

ولا أكلَ في الجنّـاتِ لا شُـرْبَ إنَّمـا
معـارفُ تلقـى للـولي منائِحـا

أَلا مَن عذيري من صـغارٍ تَمَشْـيَخوا
فكُلٌّ لبابِ الكفرِ أصبَحَ فاتِحـا

زناديقُ أَبـلاط تيـوسٌ تقرمطـوا
لهـم أعـينٌ أضحتْ لـكُفرٍ طوامحـا[2]

(١) الفسر : التفسير . الفشر : الهذيان .
(٢) البلط : المجان من الصوفية .

وقالوا لنا العلمُ اللدُنّي وعلمكُم
قشورٌ مع الأرياحِ قد صارَ رايحا

وما هو من تنبيهكُم وقدوركم
ولكن أتى فَتْحاً من الكونِ سانحا

وقد كذّبوا القرآنَ والسُّنَنَ التي
عن المصطفى جاءت بنقلٍ صحائحِا

وقالوا رسول الله ما مَاتَ بل غَدا
يطوفُ على الأمواتِ يَغشى الضرائحا

[٢١]

كذاكَ إذا قلتَ السلامُ عليك في
صلاةٍ تبدّى حاضراً لك لائحا

وقد فسَّروا القرآنَ من مُخ رُوسهِم
تخاليطَ كُفرانٍ تبدّتْ فواضِحا

ألا يا قُضاةَ المسلمين ألا انْهضوا
لقتلِ كَفورٍ صارَ في الدينِ قادِحا

كأنّيَ بالقاضي المعظَّم قد درَى
بهم فاغتدَوا فوقَ الترابِ ذبائحا

وجُرَّ بأبدانٍ وطيفَ بأرؤُسٍ
على سِنِّ رُمحٍ للزناديقِ رامِحا

تشمُّ عوافِي الطيرِ نَتْنَ لحومِهم
فتنأى وان كانت غِراثا جوارِحا
وتُنقَلُ أرواحٌ لهم من مقرِّها
الى النارِ فيها خالِدِين كوالحا

وإنَّ جلالَ الدين قاضي قُضاتِنا
أقامَ منارَ الشرعِ فالتاحَ واضِحا[1]

وقامَ بنصرِ الدينِ دينِ محمدٍ
وأخمدَ شراً كانَ كالنارِ لافِحا

على حين لم ينهضْ الى نصرِهِ امْرُؤٌ
سِواهُ فاضحى وافِرَ الأجرِ رابِحا
لقد حاقَ باللبانِ سوءُ اعتقادِهِ
وقامَ مقامَ الذُلِّ خزيانَ كالِحا
أقرَّ بكُفرٍ ثم أظهرَ توبَةً
مَخافَةَ سيفٍ أنْ يرى الروحَ رائحا

وما تابَ زِنديقٌ ولكن قبولَ تَوْ
بة مَذهب القاضي فأبقاهُ سامحا

---

(١) هو محمد بن عبدالرحمن جلال‌الدين القزويني قاضي القضاة في عصر أبي حيان ، وصاحب التلخيص والايضاح . ولد سنة ٦٦٦هـ ومات سنة ٧٣٩هـ (بغية الوعاة ج١ ص١٥٧) وينظر القزويني وشروح التلخيص للدكتور احمد مطلوب ص ٩٧ وما بعدها .

وقـال متى مـا عـاد للكُفرِ أرْده
بحدِّ حسامٍ تتركُ الرأسَ طائحـا
فدامَ جلالُ الديـنِ للديـنِ ناصـراً
وللعـلمِ ذا نشـرٍ وللجودِ مانحـا

[٢٢]

٢٤

وقال غفر الله له ورضي عنه :

البسيط

هديـةٌ قَـدْ أتتْ من جِلَّقٍ جَمَعَتْ
فواكِهـا عَرفُها قد نَمَّ تُفَّـاحا
فالطُّـرقُ تَعْبقُ من نَشْـرٍ لهـا أرَجٌ
كأنمـا المِسكُ في أبياتِنـا فاحـا
جادَتْ بها كَفُّ عُمرِ الجودِ مُبتَذِلٍ
للمـالِ مـا انفكَّ للاحسـانِ مُرتاحـا
مبـرّزٍ في علـومٍ معمـلٍ أبـداً
فِكراً لِمُستَغلَق الاشكالِ فتَّاحا
عَقْـلاً ونَقْلاً فمَنْ يُبرزْ يُناظِرُهُ
يُبصِرْ ذكاءً لزند العلـمِ قدّاحـا
غـدا على مَفرِقِ الأيامِ تاجَ عُلاً
يُعارضُ الشمسَ تَعْلاءً وإيضاحـا
جليلُ قـدرٍ جـلالُ الدينِ والدُهُ
قاضي القضـاة فمنـهُ نـورُهُ لاحـا

شمسٌ أضاءَتْ وأبناءُ أشعتُهُ ما
تلقي الينا ضياءً منه وضّاحا

إنَّ الزمانَ بتاجِ الدينِ مُزدهرٌ
يكادُ من طرَبٍ يهتزُّ أفراحا[1]

شهمٌ أبيٌّ صفوحٌ وهو مقتدرٌ
ريانُ علماً غدا للناسِ مصباحا

يظَلُّ من ضَلَّ عن طُرقِ السَّماحِ بهِ
يُهدَى ويُكسَى بنورِ العلمِ أوضاحا

هو الخطيبُ ونجلٌ للخطيبِ وصنْ
ـوٌ للخطيبِ يفوقُ الناسَ إفصاحا

إنَّ المديحَ لمكسُوٌّ بكم شرَفاً
إذْ كنتُمُ الروحَ والامداحَ أشباحا

لا زلتَ في نِعَمٍ تَترَى على نِعَمٍ
تغدو بِنُعماكَ أجساماً وأرواحا

[٢٣]

وقال : لو كان في الهدية تفاح لذكرته ، فوجه اليه تفاح فقال :

والقلبُ قد كانَ خفّاقاً فسكّنَهُ
جَدْواكَ وارتاحَ لما شَمَّ تُفّاحا

---

(١) هو عبدالرحيم تاج‌الدين ولد في حدود سنة ٧١٠هـ ، كان خطيبا في الجامع بدمشق . مات في الطاعون العام سنة ٧٤٩هـ . الدرر الكامنة ج٢ ص٣٦١) وينظر القزويني وشروح التلخيص ص١٣٧ .

٢٥

وقال رحمه الله يرثي ابنته العالمة المعربة نضار :

الخفيف

إنَّ جسمي مقيَّدٌ بالضريحِ
وفؤادي وَقْفٌ على التبريحِ

ولِعيني اذا ذكرتُ نُضاراً
مُرَدٌ من دماءِ قلب جريحِ

راحَ عيدٌ وبعدُ عيدٌ كبيرٌ
ونضارٌ تحتَ الثَّرَى والصفيحِ

لا أَرَى فيهما وُجَيْهَ نُضارٍ
يا لَشوقي لِذا الوُجَيْهِ المليحِ

ونُضارٌ كانت أنيسي وحُبِّي
ونضارٌ كانت حياتي وروحي

ونُضارٌ أَبقَت بقلبي حُزنا
ليس ينفَكُّ أو أُوافي ضَريحي

لم يكُنْ للنضارِ يوما نظيرٌ
في ذكاءٍ لها وعقلٍ رَجيحِ

وحياءٍ وحسنٍ مَلْقىً وخطٍ
بارعٍ نادرٍ ولفظٍ فصيحِ

نَظَرتْ في العلومِ فقهٍ ونحوٍ
وحديثٍ عن الرسولِ صحيحِ

ولكَمْ طالَعَتْ تَواريخَ ناسٍ
فاستفادَتْ عقلَ الحكيمِ النصيحِ

قد قَضَتْ نحبَها نُضارُ وراحَتْ
ولها الذكرُ بالثناءِ الصريحِ

سُطِرَت في الرُّواةِ عن سيِّدِ الخَلْقِ
فيا طِيبَ ذِكرِها والمديحِ

[٢٤]

إن تكُنْ قد تقدَّمَتْ وبقِينْا
بُرهةً في زمانِنا المسفُوحِ

فعَلى إثرِها نروحُ ونرجُو
عفوَ ربٍّ عن الذنوبِ صَفوحِ

٢٦

وقال أيضا :

الطويل

تنفَّسَ من أهوَىٰ فارَّجَ عَرْفُهُ
كأنَّ سحيقَ المِسْكِ من فيهِ ينفَحُ

فَشَبَّ بقلبي نار وَجْدٍ وإنَّها
سَرَتْ منه للأعضاءِ تَذْكَىٰ وتَلْفَحُ

هوًى ما هَوَى قد زادَ حتّى جوانِحِي
تَقَلّبُ في نارٍ وعيني تسفحُ
وخِلتُ اِنتشاقَ العَرْفِ يُبرِدُ غُلّتي
فزادَتْ به ناراً على القلبِ تطفحُ
تَصَفّحتُ أقمارَ الوَرَى وملاحَهمْ
فكان حبيبي فوقَ مَنْ أتَصفّحُ
ذَكاءً كأنَّ النارَ منه توقّدَتْ
فيُدرِكُ مخفيَّ الأمورِ ويشرحُ
وحُسنٌ كأنَّ الشمسَ في وَجَناتِه
أقامَتْ لها مُمسىً عليها ومُصْبَحُ
وفَرطُ حياءٍ في خَفارة حييٍّ
يكادُ للاستحياءِ باللَّحظِ يجرحُ(1)
وكانَ مليحاً قبل نَبْتِ عِذارِه
فها هُوَ أضحى وهو بالنّبتِ أملحُ
لقلبي في مَعناهُ سِرّاً تفكّرٌ
وللعينِ في مرآهُ جَهراً تلمّحُ
وتأخُذُني من عظْمِ رؤياه هيبةٌ
فيعيى لساني بالذي أنا أفصحُ

[٢٥]

(١) في الاصل : حين .

قافية الخاء

٢٧

وقال رضي الله عنه :

الطويل

لنا قَدَمٌ في ساحةِ الحبِّ راسخُ
وحكمٌ لسلاةِ المحبينَ ناسخُ
ولو أنَّ قلبي رامَ عَقْداً لسلوةٍ
لكانَ له من حاكمِ العشقِ فاسخُ
ولي من بني الأتراكِ أهيفُ شادنٌ
له نسبٌ في آلِ خاقانَ باذخُ
يلينُ كلاماً وهو قاسٍ فؤادُه
ويدنو اتضاعا منه والأنفُ شامخُ
بوجهٍ يلوحُ الحسنُ من قسماتِه
وقدٌّ كغصنِ البانِ والبانُ شارخُ (١)
وردفٌ حماهُ أن يُنالَ بنظرةٍ
من الشَّعَرِ المضفورِ أسودُ سالخُ (٢)
إذا ما رَنا يوماً اليه أخو الهوَى
تلقّاه منه نافثُ السُّمِّ نافخُ
أيا عجباً للحبِّ كم ذا أكتُمُهُ
واكتمهُ والوَجْدُ بالحبِّ صارخُ

---

(١) شرخ الصبي شروخا صار شابا فهو شارخ .
(٢) السالخ : صفة للاسود .

تملّكني هــذا الهــوى فكأنّمــا

بــه نحــو قلبي من دواعيه ناتــخُ (١)

وقــد حــلَّ بي مــا لــو يحُلُّ أقلُّهُ

بيذبلَ أمسى وهو في الأرْضِ سايخُ (٢)

ففي مهجتي نــارٌ على الكبــدِ وقدُهــا

ومن مقلتي مــاءٌ عــلى الخــدِّ ناضِــخُ

---

(١) نتخ : نزع وقلع .
(٢) يذبل : جبل . ساخ : رسب ورسخ .

قافية الدال

٢٨

وقال أيضا :

المجتث

رماني الرَّشا بسهمٍ مصيبٍ به فؤادي
بطرفٍ نَدٍ وفيهٍ سِنات نَفَتْ رُقادي

[٢٦]

فجَفْني الى سُهادٍ وجَنبي على قَتادٍ (١)
ودَمعي جرَى كسيلٍ أتيٍّ يجي بِوادي
وقلبٌ حُشيْ بِجَمْرٍ كقَدْحٍ من الزِّنادِ
فصبري لَدَى انتقاصٍ وحبّي الى ازديادِ
فأنّى يَرَى سُلواً لِصَبٍّ ضَناهُ بادِ
شِفاءُ الضَّنَى شِفاءٌ تحلى جَنَى الشِّهادِ
متى يرتَشِفْ جَناها يَنَلْ غايةَ المُرادِ
ويحيا بخيرِ عيشٍ ويأمَنْ من الأعادي

---

(١) القتاد : شجر صلب له شوك كالابر ٠

٢٩

وقال رحمه الله :

الخفيف

سَمح الدهرُ بالحبيبِ الودودِ

فحظِينْا منه بأُنْسٍ جديدِ

جمعَتنا لُيَيْلَةٌ هيَ عندي

ليلةٌ أشرقتْ ببدرِ السعودِ

أُوقدَ الشمعُ والمصابيحُ فيها

وتبدّى نورُ المحيا السعيدِ

وبدا الفرقُ بينَ نارٍ ونورٍ

واضحاً لائحاً لعقلٍ سديدِ

تلك نارٌ مآلها لانطفاءٍ

وحبيبي أنوارُه في مزيدِ

حالَ بيني وبينَهُ اثنانُ ظلماً

فقنِعنا برؤيةٍ من بعيدِ

[٢٧]

أعملُ الفكرَ في اقترابٍ كأني

بَرهَمِيٌّ مجرّبٌ في الهنودِ

فاذا الحاجزانِ راحا وصِرْنا

من قريب في أُنس وصل مديد

اشهدُ الانسَ من غزالٍ ربيبٍ

وأرى الموت في محاجرِ سودِ

أَلْحظُ البدرَ وهو نُصْبُ عِياني

وأناجيه آمنا من صدودِ

فاذا الدُرُّ ما تساقَطَ لفظاً

لو تجسّدنَ كُنَّ عِقْدَ الجيدِ

واذا السحرُ كامنا في عيونٍ

كم مُعنّى بها قتيلٍ شهيدِ

٣٠

وقال يصف التمساح :

الطويل

وخَلْقٍ غريبِ الشكلِ في مصرَ ناشيء

وما هو في أرضٍ سوى مِصْرَ يُوْجَدَ

هو السَّبُعُ العاديْ بنيلِ صعيدِها

يُقافِصُ من للماءِ في النيلِ يَقصِدُ (١)

ويخطُفُه خطف العُقابِ لصيدِها

ويفصلُهُ عَضْواً فعُضواً ويزرَدُ

(١) تقافص : اشتبك وتجمع .

وما من شُخوصِ النيلِ خَلْقٌ لـه يَدٌ
ورجـلٌ سواهُ وهـو في البَرِّ يصعَد

وربَّتَما يَلقى لـدَى البر كَاسـراً
ويجري كمثلِ الطرْفِ أو هـو أزيَـد

لـه ذَنبٌ مُرخىً طويلٌ يُقيمُهُ
يلُفُّ بـه من كانَ في النـاسِ يفقـد

وأسـنانُه أُنثى علـى ذكـرٍ أتتْ
لكسرِ العظامِ الصُلب منها تفقَـد

ويحفرُ في رمـلٍ ويدفِنُ بيضَهُ
يعاهِدُها غِبـاً الى حين تولَـد

[٢٨]

ولا تعمـلُ الأسيافُ فيـه كأنَمـا
علـى جلدِهِ منـهُ صفيحٌ مسـرَّدُ

ولكنَّ تحتَ الابطِ لينَ جلـدةٍ
فمنها المنـايا دونَـهُ تتصعَّـدُ

وليس لـه دُبْرٌ فيُخرِجَ نَجْـوَهُ
ولـكن الى حُلقـومِهِ يتـردَّدُ(١)

---

(١) النجو : ما خرج من البطن من ريح أو غائط .

فيفتَحُ فــاهُ ثم يَدخُلُ طائـرٌ
فيلفِظُ مـا قــد كان فيــه يـدوّدُ

فــإن رامَ إطباقــاً عليــه فانَّــه
يكونُ لسقفِ الحـلقِ بالريشِ يُفصَدُ

ويقتُلُه الجـاموسُ فهـو اذا دَرى
بهِ فَرّ منهُ وهـو في السّـبحِ يُجهَدُ

ويخدَعُهُ الانسـانُ حتى يصيـدَهُ
ويربُطهُ كالعَنْزِ بالحبـلِ تُصفَدُ

رأينـاهُ محمـولاً عـلى جَمَـلٍ وقَـدْ
أتتْ طرفاهُ الأرضَ فيهـا يُخدد

وللعقـلِ في صيـدِ التماسيـحِ صنعةٌ
يرتّبهـا الفكرُ المُصيبُ فتُحْمَـدُ

وذو العقلِ مقـدورٌ عليـه وقــادرٌ
عــلى كـلّ ذي روحٍ رقيبٌ مؤيـدُ

فلا الطـيرُ في جوٍّ ولا الوحشُ في الفَـلا
ولا ســافحٌ إلاّ لــه متـردّدُ

فيقهرهُ قتـلاً وذبحـاً وخـدمةً
وفي آخرٍ ذو العقلِ في الرّمْسِ يُلحَدُ

٣١

وقال – رحمه الله – يرثي ابنته العالمة المعربة نضار :

الرمل

ما لِقَلْبِي غَرَضٌ في أحدِ
منذُ بانتْ قطعةٌ من كَبِدِي
كيف لي عينٌ ترى غيرَ التي
هي روحي ذهبَتْ من جَسَدِي

[٢٩]

درةٌ بيضاءُ حلَّتْ مُهجتي
خُطِفَتْ منّي فأَوْهَتْ جَلَدِي
إنَّ عيني مِثْلُ عَيْنٍ ثَرَّةٍ
إنْ نزحتَ الماءَ منها تَزِدِ
وفؤادي شَفَّهُ الحزنُ فما
هوَ إلا دائماً في نكَدِ
أرقبُ الموْتَ واستبطئُهُ
ليلةَ اليومِ أتى أو في غَدِ

٣٢

وقال رحمه الله :

الطويل

تعجَّبَ ناسٌ من غرامي ومن وَجدي
بِريمَيْنِ والمعهودُ عِشْقُ رشاً فَرْدِ

وقالوا صواباً ليس قلبانِ للفتى
ولا يُجمعُ السيفان ويحكَ في غِمْدِ
وما علِموا سِرَّ الهوى وصنوفَهُ
وإنَّ فؤادَ الصبِّ متَّسعُ الودِّ
تلوحُ لنا أصنافُ حسنٍ لطيفةٌ
فيعلَقُ منها بالمناسِبِ والقصْدِ

٣٣

وقال(١) سامحه الله :

البسيط

لنا غرامٌ شديدٌ في هوَى السودِ
نختارُهُنَّ على بيضِ الطّلا الغيدِ (٢)
لونٌ بهِ أشرقَتْ أبصارُنا وحكَى
في اللونِ والعَرْفَ نفحَ المِسكِ والعودِ (٣)
لا شيءَ أحسنُ من عاجٍ تركَّبَهُ
في آبنُوسَ ولا أشفَى لِمبرُودِ (٤)
لا تَهْوَ بيضاءَ لونَ الجصِّ واسْمُ الى
سوداءَ حسناءَ لونَ الأعينِ السودِ

---

(١) ذكرها المقري في نفح الطيب ج٣ ص٣٢٧ .
(٢) الطلا : ولد ذوات الظلف . الغيد ــ بفتحتين ــ النعومة ، وامرأة غيداء ، وغادة ، أي : ناعمة ، والجمع غيد .
(٣) العرف : الرائحة الطيبة .
(٤) كذا في الاصل ، اما في نفح الطيب : لا شيء أحسن من آس تركبه .

في جيدِها غَيَدٌ، في قدِّها مَيَدٌ
في خدِّها صَيَدٌ، من سادةٍ صِيْدِ (١)

[٣٠]

من آلِ حامٍ حَمَتْ قلبي بنارِ جَوًى
من هجرها وابتَلَتْ عيني بتَسْهيدِ
فالقلبُ في حَرَقٍ والعينُ في أَرَقٍ
... ... (٢)

٣٤

وقال رحمه الله :

الطويل

وأهدَى ليَ المحبوبُ الاُتْرُجَّ مُحسنا
فيا حُسنَه مولًى بـه عزَّ عَبْدُهُ
ثمانيَ حبّاتٍ غَرَسْنَ محبَّةً
وهيَّجْنَ من وجْدٍ تقادَمَ عَهْدُهُ
تجمَّعَ لي المثلانِ لوني ولونُها
كما اجتمعَ الضدّانِ قُرْبي وبعدُهُ
ولكنْ حَوَى راءً وجيما حروفُهُ
فرجَّيْتُ أن يسخُو ويذهبَ ضدُّهُ

---

(١) الميد : من ماد يميد ميدا : تحرك وزاغ . الصيد : داء يصيب الابل فتسيل انوفها فتسمو براسها .

(٢) لم يرد في نفح الطيب ، وهو كذلك في الاصل وقد كتب الناسخ بعد الشطر الاول كلمة « نقص » .

وجاءَ كما يُرجَى من الصخر لينُه
ومِنْ حَرٍّ أنفاسي وقلبي بَرْدُه

أُعلّلُ قلبي بالأماني وكم صدٍ
رأى الماءَ لكنْ ليس يُمكنُ وِرْدُه

فحسبيَ من وصلٍ كلامٌ ونظرةٌ
وذا غايةُ الصبِّ العفيفِ وقَصْدُه

ولم أرَ مثلي كان أكتَمَ للهوَى
صيانةُ حبِّي ان يُدَنَّسَ بُرْدُه

٣٥

وقال أيضا :

الطويل

تمنَّيْتُ تقبيلَ الحبيبِ فجاءَني
وقبَّلَني في النومِ ثِنتينِ في العَدِّ

فيا طِيْبَ ذاكَ اللثمِ عندي وبردِه
على كبدٍ حرَّى تذوبُ من الوجْدِ

واني لأرجُو أنْ أُقبِّلَ يقظَةً
فماً فيه شيبَ الخمرُ بالمِسْكِ والشُّهْدِ

[٣١]

فيقضي ظمآنٌ من الراحِ ريَّهُ
ويشهدُ ثغراً كاللآلِيءِ في العِقْدِ

٣٦

وقال رحمه الله :

الطويل

أَقُولُ لأَصحابي أَلا ماءُ باردٌ
فقد قَدَحَتْ في القلبِ نارُ زِنادِ

فجاءُوا بكُوزٍ أحمرِ اللونِ قانيءٍ
وحافاتُهُ مطليَّةٌ بسوادِ

فقُلْتُ : عُيونُ الكوزِ سُودٌ لذكرت
عيون حبيبٍ باخلٍ بمِدادِ

وما لونهُ الا يشابه حمرةً
بوجنةِ مولىً مالكٍ لقِيادِ

أيا عجباً هذا الجمادُ محرِّكٌ
رسيس الهوَى في قلبِ أهيمَ صادِ (١)

أراني متَى انظُرْ لشيءٍ أجِدْ بهِ
مشابهَ حسنٍ في الحبيبِ بوادِ

يَلَذُّ لقلبِي ما يُريدُ حبيبُهُ
دوامُ سهادٍ والتزامُ وسادِ

وتركُ غِذاءٍ غيرَ ذكرَى حَبيبة
فَذاك الى أخراه فضلَةُ زادِ

---

(١) رسيس الحب : أوله ، بقيته وأثره .

٣٧

وقال رحمه الله :

الطويل

أيا ناصرَ الدينِ انفردتَ بمَنْشأٍ

من النَّثْرِ ما فيهِ انتقادٌ لناقدِ

قلائدُ عقيانٍ تحاكي وإنَّهُ

فرائدُ ياقوتٍ لتلكَ القلائدِ

فرائدُ لو كانَتْ تجسَّدُ نُظِّمَتْ

عقوداً لأجيادِ الغَواني النَّواهدِ

هو الأدَبُ الغَضُّ الجنيُّ أتَتْ بِهِ

قريحةُ فكرٍ واقدٍ غيرِ خامدِ

[٣٢]

شفَعْتَ بها احسانَها فكأنَّما

شَفَعْتَ الدراري بالشموسِ الخوالدِ

خوالدُ لا تبْلَى على الدهرِ جِدَّةً

إذا تُليَتْ جاءَتْ لكم بالمحامدِ

سوارٍ الى الآفاقِ يزْهَى بسَمْعِها

ذوو النثرِ من نقادِنا والقصائدِ

غـدا شـافـعٍ في العلمِ والفضلِ واحـداً
فأَعْظِمْ بـهِ من شـافـعٍ فيـه واحـدِ

٣٨

وقال(١) أيضا :

البسيط

طالِعْ تواريخَ مَنْ في الدهرِ قد وُجِـدوا
تَجِدْ خُطوبا تُسَلّي عنكَ مـا تَجِـدُ
تَجِدْ أكابِرَهُم قـد جُرِّعُوا غُصَصاً
من الرزايـا بهاكم فَتُتِّتَتْ كَبِدُ(٢)
عَزْلٌ ونهبٌ وضربٌ بالسـياطِ وحَبْـ
ـسٌ ثم قتلٌ وتشـريدٌ لِمَنْ وُلِـدوا
وإنْ وُقِيْتَ بحمـدِ الله شَـرَّتَهُـم
فلتحمـدِ اللهَ فالعُقْبَى لمَـنْ حَمِدُوا(٣)

٣٩

وقال رحمه الله :

الطويل

تَصاوَنَ مَنْ أَهْوَى وصَوْني أَوْرَثـا
لِقلبيَ ناراً كلَّ وَقْتٍ لهـا وَقْدُ

---

(١) ذكرها المقري في نفح الطيب ج٣ ص٣٣٠ .
(٢) الغصة : الشجى ، والجمع غصص . والغصص ـ بفتحتين ـ مصدر غصصت بالطعام أغص غصصا ، فأنا غاص به وغصان وأغصني غيري .
(٣) في أحد نسخ نفح الطيب : « فلتحمد الله في العقبى كما حمدوا » . العقبى : جزاء الامور .

كأنّي ابنُ داودٍ شهيدُ ابن جامعٍ
أو ابنُ كليبٍ في هوَى أسلمٍ يعدُو

همـا أظْهَرا في الناسِ حُبَّيْهِما معـاً
وحُبِّي مَسـتورٌ لـدَى الناسِ مـا يبدُو

علـى انني في الحبِّ ثـالثُ ثلاثـة
تَوالَى علينا الشوقُ والدمعُ والسُّهْدُ

قَضَى نَحْبَهُ وجْداً وشوقاً كِلاهُمـا
وضَمَّهُما من فَرْطِ بلواهُمـا لَحْدُ

[٣٣]

فـإن كنتُ عن صَحبي تراخَتْ مَنيَّتي
فحَسْبِيَ أنّي في الوَرَى الفَلَكُ الفَرْدُ

وَرِثْتُ لَذاذاتِ المحَبَّاتِ كلهَّا
فماليَ فيهَا لا شَريكٌ ولا ضِدُّ

وحبِّيَ يَدْرِي أنّني صادقُ الهَوَى
كَتُومٌ ، ومالي من هوى حُسْنِهِ بُدُّ

٤٠

وقال رحمة الله عليه :

الطويل

ولمّـا طغَى الانسانُ سَلَّطَ ربُّه
على نفسهِ منْ نفسهِ عُضْوَهُ الفَرْدا

فأعقبَهُ ذُلاً وفقْراً وأفرُخاً
صغاراً ذَوي جوعٍ يكُدُّونَهُ كَدّا
فأقبِحْ بِها من شَهْوَةٍ كانَ أصْلُها
مُقَدَّمَةَ الاِستينِ أنْتَجتا وُلْدا

٤١

وقال رضي الله عنه :

الطويل

تَفانَيْتُ قِدْماً في هوى كُلِّ أغيَدِ
لطيفِ التَثَنّي نادرِ الحُسْنِ مُفْرَدِ
وما علِقَتْ روحي دَنِيّاً وإن يكُنْ
جميلاً ولكنْ ذا جلالٍ وسُؤْدَدِ
وكانَ اِبتدائي أنْ هَوِيتُ محمداً
فصارَ اختتامي في الهوى بمحمدِ
وبالأَعينِ السُودِ أُفْتُتِنْتُ فيا لها
سواجيَ قد حرَّكْنَ شَوقاً لمكمدِ
وعلَّقْتُهُ صعبَ المقادَةِ آبياً
كثيرَ التوقي صَيِّناً ذا تشدُّدِ
كريمٌ بتأنيسٍ وتحديثِ ساعةٍ
بخيلٌ بتقبيلٍ وباللَّمسِ باليدِ
وجاذبتُهُ يوماً ففرَّ كأنه
غزالٌ رأى منّي احتيالَ التَصَيُّدِ

[٣٤]

فلاطفتهُ حتى استكانَ وما درَى
بأنَّ الدَّنايا لا تَحُلُّ بمعقَدِ
مُراديَ منهُ ما يريدُ وقد كفَى
تعهُّدُهُ قلبي بأُنسٍ مُجدَّدِ
ورؤيةُ عيني البدرَ عنديَ طالعا
وتشنيفُهُ سَمْعي بدُرٍّ مُنضَّدِ
وعلمُ حبيبي أنَّني لستُ تاركا
هواه ولو أنّي أُحَلُّ بمِلْحَدي
أُنادِمُ منهُ مِلْءَ عيني ملاحةً
وألحظُ منه الشمسَ حلَّتْ بأسعَدِ
وأقطُفُ من آدابِهِ الزهرَ يانعا
وأشتمُّ رَيْحانا بخَدٍّ مُوَرَّدِ
وها أنا ذا قَدْ رُحْتُ عنهُ مودِّعا
فيا ليتَ شِعري هل لهُ بعْدُ أغتَدي

٤٢

وقال أيضا :

الخفيف

إنَّ قلبي ومِقوَلي قد أرَقّا
للمُقِرِّ الأسمى الشهابيِّ أحمَدْ(١)

(١) هو ابن فضل الله العمري المتوفى سنة ٧٤٩هـ ، وصاحب مسالك الابصار .

مِن لسانِي ذِكرانِ ذِكرُ دعاءٍ

ثم ذِكرٌ به الثناءُ مُخلَّدْ

وبقلبي حُبّانِ حُبٌّ طباعٍ

ثم حُبٌّ لِجُودِهِ قد تأكَّدْ

أبطَحِيٌّ فَخارُهُ عُمَرِيٌّ

مَحْيَوِيٌّ له المكارِمُ تُسنَدْ

هوَ سِرُّ الملوكِ في كُلِّ أمرٍ

فَعليهِ خَناصِرُ المُلْكِ تُعْقَدْ

حبُّهُ واجِبٌ على كُلِّ مَنْ آ

مَنَ باللهِ والرسولِ محمَّدْ

لابْنِ فضلِ الاءِلهِ فَضْلٌ علينا

وتمامُ الاحسانِ والعَوْدُ أَحْمَدْ

[٣٥]

٤٣

وقال رحمه الله تعالى :

الطويل

شَغَفْتُ زماني بالعلومِ ولم يكُنْ

لروحِيَ ميلٌ للكواعِبِ عَنْ قَصْدِ

وجَمَّعْتُ مالاً راحَ في غيرِ لذةٍ

فاعقبني فَقْدِيهِ وجْداً على وجْدِ

وأَنتجتُ أَفراخاً مَضَوْا لِسَبيلهم
على حينِ نقلٍ من سريرٍ ومن مَهْدِ

وبُلّغْتُ من عُمري ثمانينَ حجَّةً
وثنتينِ أُمسِي دائما نائماً وَحْدِي

فقلبيَ مُسْوَدٌ وليلي مثلُه
سواداً فجاءوني بمسوَدَّةِ الجلدِ

فَصِرْنا ثلاثاً ظُلْمَةً مَعَ ظلمةٍ
على ظلمةٍ تتلُو لنا ظلمةُ اللَّحْدِ

ودُنياهُمُ ما نِلْتُ منها نعيمَها
وأَرجُو نعيماً دامَ في جَنَّةِ الخُلْدِ

٤٤

وقال(١) أيضا :

الوافر

إذا مالَ الفتَى للسودِ يوما
فلا رأيٌ لديه ولا رَشادُ

أَتهوَى خُنْفَساء كأن زفتاً
كسا جِلداً لها وهُوَ السوادُ(٢)

---

(١) ذكرها المقري في نفح الطيب ج٣ ص٣٢٨ بعد الابيات رقم (٣٣) ، وقال : « وقال في عكسه » .

(٢) الزفت : القير .

وما السوداءُ الا قِدرُ فرنٍ
وكانونٌ وفحمٌ أو مِدادُ
وما البيضاءُ الا الشمسُ لاحتْ
تنيرُ العينُ منها والفؤادُ
سبيكةُ فضةٍ حُشيت بوردٍ
يلَذُّ السُّهدُ معْها والرُّقادُ
وبينَ البيضِ والسودانِ فرقٌ
لذي عقلٍ به اتّضحَ المُرادُ

[٣٦]

وُجوهُ المؤمنينَ لها ابيضاضٌ
ووجهُ الكافرينَ بهِ اسودادُ

٤٥

وقال رضي الله عنه :

الخفيف

حفِظَ اللهُ ساعةً مزَجتني
بحبيبي فنحنُ مزْجاً كشُهْدِ
ولحا اللهُ ساعةً فرّقتْنا
وحشَتْ في حشايَ أعظمَ وقْدِ
صِرْتُ كالشمعِ مُحْرقا ذا اصفرار
وهوَ كالأَرْيِ لو يُباحُ لِوِرْدِ(١)

---

(١) الاري : العسل .

٤٦

وقال سامحه الله :

الطويل

وكلَّفْتَنِي أمراً لَو انَّ اقلَّهُ
يكلَّفُهُ ثَهْلانُ كادَ يَميدُ[١]
إعادةَ ماضٍ واستدامةَ حالَةٍ
وتَحصيلَ آتٍ إنَّ ذا لشَديدُ
تَصَرَّفْتُ في ماضٍ وآتٍ وحاضِرٍ
كأنيَ فِعْلٌ بانَ عنه جُمُودُ
وما زالَ بي التَّشبيهُ حتى تظافَرَتْ
موانعُ صَرْفٍ ما لَهُنَّ مَحيدُ
فليتَ انصرافي في مكانٍ تَصَرُّفي
فَيَنْقُصُ ذا عنِّي وذاكَ يَزِيدُ

٤٧

وقال أيضا :

الطويل

وقالوا : أبو حيانَ قد نالَ رُتبةً
سيركبُ فيها بغلةً ويزيدُ
وما كنتُ أزهى بالذي صِرْتُ نائلاً
ولا أنا ممَّنْ بالبغالِ يسودُ

[٣٧]

(١) ثهلان : جبل ضخم بنجد . (معجم البلدان) .

قافية الذال

٤٨

قال رحمه الله تعالى :

الطويل

أأرجو حياةً بعدَ فقدِ زُمُرُّذ
وكانَتْ بها روحي تلَذُّ وتغتذي[١]
زُمُرُّدُ قد خلّفْتِ للصبِّ لوعةً
وحُزنا بقلبي آخذاً كلَّ مأخذِ
رَمَيْتِ بسهمٍ وَسْطَ قَلْبٍ مُجَرَّحٍ
كأنَّ به وَقْعَ الحُسامِ المُشحَّذِ
فَحَصَّنْتُهُ بالصَّبْرِ فيكِ وعندَما
نبضْتِ أتاه السهمُ من كُلِّ منفذِ
فَمِنْ مُقلتي تَسهادُ جَفْنٍ كأنَّما
يمرُّ عليه الليلُ جلدةَ قُنفُذِ
ومِن مَسمَعي صَغْوٌ لصوتك دائما
ومن معْطَسي تَوْقٌ الى عَرفِكِ الشَّذي
ومن مَبسمي أنْفاسُ نارٍ تردَّدَتْ
على كَبِدٍ حَرَّى وعَقْلٍ مؤَخَّذِ

---

(١) هي زوجه زمردة بنت أبرق أم ولده حيان ، وقد : اسمعها الكثير على الابرقوهي وغيره وحدثت وسمع منها البرزالي . ماتت في ربيع الاول سنة ٧٣٦هـ . (الدرر الكامنة ج٢ ص١١٦) .

بـه لَـمَمٌ قـد مَسَّهُ وتَخَبُّطٌ

فلا بالرُّقَى يُهْدَى ولا بالتعـوُّذِ

تقدَّمُهـا بنتي نضـيرةُ بنتهـا

وقد جُمِعـا في مُلحَدٍ لم يُسـرَّذِ

وكنّا «الذي» مع وُصلةٍ لي وعـائدٍ

وقد حُذِفا لم يبقَ منها سوى «الذي»

وزينـةِ حِلْـم عقلُهـا ثابتٌ فـلا

تأثرُ من ايهـامِ كُلِّ مُشَـعْوَذِ

وحازَتْ لحُسنِ الخَلْق خُلْقاً مُذَمَّثاً

ولـينَ كـلامٍ طاهرٍ ليس بالبَذِي

فمـا دنَّسَتْ فاها بغِيبةِ غائبٍ

ولا مَنَعَتْ رِفداً لمن جـاءَ يحتذي

وتعرف أجناسَ المبيـعِ جميعه

واثمـانَهُ من فَحْمَةٍ للزُمرُّذِ

[٣٨]

وان جاءَ كَحّالٌ وذو الطب نَحْوَها

تُبارِيْهمـا فأذْعَنـا للتَّتَلْمُذِ

تغيَّرَ ذِهْني بعدَ جِسمِي ....(١)

فعقلِيَ لم يقبَلْ عزائمَ عُـوَّذِ

(١) في الاصل نقص .

وجسمي إذا رُمْتُ اضطجاعاً لراحةٍ
يقلَّبُ على جمرِ الغضا ثم يحتذي

وإنْ رُمْتُ نهضاً للقيامِ فأخمصي
أراهُ كأنْ شوكُ القتادِ به حُذي

وإنْ أنا حاولتُ القعودَ تواترتْ
همومٌ متى تعلقْ بروحيَ تجبذِ(١)

فقلبيَ في حزنٍ وعينيَ في بكا
فيالكَ شجواً بينَ ذا قدْ ثوى وذي

جميلةُ خلقٍ سهلةُ الخُلقِ لينةٌ
رقيقةُ قلبٍ ثاقبِ الذهنِ أحوذي

أجدَّكِ لن تصغي لشاكٍ مولَّهٍ
جريحِ فؤادٍ فيك ذي مدمعٍ قذي

تباخلتِ حتى الطيفُ ليس بزائرٍ
لدى هجعةٍ ساهي الفؤادِ مجذَّذِ

بقيْ صالحٌ وأحمدُ ومحمدٌ
وبلقيسُ كالايتامِ بعدَ زُمرُّذِ

وكانتْ لهم أُمّاً حنوناً وجدَّةً
شفوقاً تشهيْهم بكلِّ تلذُّذِ

(١) جبذ : جذب .

وتختارُ أنواعَ المَطاعِمِ سُكَّرٍ

وحَلْوَى وبانيـذٍ لهم وَطَبَرْزَذِ (١)

رَوَتْ مِن أحاديثِ الرسولِ مَسانداً

وكانَ لها روحٌ بِتَسْماعِها غذِي

صحيحَ بُخارِيٍّ ومسنـدَ دارمٍ

بسَمْعِ إمامٍ ثابتِ النَّقْلِ جهبَذِ

ورَوَتْ ببيتِ اللهِ والقدسِ ما رَوَتْ

لِمصـريٍّ أو شاميٍّ أو مُتَبَغْدِذِ

[٣٩]

وحجَّتْ وزارَتْ مرَّتَيْنِ وقدَّستْ

وما يَكُ من بِرٍّ تُعجِّـلْ وتُنْفِذِ

قضَى اللهُ أَنْ عاشَتْ وماتَتْ سعيدةً

وليس امرُؤٌ ممـا قضـاهُ بمُنْفَذِ

مَضَتْ ولها ذكرٌ جميلٌ مُخلَّـدٌ

ثناء كعَرْفِ المسكِ والعنبرِ الشَّذِي

الى العالَمِ العُلْويِّ راحُوا بِرُوحِها

لِرَوْحٍ ورَيحـانٍ وجنَّةِ مُغْتَذِ

(١) پانيذ وفانيذ وپانيد وفانيد : السكر الابيض أو شيرة قصب السكر . (فرهنك عميد) . وفي معجم (برهان قاطع) : انه نوع من الحلوى . الطبرزذ : السكر ، معرب . (القاموس المحيط) ، وفي المعرب ص٢٢٨ : « طبرزذ : أصله بالفارسية تبرزذ كأنه يراد : نحت من نواحيه بفأس ، والتبر : الفاس بالفارسية ، ومن ذلك سمي الطبرزذ من التمر لان نخلته كأنما ضربت بالفأس » .

ولم تَكْتَرِثْ يَوما بِلِبْسٍ وزينةٍ
وحَلْيٍ فتبـدو في النَّعيمِ المُلَـذَّذِ
ولكنْ بِجـودٍ واحتمالٍ يزَينُهـا
بنفحٍ لذي فَقْرٍ وصَفْحٍ عن البَذِي
مُطَهـرةٌ لفظـاً وقلباً وبَرَّةٌ
مُبَرَّأةٌ عن كُـلِّ ما قـادحٍ رذِي

٤٩

وقال رحمه الله :

الرمل

بأبـي ظبيٌ لعَهـد قـد نَبَـذْ
جبَذَتْ عَيْنـاه قلبـي فانْجَبَـذْ (١)
كُـلُّ ذي حُسْـنٍ ترَى أمثالَـهُ
غيرَ محبوبي فَهُوْ في الحُسْنِ فَذْ
يـا غَرِيبَ الحُسْنِ إنّي سـائِلٌ
وزكاةُ الحسنِ تُعطَى من شَحَذْ
قـالَ : مـا تبغِي ؟ فقلتُ : قُبْلَـةٌ
تَشْعَبُ القلبَ الذي صـارَ فِلَـذْ
قـال : خُذْهـا ، ثم لا يأخُذُهـا
أحـدٌ منّي ولا كانَ أخَـذْ

---

(١) جبذ : جذب .

فَرَشَفْتُ من لُماهُ سَلْسَلاً
وحَلالي ذلكَ الرَّشفُ ولَذْ
فاخْتَبَطْتُ فأتَوْا يرَقُونَني
حَسِبُوا أنْ بِي من الجِنِّ الأَخَذْ
[٤٠]
قالَ : كُفُّوا ما بِهِ مِن جُنَّةٍ
إنَّما سَهْمِيَ فيهِ قَدْ نفَذْ
إنَّه لمَّا رَمَتْهُ مُقلَتي
وصلَ السَّهْمُ الى أقْصَى القُذَذْ(١)
ليسَ داءُ الحبِّ يشْفَى بالرُّقَى
لا ولا ينفَعُ تعليقُ العُوَذْ
بلْ شِفاءُ الحُبِّ وَصلٌ عاجِلٌ
واعتناقٌ واجتماعٌ مُسْتَلَذْ

---

(١) القذة : ريش السهم .

قافية الراء

٥٠

قال رحمه الله : الطويل

فُتِنْتُ بِمَنْ لو نورُها لاحَ للوَرَى
لأغناهُمُ عن بهجةِ الشمسِ والقمرْ

فتاةٌ من الفردوسِ فَرّتْ الى الدُّنَى
ليُعْلَمَ ما فيها من الحُسْنِ في الصُّوَرْ

كأنَّ النَّقا والغُصْنَ والبَدْرَ والدُّجَى
مَعاً رِدْفُها والقدُّ والوجهُ والشَّعَرْ

٥١

وقال ايضا : الطويل

أَجنةُ عَدْنٍ قد بَدا لِيَ حورُها
أم الخيمةُ الزرقاءُ لاحَتْ بدُورُها

أم المقلةُ الوَسْنَى تزورُ حبيبَها
فلمّا انثنتْ يَقَظَى تَبيَّنَ زُورُها

فُتِنّا بآرامٍ دَواعي صَبابَةٍ
سَواجِي لِحاظٍ قد سَبانا فتورُها

أوانسَ فارَقْنَ الكِناسَ فأصبحتْ
نَوافِرَ قد عزَّتْ على من يَزورُها

يُدِرْنَ من الأحداقِ أقداحَ قَهْوةٍ
ثَمِلْنا بها لكنْ عَدانا سُرورُها

وَيَنْصُبْنَ بالأهدابِ اشراكَ فِتنةٍ
تَصيدُ بها الآسادَ بادٍ زئيرُها

[٤١]

وأسفَرْنَ عن مِثلِ الشُموسِ طَوالِعاً
بأَعينِ عينٍ عَزَّ منها نُفورُها
وَهَبْ أنَّ أغصانَ النَقا شِبْهُ قَدِّها
فأنَّى لها مُرخىً عليها شُعورُها
تَلَفَّعْنَ في داجٍ من الوَحْفِ سائلٍ
الى كعبها يَنْجرُّ منها صغيرها[1]
فَمَن يَسْرِ خَلْفاً ضَلَّ في ظلمةٍ ومَنْ
يَسيرُ أماماً فهو يَهديه نورُها
ويَبْهرنَ كُلَّ النَيِّراتِ بِغُرَّةٍ
تلألأُ منها ضوؤُها وسُفورُها
ويُقْعِدْنَها الأردافُ رَيّا ثقيلةً
فتنهضُها ظَمأىٰ خِفافاً خُصورُها
وتجلو لآلي ثغرها وتمجّها
جَنى شَهْدَةٍ أضحى الأرْكُ يَشورُها[2]
أظَبْيَ الفَلا قُلْ لي بأَيّةِ حيلةٍ
تحيَّلْتَ حتى عَيْنُها تستعيرُها

---

(١) الوحف : الشعر الكثير الاسود ٠
(٢) في الاصل : وتمحنها ٠ يشورها : شار العسل : استخرجه واجتناه ٠

وَيَـا دُرَّةَ الغَوَّاصِ زِدْتَ مَلاحَةً
الى العينِ لمّـا أشبهتك ثغورُهـا
وَيَـا حِقَّي العَاجِ الذي ازْدانَ حِلَةً
متىأمكنت مِنْ خَرْطٍ نهدٍ نُحورها
أبى نهدُها مِن مسٍّ وَشيٍ لجسمِها
كذا الرِّدفُ يأبى مَسَّ وشيٍ ظُهورُها
أثَـرْنَ بقلبي لوعـةً إثـرَ لوعـة
كذلكَ حبُّ الغانياتِ يثيرُهـا

٥٢

وقال(١) أيضا :

البسيط

علِقته سَبَجِيَّ اللـونِ فاحمَـةٌ
ما ابيضَّ منهُ سوَى ثغرٍ حكَى الدُّرَرَا(٢)
قَدْ صاغَـهُ من سَـوادِ العَيْنِ خالقُـهُ
فكلُّ عَينٍ اليـهِ تَدْمِنُ النَّظَـرا(٣)

[٤٢]

---

(١) ذكر البيتين الاولين الصفدي في الوافي بالوفيات ونكت الهميان ص٢٨٢ ، وقال : « وأنشدني من لفظه لنفسه في أسود » . وذكرهما المقري في نفح الطيب ج٣ ص٢٩٠ نقلا عن ابن مرزوق الخطيب وفيه « وانشدني أيضا من مداعباته ، وله في ذلك النظم الكثير مع طهارته وفضله » .

(٢) كذا في الاصل ، أما في نفح الطيب : قادحة . وفي الوافي بالوفيات ونكت الهميان : بشجي اللحظ حالكه . السبج : الخرز الاسود .

(٣) كذا في الاصل ونفح الطيب ، اما في الوافي بالوفيات ونكت الهميان : تقصد النظرا .

كأنَّما هُوَ مرآةٌ تُقابِلُه
مِنَ الورى أنْفُسٌ قد أوْدعت صُوَرا
تِلكَ اللَّواتي غَدَتْ في الحُسْنِ مُشرِقَةً
لَفَاقَتِ النَّيِّرَيْنِ الشَّمْسَ والقَمَرا
تَقَسَّمتْ لونَهُ الابصارُ والِهَةً
في حُسْنِه فاذا إنسانُها بَصَرا
لولا سوادٌ بِها مِنهُ لما نَظَرَتْ
ولم يكُنْ عاشِقٌ بالعَيْنِ قد سَحِرا
نُوبِيُّ جِنْسٍ فُؤادي منهُ في نُوبٍ
مُسْتَعْجِمٌ أفْصَحتْ في وَصْفِهِ الشُّعَرا
مِنْ آلِ حامٍ أخِي سامٍ ويافِثه
بِحُسْنِه استعبَدَ السامِيْنَ والخَزَرا
مُكَمَّلُ الخلقِ من فَرْقٍ الى قَدَمٍ
مُذَلَّلُ الخُلْقِ مِطْواعٌ إذا أُمِرا

٥٣

الطويل.

وقال أيضا :

ومَلَّكْتُ روحي للحبيبِ تَطَوُّعاً
فَها أنا ذا ساخٍ به وهو ساخِرُ(١)
ويا عَجَباً أنّي أُسَرُّ بحبِّه
وروحي عن جُثْماني اليومَ سائِرُ

(١) ساخٍ : كان سخيا .

تَقَسَّمَت الأزمانَ فيـهِ محبّتي
فوجدِي بهِ ماضٍ وآتٍ وحاضِـرَ

٥٤

وقال رحمه الله :

الطويل

وقابَلَني بالحُسْـنِ أَبْيَضُ ناعِمٌ
وأَسمرُ حلوٌ أصبَحـا فِتنةَ الوَرَى
فذا سَلَّ من جَفْنَيْهِ للضَّرْبِ أَبْيَضاً
وذا هَزَّ من عِطْفَيْهِ للطَّعنِ أَسْمَرا(١)
وقـد صـارَ لي شُـغْلٌ بحبيْهِما معـاً
فأيُّهما يَنْـأَى فَصَفْوي تَكَدَّرَا

[٤٣]

وإنْ يقرُبـا كانَت حياتي لذيـذةً
وإن يبعُدا عنِّي أرَى المـوتَ أَحْمَـرا
فيـا لَيْتَ قلبي قـد تَعَنَّى بواحـد
فَيَغْنَى بـه لكنْ فـؤادِي تَشَـطَّرا
فَشَطْرٌ لَدَى مَنْ لا شعورَ لـهُ بـه
وشَطْرٌ لدَى رِيمٍ دَرَى منه ما دَرَى

(١) ورد البيتان في تاريخ أبي الفدا ج٤ ص١٤٢ ، وتاريخ ابن الوردي ج٢ ص٣٣٩ وجلاء العينين ص١٨ كما يأتي :

وقابلني في الدرس أبيض ناعم — وأسمر لدن أورثا جسمي الردى
فذا هزّ من عطفيه رمحا مثقفا — وذا سل من جفنيه عضبا مهندا

فيا عَجَباً للصَّبِّ قَسَّمَ قَلْبَه
هَوَى اثنينِ هذا القَلْبُ أعْجَبُ مايُرى

٥٥

وقال رحمه الله يرثي ابنته العالمة المعربة نضار :

الطويل

تذكَّرَ بُعْداً من نُضار فما صَبَرْ
حَليفُ أسىً رامَ السُّلُوَّ فما قَدَرْ
فأضْرَمَ ناراً في الحَشَا قد تَسعَّرَتْ
وأمْطَرَ شُؤبوبُ المدامعِ كالمَطَرْ
نضارُ لقد أسْقَيْتِنِي كأْسَ لوعَةٍ
هي الصبرُ المكروه أو طعْمُها أمَرْ
نضارُ لقد خلَّفتِني ذا مصائبٍ
إذا شَرَعَتْ تنأى تَداعَتْ لها أخَرْ
نضارُ اعلمِي أنّي بقلبيْ وقالَبِي
لديكِ مُقيماً لا يَقُرُّ لي السَّفَرْ
وأتلُو كِتابَ الله سِرّاً وجَهْرَةً
عليكِ وأدْعُو بالأصائلِ والبُكَرْ
وأبكيكِ ما إنْ دام بالجِسْمِ رُوحُه
وما لاحقي يوماً مَلالٌ ولا ضَجَرْ
ولستُ كمَنْ بكَى حَبِيبَيْهِ حِقْبَةً
فقالَ وقد مَلَّ البُكا مِنْهُ والسَهَرْ

الى الحولِ ثم اسمُ السلامِ عليكما
ومن يبكِ حولاً كاملاً فقد اعتذرْ
ولكنني أبكيكِ إذْ نلتقي معاً
فتبصرِ عيني وجهكِ الزاهرَ القمرْ

[٤٤]

وأحظى بحسنٍ من حديثك إنما
حديثكِ أُنسُ القلبِ والسمعِ والبَصرْ
وما كنُضارٍ في البناتِ وما لَها
شبيهٌ يُرَى لا في البَداوةِ والحَضرْ
رَزينةُ عقلٍ لو يُقاسُ بمثلِها
حِجىً كانَتْ الياقوت قد قيسْ بالحَجَرْ
وتلاوةٌ آيَ القُرآنِ يزينُها
فاعرابُهُ زَيْنٌ القراءة بالدُرَرْ(١)
وراويةٌ عن سيّدِ الرُسْلِ ما رَوَتْ
ثقاتٌ بما قَد صَحَّ من مُسْنَدِ الخَبَرْ
وكاتِبةٌ خطّاً يزَيِنُ يَراعَها
بَراعَتُهُ فيه ابتهاجٌ لِمَنْ نَظَرْ
وليسَتْ من اللآئي شُغلْنَ بزينَةٍ
فتكحلَ منها العينُ أو تَلْبَسَ الحبَرْ

(١) في الاصل : زين الترآسه .

ولكنْ لهـا شُغْلٌ بأجْرٍ تَعِـدُّهُ
لِيـومِ معـادٍ حينَ يَنْفَخُ في الصُّوَرْ
إغاثـةُ مَلهوفٍ وإطعـامُ جـائعٍ
وكُسوةُ عـارٍ وانتفاعٌ بلا ضَرَرْ
ألا رَحِمَ الرحمـنُ نَفسـاً زكيَّةً
لدَى العـالمِ العُلْويِّ كانَ لهـا مَقَرْ

٥٦

وقال رضي الله عنه : **الطويل**

نَداكَ هـو البحـرُ الخِضَمُّ لآمِـلٍ
ألَسْتَ تـراهُ الدَّهْرَ يلفِظُ بالـدُّرْ
وقالوا : نَدَى كفَّيْكَ سُحْبٌ هَواطِلٌ
أمـا عَلِمـوا أنَّ السَّحاب من البحْـرِ

٥٧

وقال عفا الله عنه : **الطويل**

أنارَتْ مُحَيّاً إذْ دجَا منه فرْعـه
وأخْصَبَ منها الرِّدْفُ إذْ أجْدَبَ الخَصْرُ

[٤٥]

إذا ما مَشَتْ تَخْتـالُ بين لِداتِها
رأيتَ مَلاكَ الدُّجنِ تكنُفُهُ الزُّهـرُ
وأعجبُ مـن ضِـدَّيْنِ فيَّ تَجمَّـعـا
فمِن مُقلَتيِ قَطْـرٌ ومن مُهجَتي جمرُ

٥٨

وقال رحمه الله :

الخفيف

ذو لِحاظٍ بـه سَقامٌ فتـورٍ
لِصِحاحِ القُلوبِ مِنهنّ كَسْـرُ
فلأنْفاسِـه وثغـرٍ وريـقٍ
نِسَبَتْ مِسْكَةٌ ودُرٌّ وخَمْـرُ
ولقَـدٍّ وشَـعرِه والمُحَيَّـا
أشْبَهَتْ خُوطَةٌ وليلٌ وبـدرُ

٥٩

وقال رضي الله عنه :

الخفيف

أسُـهادٌ وأدْمُـعٌ وزَفيرُ
بعضُ هـذا علـى المحبِّ كثيرُ
مـا تذكَّرتُ وَصْـلَ حِبِّيَ إلاّ
كادَ قلبي شَوْقاً اليهِ يطـيرُ
سَـكَنوهُ وأوْدَعوهُ غَرامـا
عَجَبـاً فيـه جَنَّـةٌ وسَـعِيرُ

٦٠

وقال ـ رحمه الله ـ كان بدر الدين بن زين الدين الاسعردي قـد تزوج بنت علاءالدين بن الاثير(١) وأهدى طعام العرس الى الناس ، وكان

---

(١) هو القاضي الرئيس علاءالدين أبو الحسن علي بن القاضي تاج الدين المعروف بابن الاثير كاتب سر مصر في العهد المملوكي ، مات سنة ٧٣٠هـ . (النجوم الزاهرة ج٩ ص٢٨٣) .

صاحبنا الكاتب خليل البهنسي جمال الدين يقرىء بدر الدين شيئا من النحو ويكتبه ، فكلفني أن أنظم له أبياتا في هذا المعنى وهي : [٤٦]

الطويل

هَنيئاً لِزَيْنِ الدينِ بالفَرَحِ الذي
به جُلِيَتْ شَمْسُ الضّحاءِ على البَدْرِ
أَنارَتْ بهِ الأفلاكُ حتى أثيرُها
بغُرَّةِ بدرٍ لاحَ في ليلةِ القَدْرِ
وسُرَّ بهِ الأحبابُ إذ سارَ نحوهُم
طعامٌ من المشويِّ أو مُنْضَجِ القِدْرِ
ومن صادقِ الحلواءِ زانَتْ صدورُها
صدورَ أُناسٍ في الأنامِ سِوَى صَدْري
وخُصُّوا بها دُونِي وأُهْمِلْتُ منهمُ
وذا شيمةٌ مِنكُم عَرَفْتُ بها قَدْرِي
حروفُهم أصلٌ وحرفي زائدٌ
كأنّي واوٌ أُلحِقَتْ مُنتهى عمْرُو
على أنَّني ذاكَ الخليلُ الذي غدا
مُفيداً لآدابٍ بريئاً من الغَدْرِ

٦١

وقال - رحمه الله - كان بهاء الدين قاضي القضاة بدر الدين بن جماعة[١] قد خلع عليه خلعة سلطانية فانشد أبياتا وهي :

---

(١) هو بدرالدين محمد بن ابراهيم بن جماعة ، توفي سنة ٧٣٣هـ (فوات الوفيات ج٢ ص١٧٤ ونكت الهميان ص٢٣٥ والدرر الكامنة ج٣ ص٢٨٠ والنجوم الزاهرة ج٩ص ٢٩٨) .

الخفيف

يا بَها دُرٍّ سُدْتَ إذْ كُنْتَ مَوْلًى
لأِمامٍ أضاءَ للدينِ بَدْرا

لا أُهنِّيكَ بالملابسِ فاعْلَمْ
بَلْ أُهنِّي بِكَ الملابسَ تَتْرى

إنْ تكُنْ خِلْعَةً تَزِينُ فهذي
زِنْتَها واكتَسَتْ بهاءً وذِرا

إنَّ قاضي القُضاةِ مَنْ يَصْطَفيهِ
نالَ عندَ الملوكِ جاهاً وقَدْرا

٦٢

وقال أيضا رحمه الله :

لمّا حَجَبَتْ جمالَها عن نَظَرِي
أضحى بَصَرِي مُراقِباً للقَمَرِ

[٤٧]

هَبْ أنَّهُما بِناظِرَيَّ اشْتَبَها
نُوراً فهما شِبْهٌ لَها في الخَفَرِ

ما كانَ لَنا نُحِبُّها من غَرَضٍ
لكنْ قَدَرٌ أتاحَهُ عن نظري

سمراءُ لها بمُهْجَتِي مُعْتَلَقٌ
فالعينُ لها مُديمةٌ بالسَّمَرِ

مَهْمَا نَسمت فَمِسْكَةٌ في أَرَجٍ
أَوْ مَا بَسَمَتْ فَرِقَةٌ في دُرَرِ

شمسٌ سَفَرَتْ كمْ أخْجَلَتْ منْ قمرٍ
رَوْدٌ نظرَتْ بِسِحْرِها في الحوَرِ

غابَتْ زَمَنًا فخاطِري في قَلَقٍ
مِنْهَا وجَوانِحِي غدَتْ في سَعَرِ

راحَتْ ولها تَشَوُّقٌ أَزْعَجَهَا
للحجِّ فما تقاعَدَتْ في السَّفَرِ

حَجَّتْ وَقَضَتْ زِيارَةً وافَقَهَا
سَعْدٌ وأتَتْ سَلِيمَةً من ضَرَرِ

فالدارُ بها مُضِيئَةٌ مُذْ وَرَدَتْ
والرُّوحُ لها مطيعةٌ في العُمُرِ

٦٣

وقال رحمه الله :

الرجز

يَرْشُفُنا من ريقِهِ مُدامَةً
نَكْهَتُهَا تَهَزَأُ بالعبيرِ

ونَجْتَلِي دِعْصًا مَهِيلاً فَوقَهُ
أَمْلَدُ تحتَ قَمَرٍ مُنِيرِ

وانحدرَت ذؤابةٌ من شعرِهِ
فانظُرْ وُرُودَ الصِّلِّ للغَدِيرِ

يَلْفِتُ من طَرْفٍ خَفِيٍّ خَجَلاً
يَبْغَمُ مثلَ الشادِنِ الغَرِيْرِ[1]

٦٤

وقال رحمه الله : كان قاضي القضاة شرف الدين الحراني[2] ماتت له بنت وبشر بمولود ذكر من بنت الصاحب تاج الدين بن سليم[3] ، وقال رحمه الله : [٤٨]

البسيط

هنيئاً لكَ النَّجْلُ السعيدُ الذي بِهِ
سَعَدْنا لقد وافاكَ بالبِشْرِ والبُشْرَى
لئِن كنتَ قَدْ جَفَّتْ بروضِكَ زَهْرَةٌ
فقَدْ أطلَعَ الرَّحمنُ في أُفقِكُمْ بَدْرا

٦٥

وقال رحمه الله : البسيط

قالوا وَفَدْتَ من البيتِ الحرامِ ومِنْ
زيارةِ المصطفى للعَودِ مُختارا
فَزاركَ الناسُ أرسالاً وبَعْضُهُمُ
قَدْ ازْدَراكَ انتخاءً منه ما زارا
وما ازْدَراكَ سوى غُمْرٍ أخي حَسَدٍ
يَرَى بكَ الشمسَ إحراقاً وإنوارا

---

(١) بغمت الظبية : صوتت بأرخم ما يكون من صوتها . الشادن : ولد الظبية .

(٢) هو قاضي القضاة شرف الدين أبو محمد عبدالغني بن يحيى الحراني الحنبلي ، ولي التدريس بالصالحية واختير لقضاء الحنابلة ، توفي سنة ٧٠٩هـ (النجوم الزاهرة ج٨ ص ٢٧٨ والدرر ج٢ رقم ٢٤٦٣) .

(٣) مرت ترجمته .

لـو أنَّه كنت رِجْساً من مُسَالَمَةٍ
وافَى مِنَ القُدْسِ كانَ الغُمْرِ زوّارا
إنْ يُتْرَكُوا فقَـدِ يماً زارَ أكبَرهُم
قَدْراً وأكثرهُم في الشَّرْعِ آثارا
المالِكيْ والحَنِيْفِيُّ اللَّذانِ هُما
في العَصْرِ كانا أجَلَّ الناسِ مِقْدارا
التابعانِ الاءِمامَيْنِ اللَّذَيْنِ هُما
أصْلُ الشريعةِ إخباراً وتَنْظَارا
الأصْبَحِيُّ ونُعمانٌ فلا بَرِحَا
يَسْقِي ضَرِيْحَهُما الرحمنُ مِدْرارا

٦٦

وقال عفا الله عنه :

البسيط

يا صبوة قد أتَتْني آخر العُمُرِ
تذكِّر القلب ما قد كان في الصِّغَرِ

[٤٩]

انـي كلفت بريم قد تقنصني
اشـراك مقلته ....[١]
أباح لي قَطْفَ وَرْدٍ يانعٍ نضِرٍ
ورشْفَ شهْدٍ شهيّ عاطرٍ خَصِرِ

---

(١) كذا في الاصل .

يا حُسْنَه وأريجُ الراح في فمه
كالمسْكِ ذُرَّ على صافٍ من الدُرَرِ
وحبذا زَغَبٌ في وجنتيه بدا
هو السياجُ على رَوْضٍ من الزَهَرِ
ورد يضاعف حبيه مضاعفة
ونرجس زين بالتذييل والحَوَرِ
وفيه معنى لطيف ليس يدركه
إلاّ فتى مؤثر للعقْل لا الصُوَرِ
توكّدَتْ بين روحينا مناسبةٌ
لذلك اتفقا في الوِرْدِ والصَدَرِ
وفي تعانق جسمينا ترى عجبا
اثنان قد ظهرا فَرْداً لذي النظرِ
وقد غنيت به عن كل غانيةٍ
من أدرك العين لا يَعْتَدُ بالاثرِ

٦٧

وقال ــ رحمه الله ــ جاءني الشيخ شرف الدين السنجاري المجدلي امام جامع الازهر قد نظم رجزا في الظاء والضاد ، وجاء به الي لانظره فكتبت اليه :

الخفيف

شَرَفَ الدينِ قَدْ تَشَرَّفَ قَدْري
بنظامٍ يَبأَى على كُلِّ شِعْرِ (١)

---

(١) بأى : فخر ورفع نفسه .

سِلْكَ دُرٍّ سَلَكْتَ فيهِ طَرِيقاً
أعجزَ النَّاسَ في نِظامٍ ونَثْرِ
لا عَجِيبٌ من كونِ لفظِكَ دُرّاً
أنتَ بَحْرٌ والبَحْرُ يَرْمِي بِدُرِّ
[٥٠]
هوَ فرقٌ ما بَيْنَ ضَادٍ وظاءٍ
وهو جَمْعٌ ما بين زَهْرٍ وزَهْرِ
أيُّ سِلْكٍ بِهِ الزمانُ تَجلَّى
أيُّ سِحْرٍ أرْبى على كُلِّ سِحْرِ

٦٨

وقال رحمه الله :

الطويل

وبالقلبِ رِيمٌ لا يَرِيمُ وِدادُهُ
ولو أنَّهُ ما عشتُ يَجْفو ويَهْجُرُ
من التُّرْكِ إنْ قابَلْتَ فالبدرُ طالعٌ
لِنصفٍ وإنْ قاتَلْتَ فاللَّيْثُ مُخْدِرُ
تناسَبَ منه الخَلْقُ أمَّا قوامُهُ
فغُصْنٌ ولكنْ بالأهِلَّةِ يُثْمِرُ
ويُشْرِعُ لي من قَدِّهِ سَمْهَرِيَّةً
ولكنْ سِنانُ السَّمْهَرِيَّةِ أحْوَرُ

٦٩

وقال رضي الله عنه :

الطويل

تَعِبْتُ وقد حصَّلْتُ أشياءَ جَمَّةً
من العلمِ قد أَعْيَتْ على الجَهْبَذِ الحبْرِ

حديثٌ وقرآنٌ ونحوٌ منقَّحٌ
وفقهٌ وآداب من النظمِ والنَّثْرِ

وقَدْ جلْتُ ما بينَ الحجاز ومغْرِبٍ
وأَنْدَلُسٍ مَعْ مِصْرَ في البرِّ والبحرِ

فلم أرَ في الدُّنيا امرءاً هو يُرتَجى
لِنَفْعٍ ولا يُدْعَى ليكْشِفَ من ضُرِّ

٧٠

وقال ايضا :

الطويل

أبا الفضلِ كمْ هذا التجنّي وإنَّما
يليقُ بغِرٍّ خائفِ القَنْصِ نافِرِ

وانتَ بقلبي لا تزُولُ وإنَّما
يفوتُ لِعَيْنِي مِنْكَ لَذَّةُ ناظِرِ

[٥١]

وكنتُ ومِن حالِي تأنُّسُ واصِلٍ
وصِرْتُ ومن حالي توحُّشُ هاجِرِ

تَدارَكْ حبيبي خلّةً قد أضعتُها
وزُرْني ولو بالطيف خَطفَةَ زائِرِ
وإنْ لم تزُرْ شَخْصاً فأُنْسْ بأحْرُفٍ
على وَرَقٍ يَقْنَعْ بِذلِكَ خاطِري

٧١

وقال ايضا رحمه الله :

السريع

يا أيُّها المَوْلَى الذي جُودُهُ
كالبَحرِ في تيّارِهِ الزاخرِ
ومِنْ ضِياءٍ وَجْهُهُ مشرقٌ
من بَدْأة الأمرِ الى الآخِرِ
دَخِرتُ وُدّي لَكُمُ دائماً
ما لِسواكُم أنا بالداخِرِ
وقد فَخَرْتُ بانتمائي لكُم
أعْزِزْ بِعبدٍ بِكُمُ فاخِرِ
لولا نَدَى إحسانِكم في الوَرَى
كنتُ كعظمٍ هامِدٍ ناخِرِ
وإنَّ بَحْرَ جُودِكُم مُفعَمٌ
يجري بفُلْكٍ للنَّدَى ماخِرِ
ومَنْ يحِدْ عن باب احسانِكُمْ
يَعَشْ كَعَبدٍ خاسِرٍ داخِرِ

يَضْحَكُ أو يَهْزأُ من فِعْلِهِ
كم ضاحِكٍ مِنهُ بهِ ساخِرِ

٧٢

وقال أيضا :

الطويل

إذا صِلَةٌ وافَتْكَ من صاحبٍ فكُنْ
له شاكِراً إذْ كُنتَ منه على ذِكرِ
وإنّي لأَعتَدُّ اليَسيرَ من النّدَى
وأُتْبِعُهُ بالحَمْدِ مِنّي وبالشُكرِ

[٥٢]

٧٣

وقال رحمه الله :

الوافر

عَذيري من بني مِصرٍ فإنّي
أَفَدْتُهمُ العُلومَ ولا فَخارُ
أَقَمْتُ بِمِصرِهِمْ سِتِّيْنَ عاماً
فلم يَخلصْ لِيَ فِيهِنَّ جارُ
وفارَقْتُ الأَنامَ وفارَقوني
فها أَنا لا أَزُورُ ولا أُزارُ
فإنْ ماتُوا فلا أَسَفٌ عليهم
وإن مُتْنا فقد ماتَ الخِيارُ

٧٤

وقال رحمه الله تعالى :

الخفيف

مـا لِقَلْبي مُقَسَّـم الأَفكار
وكأنْ قد حُشِيَ بجَمْرَةِ نـارِ

قـدْ دَهَتْنـي من الزمـانِ خُطوبٌ
ضـاقَ عن حَمْلها جميـلُ اصْطبارِي

دَمْعُ عيني لِفَقْدِ حَيـانَ وحيّـا
نَ وحيّانَ والنّضارَيْنِ جـارِ

أتُراها من الغَمـامِ استمدّتْ
أو أمدَّتْ من زاخراتِ البحـارِ

خمسةٌ تُشْرِقُ المنـازلُ منهم
أُدْرِجوا تحتَ ظُلمةِ الأحجـارِ

شَغَفَتْ بالقُرآنِ والنحوِ والخـطِّ
وفـاقَتْ بـه جميـع العـذارِ

واعتنَتْ بالحديث سَـمْعاً وكَتْبـاً
فَرَوَتْ جُمْلَـةً من الآثـارِ

مُسْـند الـدارِمِيْ ومُسْنَدَ عبـد
والصَّحيحين مُسْلِماً والبُخـارِي

والنّسـائيْ ومعجم الطَّبَراني
ثـم نصـفا مِلْمُعْجمِ الكُبّـارِ(١)

---

(١) ملمعجم : من المعجم ٠

ولهـا رِحلَةٌ لِمكَّةَ فيهـا
سَـمِعتْ من شُيُوخِنا الأَبرارِ

[٥٣]

خَـرَجَتْ أَربعين عن أربعـينَ اكْـ
ـتَتَبَتْها عن سادَةٍ أحبارِ
وهْيَ في سُقْمِ موتِهـا أسمعَتْنَـا
وأجازَتْ جمعاً من الحضّارِ
ثم راحَتْ لمّا قَضَى اللهُ فيها
بِثَنَـاءٍ وَطَيِّبِ التَّـذْكارِ
وَدَهاني من بعْدِ ذلكَ فَقْدي
أُمَّ حَيَّـانَ خِيرَةَ الأَخيارِ
كانت أُنْسِـي في وَحْدَتي واغترابي
ومَنَـامي ويقظَتِي وسِـفارِي
ونَدِيمي في رِحْلَتِي ومُقَامي
وزَمِيلي في حُجَّتِي واعتِمارِي
كنتُ أرجـو بأنْ تعيشَ وتَبْقَى
حين سُقْمِي تَـدورُ بي وتُدارِي
لم تكُنْ زوجةً ولكنْ كأمٍّ
وأنا كابْنِهـا صغيرُ الصِّغَـارِ
كانَت الروحَ بينَ جنبيَّ راحَتْ
فَحياتي صارَت كثَوْبِ مُعَـارِ

دَعَت اللهَ أنْ تموتَ سَريعاً
في حيَاتي في عِزَّةٍ واستِتارِ
فأجابَ الإلهُ منْها دُعاءً
وقَضَتْ نحَبْها لِدارِ القَرارِ
فَسقَى اللهُ قَبْرَها غيرَ عاثٍ
وحَباها بِدِيمَةٍ مِدْرارِ

٧٥

وقال رحمة الله عليه :

الطويل

فُتِنْتُ بِنَشَّابِيٍّ اخْتَارَ شُغْلَهُ
بِصَنْعَتِهِ خوفَ العُيونِ النَّواظِرِ
أَعَدَّ لرائيهِ نَشَاشِيبَ مَن يُصَبْ
بِواحِدَةٍ مِنها يَرُحْ للمقابِرِ

[٥٤]

وقد نَشِبَتْ في حبِّه أنْفُسُ الوَرَى
فمِنْ مالِكٍ وجْداً وآخر صابِرِ
نَظَرْتُ اليهِ وهو يَنْحَتُ أَسهُماً
فخفَتْ كأنْ قلبِي لهُ قَلْبُ طائِرِ
وقد كُنْتُ لا أقْوَى لِسَهْمِ لِحاظِهِ
فكيفَ لنُشّابٍ وسَهْمِ المحاجِرِ

٧٦

وقال رحمه الله :

المتدارك

بَينَ القَصْرَينِ بَدَا قَمَرُ
بمَحاسِنِه فِتَنُ البَشَرِ (١)
يُعزَى للتُرْكِ وقَدْ تَرَكَتْ
عيناهُ فُؤادِي يَسْتَعِرِ
عَيَنا رَشَأٍ قَدْ زانَهُما
غُنُجٌ يَسْبِيكَ أو الحَوَرُ
يَمْشِي فَتَلِينُ مَعاطِفُهُ
ولَهُ قَلْبٌ قاسٍ حَجَرُ
نَظَرَتْ عَيناي مَحاسِنَهُ
والحُبُّ يُهَيِّجُهُ النَّظَرُ
فَسَرَتْ للقَلْبِ مَحبَّتُهُ
والقلبُ وَساطَتُهُ البَصَرُ
قَلبِي والطَّرْفُ قد اشتَرَكا
فلِذا فِكَرٌ ولِذا سَهَرُ
أأميرَ الحُسْنِ وهَل أحَدٌ
إلاّ لجمالِكَ يأتَمِرُ

---

(١) بين القصرين : موضع معروف في القاهرة قرب جامع سيدنا الحسين (رضي) .

أَتُرَى تَدرِي أنّي كلِفٌ
مِن حُبِّكَ مالي مُصطبَر
وعن السُّلوانِ سلَوْتُ فهل
ترْثي لِمُحِبِّكَ يا قمرُ

٧٧

وقال أيضا رحمه الله [٥٥]

ما أَحْسَنَ ما يَقْرا حَبيبيَ شِعرِي
فيه غزلاً وسامِعٍ لا يَدْري
يَدْري قَمَري بأنَّ فيه دُرَراً
لاقَى دُرَراً مُستخرجا من بَحْرِ
بَحْرٌ مَدَدٌ له ذكاءٌ خُلِقا
حتى لَحَسِبْتُ فِكْرَهُ من جَمْرِ
جمرٌ متوقِّدٌ سَرَى في حُجُبٍ
للخَدْ فأَخالُ جمرُهُ لا يَسْرِي
يَسْرِي لِشَجٍ فُؤادُهُ في حَرَقٍ
قد ذابَ أسىً من ساكنٍ في القصرِ
قَصْرٌ لِرَشاً كأنّما طلعتُهُ
من شمسِ ضُحىً أو وجْهُهُ من بدْرِ
بدرٌ وعلَتْهُ ظُلَّةٌ من شَعَرٍ
يهتَزُّ نَقاً من تحتِ غُصْنٍ نَضْرِ

نَضْـرٌ وشكا من ردفه من ثِقَلِ
فيـه وكَأَنَّ رِدْفَـهُ من صَخْـرِ
صَخْرٌ كفؤادِ مَنْ هَوِيْنا شَغَفاً
فيه فلقَدْ أَوْدَى بهِ لي صَبْرِي
صَبْرٌ صَبِرٌ متى يُجَرَّع صَبِرٌ
جِسْماً دَنِفاً فَحيَّهلَ للقَبْرِ

٧٨

وقال رحمه الله :

البسيط

أَباحَنَـا وَصْلَـهُ المحبوبُ في دارِهْ
ولاحَ كالشمسِ حسناً وقْتَ إِبْدارِهْ
فقلتُ للنفسِ هـذا وقْتُـهُ دارِهْ
أَورِدْ لهُ عَسْجَداً من قبْلِ إِصْدارِهْ

٧٩

وقال أيضا :

البسيط

أَفدِي برُوحِي ابنَ ابني إِنَّـهُ قَمَـرٌ
لـه من الحُسْنِ تكوينٌ وتصـويرُ

[٥٦]

سَرَى له الحسنُ من شمسٍ له وَلَدَتْ
بدراً لـه في سماءِ المجدِ تَنوِيـرُ

فيه حلاوة أمٍّ واعتزاز أبٍ
فَخَلْقُه فيه تيسيرٌ وتفسيرُ
سَمَّوْهُ باسمِ نبيٍّ لا نظيرَ له
في الأنبياءِ فَمَحمودٌ ومشكورُ

٨٠

وقال رحمه الله :

الخفيف

جَنَّةٌ أُنْشِئَتْ لما تَشْتَهي النَّفْـ
ـسُ وتلتذُّهُ عيونُ البَصيرِ
أَرْضُها مَرْمَرٌ واصدافُ دُرٍّ
جلبُوها من نابياتِ البُحورِ
سَقْفُها أَغْرَقُوهُ بالذَّهَبِ العَيْنِ
وحيطانُها كَسَوا بالحريرِ
ثم أبوابُها مُطعَّمَةٌ بالْـ
ـعاجِ والآبنوسِ والبلَّورِ
بَدَّلَتْ بالمياهِ انهارُ خمرٍ
وبحورِ الاناثِ حورُ الذُّكورِ
من شبابٍ مُعذَّرِينَ ومُرْدٍ
يُحسِنونَ الرُّقادَ فوقَ السريرِ (١)

(١) العذار : جانب اللحية ، أى : الشعر الذي يحاذي الاذن • الامرد : الشاب طرّ شاربه ولم تنبت لحيته •

بمناطيقِ عَسْجَدٍ زيّنوها
بِلآلٍ تَنُوسُ فوقَ الخُصورِ (١)

فيدورُ الفِتيانُ فيها عليهم
بأباريقَ مِنْ عتيقِ الخُمورِ

من بني يافثٍ أبي التركِ نشأً
صُوِّروا في أَحاسِنِ التصويرِ

صورٌ كالشموسِ تلمعُ نُوراً
لَبِسُوا في الوَغَى جلودَ النُمورِ

فَهُمْ في الجِلادِ أشبالُ أُسْدٍ
وهُمُ في المِهادِ أشباهُ حُورِ

[٥٧]

أَعْجميونَ كالوُحوشِ طِباعاً
آنَسَتْهُمْ لطائفُ التدبيرِ

وانتقالٌ من تاجرٍ لرئيسٍ
في نعيمٍ ونَضْرَةٍ وسُرورِ

بِعُيونٍ لُخصٍ سَبَتْ وأنوفٍ
ذُلْفٍ والوجوهُ مثلُ البُدورِ (٢)

---

(١) تنوس : تتحرك وتتذبذب متدلية .
(٢) اللخص : غلظ الاجفان ، ذلف الانف : صغر واستوت ارنبته .

وشُعورٍ اذا هُمُ ضَفَروها
كُنَّ كالأَيْمِ وارِداً للغَديرِ(1)
فاءذا هُمْ حلُّوا الشُّعورَ تغطَّتْ
صَفَحاتُ البُدورِ بالدَّيْجورِ
أيُّ دينٍ يَبْقى لِمَنْ صارَ مُغْرى
بالحُمَيَّا وبالغَزالِ الغَريرِ
واصْطكاكِ الشِّفاه باللَّثْمِ رَشْفاً
واحتكاكِ الصُدورِ فوقَ الصُدورِ
واجتماعٍ بقائمِ النَّهدِ خَوْدٍ
واستماعٍ للعُودِ والطُنْبُورِ
هذه عيشَةُ الملوكِ فَمَنْ يُحْرَ
مُ هذا يعيشُ في تَعْسيرِ

٨١

وقال رحمه الله يرثي ابنته العالمة المعربة نضار :

الرمل

عَزَفَتْ نفسي عن هذا الوَرَى
بعدَما حلَّتْ نُضارٌ في الثَّرَى
فَبِسَمْعِي صَمَمٌ إنْ حدَّثُوا
وبِعينِي نَبْوَةٌ أنْ تَنْظُرا

(1) الايم : الحية ، ذكر الافعى .

كيفَ لِي عَقْـلٌ بأَنْ أصْحبهمْ
لا أَرَى وَجْهَ نُضار النَّيِّـرا
لا ولا أَسْـمَعُ من أَلْفـاظها
كلمـا قَـدْ أَبْرَزَتْهـا دُرَرَا
لـو نُظِمْنَ كُنَّ زُهْرَ أنْجُـمٍ
أو نُثِرْنَ كُنَّ زَهَراً أَنْـوَرا

[٥٨]

إنْ تـكُنْ عنْ مُقْلتَي قدْ حُجِبَتْ
فَبِقَلْبِي شَخْصُها قَـدْ صُوِّرَا
قَدْ لَزِمَتْ تُرْبةً حلَّتْ بِهـا
عَبِقَتْ طِيباً ومِسْكاً أَذْفَـرا
حَلَّ فيها العلمُ والفضلُ الـذي
كانَ عنهـا في الوُجوهِ اشْـتَهَرَا
لم تكُنْ أُنثىً تُوازِي فَضْلَهـا
هـل يوازي الصخرُ يومـاً جَوْهَرا
تلتِ القُـرآنَ غَضّـا مُعْرَبـا
ليس تَصْحيفٌ ولا لَحنٌ عَـرا
ووَشَتْ بالحِبْـر في مُهرقِهـا
وَشْيَ خَطٍّ قد تَجلَّى أَسْـطُرا
بحَـديثِ المُصْطَفَى والفقـهِ والنْـ
نَحْـوِ والشِّعرِ الذي قَـدْ حُبِّرا

٨٢

وقال رحمه الله : ومما نظمته سنة حجت نضار وأمها واخوها وابنها صالح وبعلها وكانت حاملا بأحمد الثاني ، وحجت معهم فضة والحاجة فاطمة بنت ابن الاديب :

الخفيف

إنَّ ذا العيدَ فيه غابَتْ نُضارُ
وأخوها فما لِقَلبي قرارُ

أدمُعي ترتمي على الخدِّ سَكباً
وفؤادي مضطَرِمٌ فيه نارُ

صَحِبا من ودادها وَسْطَ قلبي
كُلَّ وقتٍ له اليها إدِّكارُ

وأخاً خيِّراً عَفيفاً حَيِيّاً
قد زَكا فَرْعُهُ وطابَ النِّجارُ

أوْحَشَتْ منْهُمُ الديارُ وسارُوا
بِهِمِ تأنَسُ الرُّبا والقِفارُ

[٥٩]

حمِلَتْ منهمُ الجمالُ جمالاً
ساطِعاً منه للوَرَى أنوارُ

أشرقَتْ بالنَّهارِ مِنْهُمْ شموسٌ
وتجلَّت في ليلِهم أقمارُ

عَبِقَتْ من شَذاهُمُ الارضُ لمّا
وَطِئُوها فتُرْبُها مِعْطارُ
قاصِدِينَ الحجاز للحَجِّ راحُوا
لَهُمُ الذِّكْرُ والقُرآنُ شِعارُ
بَلَغُوا كعبةَ الإلهِ وحَجُّوا
فبِها حُطَّت عنهُمُ الأَوزارُ
ثم زارُوا للمُصطَفَى خيرَ قَبْرٍ
فيه خيرُ الخلائِقِ المُختارُ
حَنَّ قلبي لصالحٍ ولِعَمْرِي
إنَّ ترحالَهُ لَفِيهِ اعتبارُ
حَجَّ طِفْلاً مَعْ أُمِّهِ وأَبِيهْ
نالَ ما لم تَنَلْهُ قَطُّ الصغارُ
هم أُناسٌ حَجُّوا وزارُوا وفازُوا
ساعدَتْهُمْ في ذلكَ الأقدارُ
وأنا الشيخ أخَّرتني ذُنوبي
فعَسى أن يُسامِحَ الغَفَّارُ
خَلَّفوني وَحدي غريبا فريداً
كُلَّ حينٍ يَشُوقُني التذكارُ
أتُراني أُحيا أُشاهدُ حيّاً
وتَبدُو لِناظِرَيَّ نُضارُ

زَهْرَتا مُهْجَتِي ونُوراً فُؤادي
وأَنيساي إِنْ عَراني اِفْتِكارُ
فارَقاني شَهْراً وشَهْراً وشَهْراً
ما لِقَلْبِي على الفِراقِ اِصْطِبارُ
يا نَسيمَ الصَّبا ألا احْمِلْ سَلامي
للأَحِبّاءِ حيثُ شَطَّ المزارُ

[٦٠]

قلْتُ للنفسِ وهْيَ ذاتُ اضطِرابٍ
استكِنّي فقد تَقَضّى السِّفارُ
قد أَتانا مُبَشِّر بالتداني
وغَداً تجمعُ الحبيبَ الديارُ

٨٣

وقال رحمه الله :

الطويل

غَدَتْ أَعيُنٌ للناسِ رُمْداً مُصابَةً
بعينيكَ إِنَّ السِّحرَ مِنها يُؤثِّرُ
وكَمْ أَثَّرَتْ عيناكَ في أعيُنِ الوَرَى
الى أنْ غدَتْ في نَفْسِها تتأثَّرُ
كذا الصارِمُ الصَّمصامُ إِن دامَ قاطعاً
يَصِرْ فيهِ منهُ عندَ ذاكَ تأثُّرُ

وقال ـ رحمه الله كان الصاحب تاج الدين محمد بن محمد بن سليم(١) قد اشترى فرسا من العرب فاقامت عنده زمانا ثم عبر على بيوتهم فجفلت ، فنظم :

الطويل

نَسيتِ بُيوتَ الشَّعْرِ يا فَرَسي وَقَدْ
رَبَيْتِ بها والحُرُّ للعَهْدِ ذاكِرُ
ولكِنْ رأَيْتِها بنَجْدٍ وأهلها
على صِفَةٍ أُخرَى فعُذْرُكِ ظاهِرُ

قال : فنظمت أنا في هذا المعنى · وهما بيتان تقدمَ ذكرهما في قافية البا(٢) :

٨٤

وقال رحمه الله :

الطويل

أرَى كُلَّ عُضْوٍ في الفَتَى نافِعاً لَهُ
سِوَى واحد فيه جلوب له الضرا
فأقْبِحْ به عُضْواً يولِّدُ أفْرُخاً
ويُكسِبُهُ ذُلاً ويُعقِبُهُ فَقْرا

[٦١]

ولو انه يُكفاهُ عاشَ مُمَتَّعاً
بدُنياهُ مرجُوّاً له الفوزُ في الأُخرى

(١) مرت ترجمته ·
(٢) هما المذكوران في رقم (١٢) من الديوان ·

٨٥

وقال رحمه الله تعالى :

كان قاضي القضاة جلال الدين قد اشتريت له نسخة مغربية من قلائد العقيان ، وكنت أنا قد سمتها في السوق فكتبت اليه :

الخفيف

قل لقاضي القضـاةِ شيـخِ البرايـا
يـا إمامـا حوى الفـرائدَ طُـرّا[1]
كُنْتُ قد سُمْتُ في القلائد بيعا
فأتـى الهيثمـي لـذلك نُكْـرا
إنَّ بيني وبينَهـا نسـبة العر
بِ لذاكَ اهتززْتُ للعُربِ ذِكْـرا
انْ تكُن نُسخةٌ سواها لديكم
فلتَجُـدْ واغتَنِمْ ثنـاءً وشُكْرا
كم مديـحٍ في جدِّكم لعَلِـيٍّ
وحبيبٍ قـد طبَّقَ الأرض نشْـرا
من يك القاسـمُ الهُمام أبـاهُ
طابَ بين الانـامِ فرْعاً ونَجْرا

فبعث اليّ بالنسخة واصحبها ثوبَ صوفٍ

---

(١) هو الخطيب القزويني صاحب التلخيص والايضاح ·

قافية الزاي

٨٦

قال(١) رضي الله عنه :

الطويل

أسحرٌ لتلكَ العينِ في القلبِ أم وَخْزُ
ولينٌ لذاكَ الجسمِ في اللّمْسِ أَمْ خزُّ

وأملود ذاكَ القدِّ أم أسمَرٌ غدا
لـه أبداً في قلبِ عاشقِهِ وَهْزُ(٢)

فتاة كساها الحسنُ أفخرَ ملبسٍ
فصار عليه من محاسنِها طرزُ

[٦٢]

وأهدى اليها الغصنُ لينَ قوامِه
فماسَ كأنَّ الغصنَ خامرَهُ العِزُّ

يضوعُ أديمُ الأرضِ من نَشْرِ طيبِها
ويخضَرُّ في آثارِها تربُهُ الجرزُ(٣)

وتختالُ في بُرْدِ الشبابِ إذا مشت
فيُنْهِضُها قَدٌّ ويُقعِدُها عَجْزُ(٤)

---

(١) ذكر الابيات السبعة الاولى الصفدي في الوافي بالوفيات واعيان العصر ج٧ ، وقال : « وأنشدني لنفسه ومن خطه نقلت » . وذكرها المقري في نفح الطيب ج٣ ص٣٠٩ .

(٢) الوهز : الدفع والضرب والدق .

(٣) ضاع المسك : تحرك فانتشرت رائحته .
الجرز : أرض جرز : لا نبات بها .

(٤) كذا في الاصل ، أما في المصادر الاخرى : اذا مضت .

أصابَتْ فؤادَ الصبِّ منها بنظرةٍ
فلا رُقيةٌ تجدي المصابَ ولا حِرْزُ[1]
أقامَ زماناً وهو أخرسُ باهتٌ
فإنْ رامَ تكليماً يكونُ له رَمْزُ
ولو أنها تسْخو بأدنى وصالِها
لأقنعَهُ المسكينُ من لحظها غَمْزُ

٨٧

وقال رحمه الله :

الوافر

أهزُّكَ والكريمُ له اهتزازُ
ومثلُك من يُجيزُ ولا يُجازُ
أعزَّ الدينِ لا تُهْمِلْ مُحِبّاً
له بِكُمُ اعتلاءٌ واعتزازُ
وأصْلُكَ في المكارمِ أيُّ أصلٍ
جميعُ المكْرُماتِ له تُجازُ
وإنَّكَ فرْعُهُ الزاكي أُصولاً
إذا أصْلٌ ذكا كرُمَ النِجازُ[2]
كسوتَ المتَّقينَ ثيابَ عِزٍّ
لها من رقْمِ جُودِكُمُ طِرازُ

---

(١) الرقية : ما يرقى به الانسان ، والجمع : رقى . الحرز : الموضع الحصين ويسمى التعويذ حرزا .

(٢) النحاز : الاصل .

وأثَرتَ الأثيرَ بكُلِّ خيرٍ
فصارَ له لعَلياكَ إنحياز

حديثُ الجودِ عن جدواكَ تروى
حقيقتُهُ وغيرُكُم مَجاز

فما مِنْ رايةٍ للمجدِ إلاّ
لها بفَناءِ مَنْزِلكَ ارتكاز

[٦٣]

وما من فُرصَةٍ في الخيرِ إلا
لها من جودِ جُودِكُمُ انتهاز

فأبْقاه الإلهُ قريرَ عينٍ
عليكَ له احتراسٌ واحترازُ

قافية السين

٨٨

قال(١) رحمه الله :

الطويل

أهاجكَ ربعٌ حائلُ الرسمِ دارسُهْ
كوحيِ كتابٍ أضعفَ الخطَّ دارِسُهْ

غدا موحِشاً بعدَ الأنيس ولم يكُنْ
ليوحش الا وهو قد بانَ آنسُهْ

تبدّل من لَمياءَ ريماً وقلّما
يُجانِسُها ظبيُ الفَلا أو تجانِسُهْ

وهَبْ أنّهُ يُحكَى بجيدٍ ومُقلةٍ
فاينَ له لَدْنُ الأراكِ ومايِسُهْ

غَنينا زماناً آمنينَ بغِبطَةٍ
ففرّقَنَا صَرْفٌ من الدهرِ بائِسُهْ

---

(١) ذكر البيت الاول الصفدي في الوافي بالوفيات وقال « وهي قصيدة مليحة تلعب فيها بفنون الكلام تقارب المائة » . وذكره في أعيان العصر وقال : « وأنشدني لنفسه ـ رحمه الله تعالى ـ قصيدته السينية التي أولها : أهاجك ... » . وذكره المقري في نفح الطيب ج٣ ص٣١٤ .

زمان يُلَبّي القلبُ داعيَ صبوةٍ
ويَسْبِي حِجاهُ ناغشُ الطَّرْفِ ناعِسُهْ (١)

من الترك لم يُربَعْ بنجدٍ وانما
رَبا في عرينِ الليثِ والليثُ حارِسُهْ

فلا وَصْلَ إلا من تَلفُّتِ نظرةٍ
تجاهِرُهُ حيناً وحيناً تُخالِسُهْ

غَرستُ بلحظي الورْدَ في وَجَناتِهِ
ولكنَّهُ لا يجتني منه غارِسُهْ

جميلٌ كأنَّ الحسنَ خُيِّرَ فاغتدى
خَصيصاً بهِ إذْ لا نظيرَ يُنافِسُهْ

فللشَّمسِ ما تُبديهِ غُرَّةُ وجههِ
وللكُثْبِ ما تُخفيهِ منه ملابِسُهْ

جرَى فَجرى الضرغامُ في أَجَماتِهِ
غدا وهوَ جهمُ الوجهِ أربدُ عابِسُهْ

[٦٤]

بَراهُ الطَّوَى حتى كأنَّ زئيرَهُ
بُغامٌ وشَبْحاً منه واراهُ رامِسُهْ (٢)

---

(١) نغش : تحرك ، اضطرب ، مال اليه .
(٢) البغام : صوت الظبية . رمسه : غطاه ودفنه .

فَمَرَّ بِهِ خيطٌ من الوحشِ آنَسَتْ
سنا مُقلةٍ تدنُو وصَوْتاً يُهامِسُهْ

ففرَّتْ هواديها وافردَ قَرْهَبٌ
مذلَّق مدرًى مُهلِكٌ مَنْ يُراعِسُهْ[1]

أقاما زمانا وهو قد ضَبَئَتْ به
براثنُ فيه فهو لاشكَّ فارِسُهْ[2]

بأفتكَ منهُ حينَ يرنُوْ بمقلةٍ
تُريكَ الرّضى والموتُ فيه ملابِسُهْ

ودَويَّةٍ تيهاءَ غفْلٍ سلَكْتُها
وجنحُ ظلامِ الليلِ تسطو حنادِسُهْ[3]

قَصيِّةُ أرجاءٍ قريبَةُ متلَف
يظَلُّ بها الخرِّيْتُ يَحْتارُ هاجِسُهْ[4]

وقد سلكت فيها السّعالى مُلاوةً
فخافَت بها اذ لم تَجِدْ من تلابِسُهْ[5]

---

(١) القرهب : الثور المسن أو الكبير الضخم ، ومن المعز ذوات الاشعار ٠ ذلق السكين : حدده ٠ المدرى : القرن ٠ رعس : انتفض ٠
(٢) ضبأ : لصق ٠
(٣) الدويّة : الفلاة ٠ أرض تيهاء : تضل الناس كثيرا ٠
(٤) الخريت : الدليل الحاذق ٠
(٥) ملاوة من الدهر وملوة : برهة منه ٠

إِذا عزَفتْ ليلاً أجاب لها الصَّدَى
يَطِنُّ به طامٍ من القُفِّ طامِسُهْ (١)

ومنهلِ قَلْتٍ وَسطَ قُنَّةِ شامخٍ
تُلَطِّفُهُ في كلِّ حين رَوامِسُهْ (٢)

وتُنْقِصُه يُوحُ بِحَرٍّ سُمُومِها
فيُربيه مُنْهَلُّ الغَمامِ وباجِسُهْ (٣)

تَظَلُّ سِراعُ الفَتْخِ يسقطْنَ دونه
فليس لها وِردٌ وقد عَزَّ لامِسُهْ

ورَدْتَ وقد مجَّتْ ذُكاءُ لُعابَها
بنحرِ فتىً حرُّ الهجيرِ يُوانِسُهْ

بقلبٍ تكادُ النارُ من نَفَيانِه
تُشَبُّ ويُورِي شُعْلَةً منه قابِسُهْ

وبحْرٍ كثيفِ الجانبين عَرَمْرَمٍ
تضيءُ لنا مثلُ الشموسِ فوانِسُهْ

[٦٥]

وقد ملأَ الارضَ الفضاءَ كأنَّما
تُمَدُّ بأملاكِ السماءِ فوارِسُهْ

---

(١) القفة : رعدة تأخذ من الحمى وقشعريرة .
(٢) القلت : النقرة في الجبل .
(٣) يوح : من اسماء الشمس . بجس الماء : فجره .

إذا ماجَ بالارضِ ابذَعَرَتْ وحوشُهُ
وضاقتْ بهِ أنجادُهُ وأواعِسُهُ (١)

مَطوتُ به في السَّيرِ في طَلَبِ العِدا
عِدا الدينِ حتى عادَ للدينِ شامِسُهُ

على رَبَذٍ سامي التَّليلِ كأنَّهُ
يعارضُهُ من أشْهبِ البرقِ ناخِسُهُ (٢)

عَبوثٍ بأشلاءِ اللجامِ كأنما
بهِ أولَقٌ حتى لَقَدْ ضَجَّ سايِسُهُ (٣)

وغيث وليٍّ في قرارةِ وهدةٍ
أقامَ بهِ رَطبُ النباتِ ويابِسُهُ

بعيدٌ عن الروّادِ ليسَ بمَعْلَمٍ
مَخُوفٍ بهِ الآسادُ تسطو عنابِسُهُ (٤)

مَلاعبُ ضِرغامٍ مَزاحفُ ضَرْزَمٍ
قتولٌ بنفثِ السُّمِّ من هُوَ دايِسُهُ (٥)

إذا انسابَ في يَبسٍ يَمُرُّ كأنَّهُ
حريقٌ تلظّى أو خَريقٌ نُلامِسُهُ (٦)

---

(١) ابذعروا : تفرقوا وفروا وركضوا . الوعس : الرمل السهل يصعب فيه المشي .
(٢) ربذ : خف . والربذ : السريع وهو هنا الجمل . التليل : العنق .
(٣) ولق في السير : أسرع ، وأولق ايلاقا : أصابه الجنون .
(٤) العنبس : الاسد .
(٥) أفعى ضرزم : شديدة العض .
(٦) الخريق : الريح الباردة الشديدة .

فما يأتِ من وحشٍ لوردٍ فانه
يُناهشُه هذا وذاكَ يناهِسُه (١)
فكائنْ به من آهبٍ قد تمزَّقتْ
وشِلوٍ لجام ماتَ من هُوَ ناهِسُه
هَبَطْتُ وفي كفّيَّ رسُوبٌ كأنّه
سنا البرقِ وَهْناً لاحَ والليلُ دامِسُه (٢)
وراحَ أبُوها ابنُ الغَمامِ وأمُّها
ابنةُ الكَرْمِ عَرْشاً طابَ منهُ مَغارِسُه
صَفَتْ فأرَتْنا ذاتَها مِنْ إنائها
ولاحَتْ لنا لونَينِ قانٍ ووارِسُه (٣)
جَلوبٌ لأنواعِ السرورِ تهونُ في
صيانتِها نفسُ الفَتَى ونَفائِسُه
[٦٦]
وتُكسِبُ عقلَ المرءِ بأْساً ونائلاً
فتخشَى عواليهِ وتُغْشَى مَجالِسُه
تَمَزَّزْتُها صِرفاً فعاثَتْ بنُهيتي
تُريني مُلْيكاً كِسْرَوِيّاً أفاعِسُه (٤)

---

(١) نهس اللحم : أخذه بمقدم أسنانه ونتفه ·
(٢) الرسوب : السيف يغيب في الضريبة ·
(٣) الوارس : الشديد الصفرة ·
(٤) تمزز : تمصص الشراب ·

وروض يفـــاع نادَمتُهُ لطـــائفٌ
من الْمُزنِ تَنْدى وهو وَطْفٌ نَواعِسُهْ (١)

فتشـرقُ فيه الشمسُ تُلْقي شعُاعَها
عليه فيبدو وهـــو تُجلى عَرائِسُهْ

أقَمْتُ بــه يـوماً أُغازِلُ جؤْذَراً
من التُرْكِ أخطا من بشمسٍ يُقايسُــه

ويــوماً أُعاطِي قَهــوةً ذهبيــةً
أخائقةٍ خِــلاً قَلِيلاً وَساوِسُه (٢)

ويَومـا أُغادِي للســماعِ لِغـادَةٍ
لطيفةِ جسٍّ العودِ يُطْرِبُ نامِسُــه (٣)

ويوما أجيلُ العـينَ في زَهَراتــه
أُشاهِدُ مخلوقاً غريبــاً مَقايِسُــه

فمن أحْمرٍ في أخْضــرٍ مَعَ أصفرٍ
وأبيضَ مَعْ مسودٍّ لـونٍ يُجانِسُهْ

ويــوماً لهوْناهُ بغَرْثانَ أدْرَعٍ
لـه أنيبٌ عُصــلٌ ولَحظٌ يُشاوِسُهْ (٤)

---

(١) الوطف ــ محركة ــ : كثرة شعر الحاجبين والعينين وانهمار المطر ·
(٢) القهوة : الخمر ·
(٣) نامسه : سارّه ·
(٣) الغرثان : الجائع · العصل : العوج الصلبة · شاس : نظر بمؤخر عينه تكبرا أو تغيظا ·

يسوف تراب الوحش أين مقرّه

فيغنيه عن لمح العيون معاطسه

فكم إجّلٍ أردى وكم قرهبٍ فرى

فلا خززٌ ناجٍ ولا هقل يائسه (١)

إذا نحن أشليناه أطلقت تابعاً

له أسفع الخدين ذلقاً نواهسه (٢)

فحلّق صعداً ثم أبصر بالصوى

ثعالة يردى وهو بهرٌ منافسه

فسامته وانقض يلطم وجهه

جناحاه والغرثان وافى يمارسه

[٦٧]

ولم يبرحا حتى أفاتاه نفسه

فمن دمه يروى لغوبٌ ولاحسه

---

(١) الاجّل : لغة في الايل ، وهو الذكر من الاوعال ، والجيم بدل من الياء • (اللسان) • القرهب : الثور المسن او الكبير الضخم ، ومن المعز ذوات الاشعار • الخزز : ولد الارنب ، وقيل : الذكر من الارنب • الهقل : الفتي من النعام •

(٢) السفعة : سواد في الخدين • الذلق : الحادة • النواهس : الانياب •

فيا حَبَّذا يومٌ وثانٍ وثالثٌ

وَرابعُ يومٍ طابَ واليوم خامِسُه

لَقَضَيْتُ أيّامي بأُنْسٍ ولَذَّةٍ

فخامِسُها يَتلوهُ في الأُنْسِ سادِسُه

ودَيرٍ بِمَوْماةٍ قَصِيٍّ عن الوَرَى

يَدُلُّ عليه التائهينَ نواقِسُه

حَوى من بناتِ الرومِ أَقمارَ غزلةٍ

وولدانَهم حتى لغَصَّت كنائِسُه

تناظَرَ فيه الحُسْنُ أينَ مقرُّهُ

اداماتُهُ يختارُها أم شمامِسُه [1]

طرقتُ وسيدُ الخرقِ يغسِلُ ساغباً

وقد راءَ قِرنا لا ترامُ مخالِسُه [2]

فأقعَى قليلاً ثم يطفِرُ طامِعاً

فأعجَلَه سهمٌ عن القَصدِ حابِسُه [3]

---

(١) الشماس : رجل دين دون الكاهن .
(٢) السيد : الذئب ، الاسد . الخرقاء : الارض الواسعة التي يشتد فيها هبوب الريح . راء : رأى .
(٣) أقعى : جلس على استه .

وأوجرْتُهُ خَطيَّةً ثم مَخذماً
فقد قُطِعَت أوصالُهُ وكرادِسُهْ(١)

وكنت بمرأى من ذوي الدَّيْرِ فاغتدى
على راحتي مَسحاً ولثماً قَساوِسُهْ

أرحتُهُمُ من غاشِمٍ كان دأبُهُ
إذايَتَهُمْ والظُّلْمُ يَردى مُلابِسُهْ

وأشمط بَهّاتٍ غريبٍ مُمَزَّقٍ
رميةِ أفّاقٍ كثير دَهارِسُهْ(٢)

ففي السِّيميا والكيميا مع طلاسِمٍ
وزَرقٍ وأوفاقٍ ورَملٍ خلابِسُهْ(٣)

ورميٍ وتنجيمٍ وضَربٍ لِمَنْدَلٍ
وإحضارِ عفريت وجِنٍّ يُهامِسُهْ(٤)

---

(١) أوجر : طعن . الكردوس : الفقرة من فقر الكاهل .

(٢) الدهاريس : الدواهي ، واحدها : دهرس . قال ابن سيده : فلا أدري لم ثبتت الياء في الدهاريس . (اللسان) .

(٣) خلبسه : فتنه وذهب به ، كما يقال : خلبه . والخلابس : الحديث الرقيق . (اللسان) .

(٤) المندل : عود الطيب الذي يتبخر به ، نسبة الى مندل بلد بالهند ، أو غيره . (اللسان) .

وتغويرِ ماءٍ واحتفارِ مَطالبٍ
وضربِ حَصىً والسمُّ جُدِّعَ عاطِسُهْ

[٦٨]

ورُؤيا مناماتٍ وسَمعٍ لهاتفٍ
ودعوى كراماتٍ وخُضْرٍ بواجِسُهْ

يداهي عقولَ الناسِ اذ دَسَّ نحوَها
مُحالاتِه والشيخُ جَمٌّ دَسائِسُهْ

رآني أخا صَمْتٍ وسَمْتٍ فظنني
تؤثّر فيَّ المُوهِماتُ هَواجِسُهْ

ولم يعرفْ المسكينُ أنّي أنا الذي
قرأتُ حُروفا لم تُجزِ ْها قَراطِسُهْ

ودَرَسْتُ فَنَّ العِلمِ حتى لقد غدَتْ
مَحافِلُهُ بي تَزْدَهي ومَدارِسُهْ

وصَنَّفْتُ فيهِ عِدَّةً من صحائفٍ
تَضيقُ عنها اذ تُعَدُّ فَهارِسُهْ

وكم بيتِ شعرٍ قد وضعتُ عِمادَهُ
على بحرِ علمٍ فيه بَحْريَ دايسُهْ

ومن فقرٍ قد غُصتُ في البحر مخرجاً
لآلئها ذهني لها هو غاطِسُهْ

إذا قرعت سمع الحسود فإنه
يُرى وهو غيظا باهت الطرف ناكِسُهْ

وميدانِ علمٍ قد حضرتُ ولم يكن
لغيري احضارٌ به أنا فارِسُهْ

اذا قلتُ أصغى اهلُهُ وتفهموا
غوامض قد أعيت على من يجالِسُهْ

لنوّه بي علمي وزدتُ جلالةً
وغيري فيه خامل الذكرِ باخِسُهْ

وطبّق ذكري الارض حتى كأنما
أنا مثلٌ سارٍ تخبُّ عرامِسُهْ(١)

كأنّي شمسٌ قد أضاء بنورها
جميعُ الدُنى معمورُهُ ودوارِسُهْ

ليَشْنا حياتي مَنْ أراد فإنني
شجاحلقهِ حتّى يُوارِيْهِ رامِسُهْ

[٦٩]

---

(١) العرمس : الناقة الصلبة الشديدة .

٨٩

وقال رحمه الله :

الطويل

ضَنيتَ فلما جاءني مَنْ أُحِبُّهُ
أزالَ الضَّنَى عَنِي وسُرَّتْ به النَّفْسُ

فنادَمَت منه البدرَ يَبْهَرُ نورُهُ
فيا مَنْ رأى بَدْراً يُنادِمُهُ الأُنْسُ

تَمَتَّعْتُ من أُنْسٍ به اثنينِ لَمْ نُرَعْ
فلما أتانا ثالثٌ ذهبَ الأُنسُ

أشيرُ له باللثْمِ إن كان غافلاً
ويأنفُ صَوْناً أن يَرَى بيننا لَمْسُ

أدارَ عليَّ الكأسَ مَلأى صبابةً
فها أنا نَشْوانٌ ولم تفرغ الكأسُ

أبا النصرِ لا يَنْفَكُّ حبُّكَ ساكناً
صميمَ فؤادي أو يضمنِيَ الرَّمْسُ

ألا علِّلَنْ قَلباً بأيْسَرِ كِلْمَةٍ
فقد شفَّها وجدٌ وقد غالَها اليأْسُ

٩٠

وقال أيضا :

مجزوء الرمل

يومنا يُشبِهُ أمسِ   مثلما نُصبِحُ نمسي(١)
إنَّ هذي لحياةٌ   ما تساوي عشْرَ فلسِ

(١) سيأتي ذكرها في رقم ٩٥ .

وقال أكرمه الله يذكر أبا القاسم بن سهل رحمه الله :

البسيط

يؤَمِّلُ المرءُ آمالاً ويقطعُها
أمرٌ يفرّق بين النَّفْسِ والنفسِ
فكُنْ مع القَدَرِ المحتوم وارْضَ به
تريح نفسَكَ من فكرٍ ومن هوَسِ
وفي ابن سهلٍ وامثالٍ له عِبَرٌ
يَغنى بها العَقْلُ عن حِرصٍ وعن حَرَسِ

[٧٠]

كان اقتنَى كتباً في العلمِ نادرةً
كيما يَخُصَّ بها ناساً بأندَلُسِ
فعاقَهُ قدرٌ عما يؤمّلُهُ
وحَلَّ رَمْساً بعيدَ الأهلِ والأُنَسِ
أنيسُهُ فيه قرآنٌ يردّدُه
وحجةٌ واعتمارٌ منه في الخَلَسِ
وما رأَيْنا له في الناسِ مُشبهَهُ
أتقى وأبعد من ذامٍ ومن دَنَسِ
وكم له صدقاتٍ بالحجاز وفي
مِصْرٍ وفي الشامِ تُسْدِيها لملتمسِ
سَرَى وفي طيبة إذ اهلُها غرقوا
أعطى واجزلَ في النعمى لمبتئِسِ

صوّامُ هاجرةٍ قوّامُ داجيةٍ
تلاّءُ آيٍ من القُرآنِ في الغلسِ
يا روضةً لابنِ سهلٍ حلّها رجل
ما أنْ رأيْنا له شِبْهاً من الأنسِ

٩٢

وقال رحمه الله تعالى : الطويل

ويُزهى الفتى بالمال والجاهِ في الدُنى
ولذةِ مطعومٍ وناعمِ ملبوسِ
وغايتُه ضعْفٌ وشَيْبٌ وميتةٌ
وقبرٌ وبعْثٌ للنعيمِ أو البُوسِ

٩٣

وقال ايضا رحمه الله : البسيط

يا فرقة أبدلتني بالسرور أسى
وأسْهرت ناظراً قد طالما نعَسا
أنّى يكونُ اجتماعٌ بينَ مُفترقٍ
جسمٌ بمِصْرٍ وروحٌ حلَّ أندلسا

٩٤

وقال رحمه الله ، وكتب بها الى الرئيس قطبالدين [٧١] بن شيخ السلامة ناظر الجيوش بدمشق رحمه الله تعالى :

الطويل

تذكَرْتُ تقبيلاً لأنمُلِ راحةٍ
براحتِها جُرْحُ النوائبِ قد يُوسى

فأرْسَلْتُ طُرسِي نائباً عن فمي لَها
فيا حُسْنَهُ طُرساً بهـا صـار ملموسَا

أنـامـلُ لم تُخلَـق لغيرِ مـكارمٍ
فكم جلبَتْ نعْمى وكَم أذهبتْ بُوسَـا

متى تسـمحُ الأيـامُ بالرّحلة التي
تُريني رَبْعَاً بالمـكارمِ مأنُوسَـا

وتَشـهدُ قطبـاً للسـيادةِ دائـراً
به فلكُ العلياء بالسَّعدِ محروسَـا

كريمٌ إذا مـا طوّحتْ غربـةُ النَّوى
اليه بعافٍ صار في الجودِ مغموسَـا

إذا اسودَّت الأيْدي لبُخلٍ يُشينُها
فكم من يدٍ بيضاءَ جادَ بها موسى

٩٥

وقال(١) رحمه الله :

مجزوء الرمل

يومُنـا يُشْـبِهُ أمسِ مثلمـا نُصْبِحُ نمسي
إنَّ هـذي لحيـاةٌ ما تساوي عُشْـرَ فَلْسِ
فَمتى يُنقَـلُ شخصٌ آمنـاً لـدار قُدْسِ
لجِنـانٍ غاليـاتٍ عَريتْ من كُـلِّ بُؤسِ

---

(١) مر بيتان منها في رقم ٩٠ .

ما تَلَذُّ العينُ فيها واشتهته كُلُّ نفسٍ
مَعَ وِلدانٍ وحورٍ قاصراتِ الطرفِ نُفّسٍ

[٧٢]

لم يكنْ لَهُنَّ طَمْثٌ لا بجِنٍّ لا وإنسٍ
عُرُبٌ أبكارُ حسنٍ أُنسٌ ليست بشمسٍ
نورُهنَّ الدهرَ باقٍ لا كبدرٍ لا وشمسٍ
هنَّ من ايجادِ ربّي انْشِئتْ من غير جِنّسٍ

٩٦

وقال ايضا رحمه الله : المجتث

هُنَّ الظِّباءُ الكَوانسْ
أَثَرنَ في القلبِ هاجِسْ
قد أضرمَتْ في حَشَاهُ
ناراً حكَتْ نارَ فارسْ
وجَرَّدتْ من جفونٍ
سيفاً يَقُدُّ القَوانِسْ(١)
وطاعَنَتْ برماحٍ
مثلِ الغصونِ الموائِس
وناضَلَتْ بسهامٍ
من العيونِ النَّواعِس

(١) قونس الفرس : ما بين أذنيه ، مقدم رأسه ، وقونس البيضة من السلاح : مقدمها ، وقيل : أعلاها .

قامَتْ على السـاقِ حَرْبٌ
كأنهـا حـرب داحِس
لـكنّ فيهـا سـلاحاً
تخـافُ منهـا الفـوارِس
سَـيْفٌ ورمحٌ وسَـهْمٌ
من ذا لهُـنّ يُمـارِس
بينـا أنـا ذو إحتـرازٍ
من عَضّـةِ الحربِ حارِس
إذا فـؤادي صـريعٌ
مـا بـين ميْتٍ وهامِس

[٧٣]

رُمِـي بسـهمٍ مُصـيبٍ
من ناغشِ الطـرفِ ناعِس(١)
مُكمَّـلِ الخَـلْقِ حُسْـناً
فكـلُّ عضْـوٍ مُجـانِس
إذا تبـدّى فبَـدرٌ
يجلـو سَـناهُ الحنـادِس
وإنْ تثَنّـى فغُصْـنٌ
من ناعمِ البـانِ مائِس

(١) نغش : تحرك ، اضطرب ، مال اليه .

كأنّمـــــا وجنتـــــاه

الـــوردُ من غيرِ غارِسِ

يَحميـه صِـلٌ عِـــذارٍ

من رائـد القَطْفِ لامِسِ

كأنّمـا الثّغـرُ منْـه

الـدرُّ مَن غَيرِ غاطِسِ

يجري بـه ريـقُ شَهْدٍ

من غير نحلٍ يُلامِسِ

كـأنّ ريّـاهُ مِسْـكٌ

يفعَمُ أنفَ المُجالِسِ[1]

منعّـمٌ ذو رقيبٍ

صعبُ المَقادةِ عابِسِ

محجّبٌ ليس يبـدو

من وَصْلِهِ الصّبُّ آيِسِ

٩٧

وقال رحمه الله يرثي ابنته العالمة المعربة نضار :

الطويل

أَمِنْ بَعدِ أَنْ حلّت نُضَيرة في الرَّمْسِ

تطيبُ حياتي أو تلذُّ بها نفسي

---

(١) أفعم البيت برائحة العود : ملأه بريحه .

فتاةٌ عراها نحو ستةِ أشهرٍ
سُقامٌ غريبٌ جاءَ مُختلفَ الجِنْسِ

[٧٤]

فجبْنٌ وحُمّى ثم سُلٌّ وسَعْلَةٌ
وسكْبٌ فمن يقوى على عِلَلٍ خمْسِ(١)
وكانتْ رأتْ رُؤيا مِراراً وأنها
تروح من الدنيا الى حَضرةِ القُدْسِ
فقرَّ حَشاها واطمأنَّتْ لِما رأتْ
جِناناً وكانت من حياةٍ على يأسِ
فما ضجِرتْ يوما ولا اشتكتِ الضَّنَى
ولا ذكرَتْ ماذا تقاسِي من اليأسِ
قضَتْ نحْبها في يوم الاثنينِ بَعْدَما
تبدَّى لنا قرْنُ الغزالةِ كالورسِ
فصلَّى عليها الناسُ يثنونَ واثنَوا
بها لضريحٍ مظلمٍ موحشٍ الطَّمْسِ
يونِّسها في رَمْسِها العملُ الذي
تقدَّمها أعظِمْ بهِ ثَمَّ من أنْسِ
وراحت الى رَبٍّ كريمٍ نظيفةً
مبرأةً من كُلِّ ذام ومن رِجسِ

(١) الجبن ــ محركة ــ داء في البطن يعظم منه ويرم . وجبن ــ بالكسر ــ خراج كالدمل وما يعتري في الجسد ويرم . (القاموس المحيط) .

وما ولَد النسْوانُ أُنثى شبيهَها
وأنَّى يُقاسُ الانجمُ الزهرُ بالشمسِ
وكانَتْ نضارُ نعِمَتَ الخَوْدُ لم تزَلْ
على طاعةِ الرحمنِ تُضحي كما تمسي
نجيةُ قرآن تُردِّدُ آيَهُ
مُقسمةً بين التدبُّرِ والدَّرْسِ
وحاملةُ الآثارِ عن سيِّدِ الورَى
محمدٍ المَبعوثِ للجنِّ والانْسِ
روتْها بمصر والحجاز وجاوَرَتْ
بمكةَ تَسخو بالدَّنانيرِ لا الفَلْسِ
وزارت رسولَ اللهِ أفضلَ من مَشَى
بطيبةَ واحتلَّتْ بأربُعِها الدَّرْسِ
مصلِّيَة [حيناً] عليه وتارة
مسلمةً في الجهْرِ منها وفي الهمسِ
[٧٥]
وحازت جمالاً بارعاً وفصاحة
فاوضح من شمس وأفصحَ من قسٍّ
وقد عنيت بالنحو عظْمَ زمانِها
... ...(١)

(١) في الاصل بياض ٠

وتكتب خطاً نادراً ذا براعةٍ
يُريك ازدهاءَ الروضِ في أبهجِ اللُبسِ
فما الرَّوْضُ مطلولاً تفتّحَ زهرُهُ
فراقَ لذي عينٍ وشاقَ لذي حِسٍّ
بأَبْهجَ مما قد وَشَتْهُ أناملٌ
لها بسوادِ النفس في أبيضِ الطِّرسِ
فلو أبْصرتْهُ لابنِ مُقْلَةَ مقْلَةٌ
لأغْضَتْ حياءً وهو قد عَضَّ في الخَمْسِ (١)
ونَجْلُ هلالٍ لا يساوي قُلامَةً
لظُفْرِ نُضارٍ ... ... (٢).
سقى روضةً حلّت نضار بتربها
من المُزنِ وبْلٌ دائمُ السحِّ والبَجْسِ
ولا زالَ تَسقيهِ سحائبُ رحمةٍ
تواليهِ في آتٍ وحالٍ يلي أمْسِ

---

(١) ابن مقلة : هو محمد بن علي بن الحسين وزير من الشعراء الادباء يضرب بحسن خطه المثل . توفي سنة ٣٢٨هـ . (وفيات الاعيان ج٢ ص٦١) .

(٢) كذا في الاصل .

نجل هلال : هو علي بن هلال المعروف بابن البواب ، خطاط مشهور من أهل بغداد مات سنة ٤٢٣هـ . (وفيات الاعيان ج١ ص٣٤٥) .

وقال(١) رحمه الله :

الرمل

قد سَباني من بَني التُركِ رَشا
جوهريُ الثغْرِ مِسكيُ النَفَسْ(٢)

قد حكَى غُصناً وبدراً ونَقَاً
في ارتجاجٍ وانبلاجٍ ومَيَسْ(٣)

ضيّقُ العينينِ تركيُهُما
واسعُ الوجنةِ خزَيُ المَجَسْ

ناظري للوردِ منهُ غارِسٌ
مالَه لا يجتني مما غَرَسْ(٤)

أصبحتْ عقربُ صدغيهِ معَاً
لجنيِّ الوردِ في الخدِّ حَرَسْ(٥)

[٧٦]

وغدا ثُعبانُ دُبُوقَتِهِ
جائِلاً في عِطْفِهِ مَهما ارتَجَسْ(٦)

---

(١) ذكرها السبكي في طبقات الشافعية ج٦ ص٣٥ ، وقال : « فهذه نبذة من مقروءاتي على شيخنا أبي حيان » .

(٢) أي : ثغره كالجوهر ، وأنفاسه كالمسك طيبا .

(٣) كذا في الاصل ، اما في طبقات الشافعية :
قد حكى شمساً وغصنا ونقا   في انبلاج وارتجاج وميس

(٤) ذكره السبكي بعد البيت الاول .

(٥) كذا في الاصل ، أما في الطبقات : أصبحت عقرب خديه .

(٦) الدبوقاء : العذرة .

لستُ أخشى سيفَهُ أو رُمْحَهُ
انما ارهبُ لحظاً قد نعسْ

اختلسنا بعد هجْرٍ وصلَه
إنَّ أهنا الوصلِ ما كانَ خلَسْ

لستُ أنساهُ وقد اطلَعَ مِن
راحِهِ شمساً أضاءَت في الغلَسْ

ورمَى العمَّةَ والتَاح لنا
فرقُ شعرٍ دقَّ مبدٍ ما التبسْ (١)

لمَسَ الكأسَ لكي يشرَبَها
فاعترته هَزَّةٌ مما لَمَسْ (٢)

ثم أدنَى جوهراً من جوهرٍ
وتَحسّى الكأسَ في فردٍ نفَسْ (٣)

وغدا يمْسَحُ بالمنديلِ ما
أبقتِ الخمرةُ في ذاكَ اللَّعَسْ (٤)

عجباً منها ومنه قهقهَتْ
إذْ حساها وهو منها قد عبَسْ

---

(١) كذا في الاصل ، أما في الطبقات : صرف شعر دق .
(٢) كذا في الاصل ، اما في الطبقات :
لمس الكأس لكي يشربها ويحيي الكأس في فرد نعس
(٣) لم يرد في الطبقات .
(٤) اللعس : لون الشفة اذا كانت تضرب الى السواد قليلا ، وذلك يستملح ، يقال شفة لعساء ، وفتية ونسوة لعس .

٩٩

وقال في لابس قباء أطلس :

الكامل

شَرُفَ الحريرُ بأنْ غدا لك مَلْبَسا
لِمْ لا وجسمك منه أَلْيَنُ مَلْمَسا

يا شادِناً ما ازْدادَ منّي وَحْشَةً
إلا وزادَ القلبُ فيه تأنُّسا

طَلَسَتْ عقولُ الناسِ لَمّا أن غَدا
يمشي الهُوَيْنَى في قباءٍ أَطْلَسا(١)

مُتَنَسِّمٌ عن نَفْحَةٍ مِسْكِيَّةٍ
مُتَبَسِّمٌ عن أَشْنَبٍ في أَلْعَسا(٢)

هو ثالثُ القَمَرينِ وهو أتمُّها
نوراً وأبعدُها مدًى أنْ يُلْمَسا

[٧٧]

إنَّ التفاوُتَ في العُلُوِّ لَمُوضِحٌ
مَنْ كانَ أعلَى في المنازلِ مَجْلِسا

فالبدرُ في أُوْلَى السما والشمسُ في الْـ
وُسْطى ومن أَهْواهُ حَلَّ الأَطْلَسا

---

(١) طلس البصر : ذهب ، والكتابة ، محاها . والاطلس : الاغبر الى السواد .
(٢) شنب الرجل : كان أبيض الاسنان حسنها . لعس : كان في شفته لعس ، أي : سواد مستحسن فهو العس .

١٠٠

وقال في صاحب له يدعى النجم بات عنده ثم راح غدوة :

الطويل

أَلا بِأَبي خِـــلٌّ حَمِدْتُ إِخـــاءَهُ
رقيقُ الحواشي جامعُ الشَّملِ والأُنسِ
قَطَعْنــا بــه ليــلاً كأَنَّ حديثَــهُ
أزاهيرُ روضٍ صِينَ عن بَذْلَةِ اللَّمسِ
وبِتْنا يُعاطِينْــا الحَدِيْثَ كأَنَّــهُ
جَنَى النَّحْلِ مَمْزُوجاً لنا بابنةِ الكأْسِ
حَبيبٌ الى كُلِّ الأَنامِ كأَنَّــهُ
تقسَّمَ بينَ القَلْبِ والروحِ والنفسِ
هو النجمُ جلَّى ظُلمةَ الليلِ نـورُهُ
فأَوْضَحُ من شمسٍ وأفصَحُ من قسٍّ
ولكنَّــهُ إِذْ لاحَتِ الشَّـمسُ غائبٌ
ولا غَرْوَ إِنَّ النجمَ يَخْفَى مع الشَّمسِ

١٠١

وقال(١) يخاطب قاضي القضاة شمس الدين الحنفي(٢) وقد أعيد الى خطة القضاء ، وكان يتطلع الى الخطة رجل يدعى نجم الدين :

---

(١) ذكرهما في نفح الطيب ج٣ ص٣٢٧ وقال : « وقال يخاطب قاضي القضاة شمس الدين السروجي الحنفي وقد أعيد الى منصب القضاء ، وكان يتطلع اليه رجل يدعى نجم الدين » .

(٢) هو أحمد بن ابراهيم بن عبدالغني قاضي القضاة شمس الدين أبو العباس السروجي . ولد سنة ٦٣٧هـ وتوفي بالمدرسة السيوفية بالقاهرة في يوم الخميس ١٢ رجب سنة ٧١٠هـ (تاج التراجم ص١١) .

الطويل

ذَوو العلمِ في الدنيا نجومٌ زواهرٌ
وإنَّكَ فيها الشمسُ حقاً بلا لَبْسِ

إذا لُحْتَ أَخفى نورُكم كلَّ نيِّرٍ
أَلَمْ تَرَ أنَّ النَّجْمَ يَخْفَى مع الشَّمْسِ

١٠٢

وقال(١) وقد حياه أقضى القضاة علاء الدين بن العلاء بغصن آس على يد غلام [٧٨] :

البسيط

أهدَى لنا غُصناً من ناضرِ الآسِ
أقضَى القضاةِ حليفُ الجودِ والباسِ

لما رأى سَقَمِي أهداهُ معْ رَشأٍ
حُلْوِ التجنّي فكانَ الشافيَ الآسي(٢)

---

(١) ذكرهما المقري في نفح الطيب ج٣ ص٣٣٦ ، وقال قبلهما : « وحضر الشيخ ابو حيان مع ابن بنت الاعز في الروضة فكتب الى أبي حيان ووجهه مع بعض غلماته :

حييت أثير الدين شيخ الادبا ... أقضى له حقا كما قد وجبا
حييت فتى بطاق آس نضر ... كالقد بدا ملئت منه طربا

قال : فأنشدته ..... » .

(٢) كذا في الاصل ، أما في نفح الطيب : حلو التثني .

١٠٣

وقال(١) رحمه الله تعالى :

الطويل

أَيا كاسياً من جيّدِ الصُّوفِ جِسْمَهُ
ويا عارياً من كُلِّ فَضْلٍ ومن كَيْسٍ(٢)
أتَزْهى بصوفٍ وهو بالامسِ مُصْبِحٌ
على نعجـةٍ والآنَ مُمسٍ على تيسِ

١٠٤

وقال وهي من قديم شعره بالاندلس وقالها في صباه :

البسيط

مـا لليراعةِ لا رِيعَتْ بحـادِثَةٍ
استَعْجَمَتْ ولِحِبري الآنَ قد جَمُسا(٣)
وللقـوافي قَفَتْ مالـي فـلا أدبٌ
يُملَى ولا نَشَبٌ يُريح مُبْتَئِسـا
فصفحةِ الطِّرسِ من دَرّي مُعَطَّلَةٌ
ورسمُ جودي إِذْ قَلَّلْتُ قد دَرَسـا
وقد ذَوَتْ زَهَراتُ الشِّعْرِ وا أسَفا
لَمّا غدا ماءُ فكري غائراً يَبَسـا

---

(١) ذكرهما المقري في نفح الطيب ج٣ ص٢٩٠ ، وقد نقلهما عن الخطيب ابن مرزوق ، وذكر قبلهما : « وأنشد في جاهل لبس صوفا وزهي فيه » .

(٢) كذا في الاصل ، أما في نفح الطيب : من جيد الصوف نفسه . الكيس : ضد الحمق ، والرجل كيس ، أى ظريف .

(٣) جمس : جمد .

كأنني لم أعمّر منتدى أدبٍ
ولم أجلْ للصبا في حلبة فرسا
سددتُ باب القِرا عن كلِّ ملتمس
إنْ كنت أسكنُ بعد العام أندلسا
ورُبَّ ذي حنقٍ تغلي مراجلُه
ناراً فيشعلُ من فيه لنا قبسا
رأى سموي وما أوتيتُ من شرفٍ
فرام هتكَ حمىً ما زال محترسا
حمى حماه حميُّ الأنف ذو كرمٍ
كالأسجم انهلّ أو كالضيغم افترسا

[٧٩]

مفوّهٌ إنْ دعا حرٌّ الكلام أتى
بديعه نحوه مستعجلاً سلسا
فمن قلائد يعلو الدرَّ جوهرها
ومن فرائد يجلو نورها الغلسا(١)
أعجب به من خطيبٍ ماهرٍ ندسٍ
ان قست قساً به تخاله ودسا(٢)
بل العجاب مقامي بين ذي وحرٍ
وحاسدٍ بسوى الأعراض ما نبسا(٣)

---

(١) الغلس : ظلمة آخر الليل .
(٢) الندس : السريع الفهم . ودس الشيء : خفي . والودس – بفتحتين – العيب .
(٣) وحر : وغر عليه صدره ، وهو وحر الصدر .

قَومٌ إذا غِبْتُ قالوا ما يليقُ بهم
وإن حَضَرتُ تَراهُمْ خُشَّعاً نُكُسا

ذَنْبي اليهِم نُفُوذِي حينَ تفجَؤُهُم
مُسَغَّباتٌ يُدَلِّهْنَ الفتى النَّدُسا

وإنَّني مثلُ ماءِ المُزنِ لا رَنَقٌ
كذاكَ بُردِي نقيٌّ ما رأى دَنَسا

ما كانَ ضرَّهُمُ لو أنْصَفُوا رجُلاً
ما نامَ وَهْناً على هَجْرٍ ولا هَجَسا

أما دَرَوا أنني لو شِئْتُ افضَحُهُم
بمُفْصِحاتٍ وإنْ أبْصرتَها خُرُسا

من كلِّ شارِدةٍ عذراءَ ناهدةٍ
يكونُ اهداؤُها لَهُمْ لَها عُرُسا

وكلٍّ فاصِمةٍ للظهرِ قاصمةٍ
تَرُدُّ من كانَ جذلاناً حليفَ أسَى[1]

لكنْ نَهانيَ عَنهُم أنَّهم نَجَسٌ
ومِقْوَلِي قد أبى أن يذكُرَ النَّجَسا

---

(١) فصم : كسر ، ومثلها قصم ، ويقال : « قصم الله ظهر الظالم » أنزل به البلية .

١٠٥

وقال رحمه الله تعالى : الطويل

تَيَمَّنْ بها من غُرَّةٍ نورُها الشمسُ
أنارت دُجى الأيامِ فارتفعَ اللَّبْسُ
وألْمِمْ بِمَغْني دولةٍ ناصريَّةٍ
تكنَّفَها الاقبالُ والنصرُ والانْسُ

[٨٠]

تولَّى لها التدبيرَ أروعُ ماجدٌ
كثيرُ التوقّي شأنُه الجودُ والبأسُ
ومن يكُ سيفُ الدينِ نائبَ مُلكِهِ
يَنَمْ وجفونُ الدهرِ عن مُلكِهِ نُعْسُ
أميرٌ خبيرٌ ذو وغىً وسياسةٍ
تغايرَ في عليائهِ الطِّرْفُ والطِّرْسُ
كأنَّ الورَى جسْمٌ لديكَ شِفاؤُه
وامرُكَ في تدبيرِهِ الروحُ والنفسُ
اليه انتمتْ كلُّ المكارمِ وانتهتْ
فبالشخصِ منه يَفْخَرُ النَّوْعُ والجِنْسُ
مميتُ نفوسٍ إنْ عَصَتْ ومفيدُها
إذا ما أطاعَت فهو يجرحُ أو يأسو
يقصِّرُ عن إدراكِه كلُّ واصفٍ
ولو انَّهُ بكرٌ وساعدهُ قُسُّ

١٠٦

وقال من أبيات ونظمها بعيذاب(١) :

الطويل

كَريمٌ يحاكي البحرَ جودُ بنانِـــه
على أنَّه أحْلَى من الشَّهدِ للنَّفْسِ
ومنبـعُ آدابٍ تحلَّـى بحَمْلِهـا
فيُزري بسحبان ويُربي على قسٍّ
مواهبُه درٌّ على كلِّ مُعْتَفٍ
وألفاظُه دُرٌّ على صَفْحَةِ الطِّرسِ(٢)
يرى بذلَ آلافٍ قليلاً وغيرُه
يرى الغايةَ القُصوى إذا جاءَ بالفَلسِ

١٠٧

وقال رحمه الله :

البسيط

تقييدُ نفسِكَ بالأغيار مَضْيَعَةٌ
للعُمْرِ فاترُكْ أخي التقييدَ بالناسِ
فلَنْ ترَى غيرَ خَتّالٍ أخا خُدَعٍ
يُريكَ مَمْضَى الهوَى في غشِّ خنّاسِ

[٨١]

(١) عيذاب ــ بالفتح ثم السكون ــ : بليدة على ضفة بحر القلزم ، وهي مرسى المراكب التي تقدم من عدن الى الصعيد · (معجم البلدان) ·
(٢) المعتفي : طالب الفضل او الرزق ·

كان أبو حيان قد قدم ثغر الاسكندرية فى سنة احدى وتسعين وستمائة ، فجمعه والقاضي نجم الدين بن المقيع مجلس ، ودارت بينهما مؤانسة ، فلما انصرف أبو حيان سأل نجم الدين عن أبي حيان فاعلم به فاستحيي وقال : هذا الرجل بيننا وبينه انس من قديم الزمان ، وانصفنا في المؤاسة ونحن تكلمنا معه ولم نعرفه ، فكتب اليه بهذه الابيات ، وهي :

البسيط

ضَيْفٌ أَلمَّ بنا من أبْرعِ الناسِ
لا ناقضٌ عهدَ أيامٍ ولا ناسي
عارٍ من الكِبرِ والأدناس ذو شَرَفٍ
لكنّه من سرابيلِ العُلى كاسِ
وافَى فوافَى على شطِّ المَزارِ بما
يُنبيكَ عن طِيْبِ أعراقٍ وأغراسِ
لم يُثْنِهِ طولُ بُعدِ العهدِ عن مِقتِي
ولا ودادي ولا أنساه إيناسِي
لقد تعرَّف لي لما تنكَّر لي
صَرف الزمان لشيبٍ حلَّ في راسي
حتى توهَّمتُ أيامَ الصِّبا رجعتْ
ووجهَ جدِّي طلقاً غيرَ عبَّاسِ
أهدَى اليَّ من النظمِ البديعِ ومن
نثارهِ جوهراً ما مُسَّ بالماسِ

ومن غريبِ أفانينِ الفضائلِ ما
ظننتُ أنَّ سَناهُ ضوءُ مقباسِ
يميل من طربٍ أعطافُ سامعه
كأنه للطِّلا من سَمْعِهِ حاسِ
حيّا فأحيى أبو حيان من أملي
ما كنتُ من قربِهِ مني على ياسِ
[٨٢]
وبَلَّ فَرْطَ أُوامي من لِقاهُ بما
لولاه ما خَمدت نيرانُ أنفاسي
وكم هَمَمْتُ بطيرِ البيدِ مُنفرداً
شوقا اليه بعزمٍ غيرِ نوّاسِ
فالآنَ أسعفني دهري برؤيته
وشدَّ من بعدِ نقضِ الحظِّ أمراسي
يا بحرَ علمٍ غدتْ بالثغرِ طافحةً
أمواجُهُ وهو طودٌ بالحِجى راسي
لولا حُلاكَ لأضحى المصرُ ذا عَطَلٍ
وأَرْبُعٌ من فنونِ العلمِ أدراسِ
خُذها اليكَ وسامحْ فكرةً بَلِيتْ
بكلِّ قلبٍ على أهلِ النهى قاسِي
وإن تُجاوِبْ أبا حيانَ ذامقةً
تجبرْ أخاكَ وما بالجبرِ من باسِ

فكتب اليه أبو حيان :

البسيط

أَمِسْكُ دارِينَ أَمْ أَنفاسُ أَنْقاسِ
وَوَشْيُ صنعاءَ أَم نَقْشٌ بقرطاسِ [1]

أَمْ رَوْضَةٌ جمعتْ أشتاتَ زهرتِها
أشخاصُ نورٍ لانواعٍ وأَجْنَاسِ

نَظْمٌ تَوَدُّ الغواني لو يكونُ لها
عِقْداً على النَّحرِ أَوْ تاجا على الراسِ

مجبَّرٌ بسوادِ الحِبْرِ أبيضُهُ
يا حُسنَهُ من دُجىً في نورِ نِبْراسِ

حيَّا فأحيا أَبا حيّان وافدُهُ
وآنسَ النفسَ منه أيَّ ايناسِ

يا يومَ سعدٍ مُتاحٍ قد غَدا مَلَكي
به قريباً وشيطاني به خاسِ [2]

أَطْلَعْتَ أنجمَ سَعدي إذ أفَلْنَ كما
ثبَّتْتَ بعدَ خُبُوٍّ ضوءَ مِقباسِ

[٨٣]

ما ظنت النفسُ أن تسخو الدهورُ بما
ضَنَّتْ بهِ إذ ألانَتْ قلبها القاسي

---

(١) النقس : المداد ، والجمع أنقاس .
(٢) خاسي : خاسئ .

عادَ المشيبُ شباباً والأسى فرحاً
فقلبيَ الأمويْ والرأسُ عباسي

لما انتميتُ لنجمِ الدينِ أنجمَ عن
قلبي الأسى وغدا لي مسقمي آسي

ومُذ تعرّف منكوري اليه نأتْ
مآتمي ودنتْ في الوقتِ أعراسي

فثغرُ دهْري بسّامٌ وجانبُهُ
ليْنٌ وكانَ قديماً عابساً عاسي(1)

بالنجمِ أهلُ النهى هم يهتدونَ وهلْ
يحارُ من يهتدي بالنجمِ في الناسِ

ربُّ المعارفِ وهّابُ العوارفِ مُهْـ
ـدٍ للّطائفِ ذو الاحسانِ والباسِ

يُولي الجميلَ وينساهُ ويذكرُ ما
تُوليه شكراً لـه من ذاكرٍ ناسِ

أحيى بيحيى رخيّ البالِ ذامقةٍ
ومَن يناويهِ في مقْتٍ وإفلاسِ

لأشكرنّ الذي أسداهُ مِن نِعَمٍ
شكْرَ الغمامِ رياضَ الوردِ والآسِ

---

(1) عاسي : غليظ .

قافية الشين

١٠٩

قال رضي الله عنه :

الرمل

يـا أخـا البدرِ سناءً يا رَشـــا
قَـد ملكتَ القلبَ فاصْنَعْ ما تَشـــا
يـــا هِـــلالاً طالعـــاً في مُهجتـي
وغزالاً راتِعـــا وَسْـطَ الحَشا
مـــا رأينـــا قَطُّ بَدراً طالعـــا
بنهـــارٍ غـارِبـاً وَقْتَ العِشـــا

[٨٤]

من بني التـركِ صغـيرٌ طلعتْ
عينُه اللخصاءُ في عيني عَشـا(١)
دبِقت بالقـلـب دبُوقتُـــه
فلقـد طَوّق منهـا حَنَشا(٢)
جنٌ لـكنْ قَيَّدتْهـا شَـعَرَةٌ
كلمـا أبصرهَـا قَد دُهِشـا
ليس تسْبي النفسَ الا رؤيَةُ الـ
ـذهبِ الاءبريزِ أو ظبيٌ نَشا

---

(١) لخصت عينه : ورم ما حولها فهي لخصاء .
(٢) الدابوق والدبوقاء : غراء يصاد به الطير ، والدبوقاء : العذرة . الحنش : الذباب والحية وكل ما يصاد من الطير والهوام .

ولكلٍّ نسبةٌ من جنسه

فلهذا أعلموه الزركشا

يا نديميَّ أعيدا ذكرَه

عوذة يسكن قلبٌ شوّشا

كان حبّي خافيا مذ زمنٍ

وأراه اليوم أضحى قد فشا

كيف لي صبرٌ على الكتمِ وذا

دمعُ جفني بغرامي قد وشى

قافية الصاد المهملة

١١٠

قال رضي الله عنه :

الهزج

لقد كَمُلَتْ محاسنُها فما يبدو بهـا نَقْصُ
قَضيبٌ فوقَهُ قمرٌ ولكن تحتَهُ دِعْصُ
غدا حُسنُ الورَى جِنساً وما لِكتي لَهُ شَخْصُ
حرَصتُ على تحيّتِها وليس بنافعٍ حِرْصُ
فما حيّتْ ولكن قَدْ أشارَ بنانُها الرَّخْصُ

[٨٥]

وأوَلْتُ السُّلُوَّ لها وحُبِّي ظاهرٌ نَصُّ

١١١

وقال رحمه الله :

الخفيف

أيُّها الناسُ قد غَنِيْتُ بروحي
عن سِواها فلستُ أَصْحَبُ شَخْصا
قد أراني وَحدِي أزيد كَمالاً
وإذا ما صحِبْتُكم زِدْتُ نَقْصا[1]

---

(١) الروي في الاصل مضموم .

١١٢

وقال يخاطب بعض أصحابه وكان ضعيفا :

الطويل

وَنُبِّئْتُ أَنْ قَدْ زادَ ما بكَ سَيِّدي
فضَعْفي قد أرْبَى وصبري ناقِصُ
ولِمْ لا ولي نَفْسٌ اليكَ نُزُوعُها
وبِرُّكَ لي وافٍ ووِدُّكَ خالِصُ
نشأتَ بروضِ العِلم والغُصنُ دَوحَةٌ
ولا زهرها ذاوٍ ولا الظِّلُّ قالِصُ
فضيلةُ نفسٍ لم تشِنْها رَذالةٌ
وشيمةُ حُرٍّ لم تَشُبْها النَّقائص
إذا لاحَت العَلياءُ كُنتَ مُبادِراً
إلَيها وإن تَبْدُ الدَّنايا فناكِصُ
فَدتْكَ لِداتٌ ضَيَّعُوا شَرْخَ عمرهم
وأنتَ على نَيلِ المعارفِ حارِصُ
إذا فَحَصُوا عن نَيْلِ لذاتٍ انْقضت
فإنَّكَ عن تدقيقِ عِلمِكَ فاحِصُ
وان شُغِلُوا يوماً بصيدٍ ولَذَّةٍ
فانتَ لشُرّادِ المسائِلِ قانِصُ
وفي نسبةٍ للنورِ أَصْدَقُ شاهدٍ
على عنصرٍ زاكٍ عَدَتْهُ القوارِصُ

فلا زالتِ الأنوارُ تُشْرِقُ دائماً
وشانيكَ في بَحْرِ الشَّقاوةِ غائِصُ

[٨٦]

١١٣

وقال رحمه الله :

الطويل

وِدادي صَحيحٌ لم تَشُنْهُ النقائصُ
وحظِّي على فَرْطِ المحبَّةِ ناقِصُ

ولو رامَ عَذْلي من يُريني نَصيحةً
رَدَدْتُ عذولي وهو خزيانُ ناكِصُ

وعلَّقْتُه تركيَّ أصلٍ ومقلةٍ
له نَسَبٌ في آلِ خاقانَ خالِصُ

رَبا وهو ظبيٌ بينَ أُسْدٍ وغِزْلةٍ
قسيُّ فؤادٍ نافرُ الطبعِ نائصُ(١)

وعهدي بغزلانِ الفَلا يَقْنِصونها
وهذا غزالٌ للضراغيمِ قانِصُ

خصائصُ حسنٍ زيَّنَتْها صِفاتُه
وغيرُ حبيبي زَيَّنَتْهُ الخصائِصُ

محجَّبُ حُسْنٍ لا يزال يصونه
رقيبٌ على حِفْظٍ له الدَّهرَ حارِصُ

---

(١) النائص : الرافع الرأس كالنافر .

فلا وصلَ إلا باختلاسةِ ناظرٍ
إليه له طرفٌ إذا لاحَ شاخِصُ
وها هو ذا عن طرفيَ الشَّهْرَ غائبٌ
وها أنا ذا عن حتفيَ اليومَ فاحِصُ
فقلبيَ في نارٍ من الوَجدِ خالدٌ
وطرفيَ في بحرٍ من الدَّمعِ غائِصُ

قافية الضاد

١١٤

قال(١) رحمه الله :

السريع

راضَ حبيبي عارضٌ قد بَدا
يا حُسْنَهُ من عارضٍ رائضِ
وظَنَّ قومٌ أنَّ قلبي سَلا
والأصلُ لا يعتَدُّ بالعارضِ .

[٨٧]

١١٥

وقال(٢) ايضا :

البسيط

لا ترجُوَنَّ دوامَ الخير من أحَدٍ
فالشرُّ طبعٌ وفيه الخيرُ بالعَرَضِ
ولا تَظُنَّ امرءً أسدَى اليك نَدًى
من أجلِ ذاتِك بل أسداهُ للغرَضِ

(١) ذكرهما الصفدي في الوافي بالوفيات وأعيان العصر ونكت الهميان ص٢٨٢ ، وقال : « وأنشدني من لفظه لنفسه » . وذكرا في فوات الوفيات ج٢ ص٥٥٦ وطبقات الشافعية الكبرى ج٦ ص٣٥ وفيه يقول السبكي « وأنشدني لنفسه بقراءتي عليه » . والدرر الكامنة ج٤ ص٣٠٥ ، والنجوم الزاهرة ج١٠ ص١١١ ، والمنهل الصافي ج٣ ص٣٢٢ أ ، وبغية الوعاة ج١ ص٢٨٣ ، ونفح الطيب ج٣ ص٣٠٨ ، وشذرات الذهب ج٦ ص١٤٧ ، والبدر الطالع ج٢ ص٢٩١ .

(٢) ذكرهما المقري في نفح الطيب ج٣ ص٤٠٢ .

وقال عفا الله عنه :

الطويل

مُصابٌ عَرانا فادحٌ وهو مُمرضي
فطَرفي طُوالَ الليلِ ليس بمُغمضِ

ودمعي هتَانٌ وقلبيَ خافقٌ
كئيبٌ وشوقي دائمٌ ليس ينقضي

حنيناً لمن كانتْ ذُكاءُ شبيهةً
لها في الذّكا والنُورِ والمنظرِ الوَضي

وقد مُيّزت عنها بعقلٍ وفطنةٍ
وعلمٍ واحسانٍ مع الخُلقِ الرَضي

فتاةٌ كأنَّ الحُسنَ كانَ يُحبُّها
يُطاوعُها فيما تُحِبُّ وترتضي

فجاءَت وكُلُّ الحُسنِ مِلءُ رِدائها
وأترابُها جاءت بِحُسْنٍ مُبغَّضِ

وزادتْ الى هذا الجمالِ فَضائلاً
لغيرِ نُضارٍ مُثلُها لم يُقيَّضِ

معارفَ تُبديها لتعليمِ جاهلٍ
عوارفَ تُسديها بأحمرَ أبيضِ

فأحمرُها الدينارُ نارٌ لسائلٍ
ودِرهمُها الدرهامُ دُرٌ لِقبَّضِ

وإنْ أعْرَضَتْ عنّا كما شاءَ ربُّنا
فما القلبُ عنها طولَ دهري بمُعْرِضِ
قضَتْ عندما لاحَتْ ذُكاءُ وأشرقَتْ
لنا عِوَضاً أقبِحْ بها من مُعَوَّضِ
[٨٨]
فغودِرَ حُزْنٌ في قلوبٍ تقطَّعَتْ
وفي أعْيُنٍ بالدَّمْعِ والدَّمِ فيَّضِ

١١٧

وقال رحمه الله :

الطويل

نزَجّي دماءَ النفسِ من بعدِ إمضاضٍ
ويَجذِبُنا يومٌ فيومٌ بأَمراضِ
وكانَ لنا فَضْلٌ من العمرِ سابقٌ
قطعناهُ في لَهْوٍ وفي نيلِ أغراضِ
مَلِلنا ومَلَّتنا الحياةُ فلو أتَتْ
شَعوبُ استرحْنا مِن مُقاساةِ أعراضِ
تقاربُ خطوٍ وانحناءٌ وشَيْبَةٌ
وضعفُ لِحاظٍ وانتهاضٌ كمنهاضِ
وكنتُ امرءاً لي بالعلومِ عَلاقَةٌ
سَراتي من تكليفِها ذاتُ انقاضِ

عنيتُ بها إحدى وسبعينَ حجّةً
نَهاراً وليلاً في اجتهادٍ وتنهاضِ

فأكتبُ في التفسيرِ أشعارَ حكمةٍ
أقرَّ لها الحُسّادُ قسْراً بأنغاضِ

نضَوا هِمماً في نيلِ دُنيا عريضةٍ
فنالوا وإنّي للذي نوّلوا ناضِ

احبّوا دُناياها فصاروا عبيدَها
وإنّي حرٌّ في اتّراكٍ وإبغاضِ

إذا وردوا قلْتاً من العلمِ آجِناً
وردْتُ نِطافاً غرْبةً ملءَ أحواضِ

تلَلْتُ بعضبِ الحزمِ عرشَ فضائلٍ
وهم ثلمُوا فيها يسيراً بمِقراضِ

ولمّا تناضلْنا لنقنصَ شارداً
أصبتُ بحدٍّ إذ اصابوا بمِعراضِ

فصارَ لنا حظٌّ من العلمِ وافرٌ
وهم قد رضُوا منه باءدراكِ أبعاضِ

[٨٩]

وما الفضلُ الا أن يرى المرءُ أمّةً
فريداً تهادى ذكرَهُ كلُّ ركّاضِ

يطوفُ على الآفاقِ ينشُرُ فضلَــهُ
ثنـــاءً كمثلِ المِسْــكِ فُتَّ بمِرْضاضِ
وإنَّ امرءاً قد حــازَ علماً ولم يكن
يجودُ بــه كالفــأرِ عاشَ بمِرْحاضِ
تــرى الشيخَ منهمُ شاتماً لــذوي النُّهَى
تَسَلُّطَ كلبٍ كاشــرِ النابِ معِضاضِ
وأقرضَهُم قرضــاً قبيحاً حياتَــهُ
فاذ ماتَ جازَوْهُ بأقبــحِ إقراضِ
فذلــك إن يَهْلَكْ فــلا ذاكرٌ لــه
بخيرٍ ولا ناسيه من شَــرٍّ قرّاضِ
وقالــوا أبــو حيــان كـــان معلّمــا
بخلْقٍ رضيٍّ للتــلاميذِ مُرْتاضِ
فمــا كانَ نجّــاهاً ولا شــاتما لِمَــنْ
يعلّمُــه بــل خُلقُــه طيِّبٌ راضِ[1]
لقد فُجِعَ الأصحابُ منــه بأوحَــدٍ
بحرٍ زخــورٍ بالفضــائلِ فيّاضِ
أليــفٍ لقــرآنٍ حليــفٍ لسُــنة
عن الشرِّ مبطاءٍ الى الخيرِ نهّاضِ

---

(١) النجه : استقبال الرجل بما يكره ورده عن حاجته ، او هو أقبح الرد .

عليمٍ بتَنْقادِ الكلامِ وصوغِـهِ
الى كلّ مُعتاصٍ عن الفَهْمِ خَوّاضِ
فَسَلْ فسر كَشَّافٍ وفسرَ وجيزِهم
لقد أدْجَيا من نقدهِ بعدَ إيماضِ (١)

وتسهيلُهم قد راضَه ناقداً لـه
فيا حِذْقَ نقّادٍ ويا رِفقَ روّاضِ (٢)

ومَنْ يَعْنَ بالتسهيلِ يرأسْ بفَهْمِـه
وقاري سواهُ في عَناءٍ وإحراضِ

كتابٌ نفيسٌ لم يؤلَّفْ نظيرُهُ
غَدا زُبدةً في النحوِ من بعدِ تَمْخاضِ

[٩٠]

بـه نُسِختْ كُتْبُ النحاةِ ومُزّقَتْ
فَصارت هَباءً طارَ في كُلِّ آراضِ

وما النحوُ الا ما جَمعنا بشرحِهِ
لحازَ الذي قالوهُ في العَصْرِ الماضي

وفاقَ بتنقيحٍ وتفصيلِ مُجمَلٍ
وترتيبِ تخليطٍ وتصحيحِ مِمْراضِ

(١) هو تفسير الكشاف للزمخشري .
(٢) هو تسهيل ابن مالك ولابي حيان شرح كبير له .

وايجادِ معدومٍ وايجازِ مسهبِ
وتعيينِ إبهامٍ وتوضيحِ إغماضِ

وإن كتابَ الارتشاف لزائدٌ
عليه بأحكامٍ غدتْ طوعَ نفّاضِ[1]

نفضتُ عليه لبَّ ما قد كتبتُه
بتذكرتي فاختالَ زهواً بتنفاضي

ورتبتُه بالعقلِ واخترتُ لفظه
ومثّلتُه كي يُستفادَ بايقاضِ

وزادَ على التسهيلِ مثليه فازدهى
على كلِّ تأليفٍ طوالٍ وعرّاضِ

فجاءَ غريبَ الوضعِ لم يأتِ عالمٌ
له بنظيرٍ ، بله عصريَ او ماضِ

ومَن لم يكُنْ في العلمِ منتمياً لنا
فذاك دعيٌّ فيه حكماً من القاضي

ويا عجباً من مُدَّعينَ فضيلةً
بنزرٍ من الاوراقِ ... ذاتِ انقاضِ[2]

رأوا سيبويهِ تلكَ الاوراقَ فاكتفوا
بها كظماءٍ حينَ بلّةَ أبراضِ[3]

---

(١) هو ارتشاف الضرب من لسان العرب لابي حيان .
(٢) في الاصل بياض .
(٣) البرض : القليل ، وبرض الماء : خرج وهو قليل .

فمـا رَوِيَتْ منها وأَلقَتْ أجِنَّـــةً

لغيرِ تمامٍ قـد رَغَون لاءجهـاضِ

وكانــوا كَتَراكٍ لذيذَ حــلاوةٍ

وقـد آثروا مَضغـا لدِفلَى وحُمّاضِ

ولمـا غَنُــوا عن سيبويهِ تعوّضُـــوا

بكُنّاشةٍ جَـدْاءَ من شَــرِّ أعواضِ (١)

[٩١]

وما وارِدُ البحرِ المحيـــطِ كلاجيءٍ

الى ثَمَدٍ نزْرِ البَلالةِ غيّاضِ (٢)

لسَهّلتُ هـذا العـلمَ حتّى لقد غَدا

كشَرْبةِ ماءٍ قد جَرَى علو رَضْراضِ (٣)

مَشُوبا بشَهْدٍ فهو ينســاغ في اللَهَى

وللقلبِ يَسري في صَفـاءٍ وتَمْحاضِ

فانِ أمْسِ قَدْ أقوَتْ من العلم حَضرَتي

وأصبحتُ نَفْضا هامداً بيـن أنقاضِ

فمـا مـاتَ من أبقَى تآليفَ زانَهـا

تلاميـذُ كلٌّ في مباحيثهِ ماضِ

---

(١) وضع الملك المؤيد أبو الفداء « الكناش » وهو موسوعة كبرى في مجلدات كثيرة جمع فيها قواعد النحو والصرف والمنطق واللغة وغير ذلك . (تاريخ حماة للصابوني ص١٢٦ ، وأدب الدول المتتابعة ص١٥٧) .

(٢) البحر المحيط هو تفسيره الكبير .

(٣) الرضراض : الحصى أو صغارها .

ليهنا بنو الاعراب أنْ كنتُ شيخَهُم
وانهضتهم في علمِهِ أيَ إنهاضِ
فصارُوا رؤوسا يُقتدَى باتّباعِهِم
كُسُوا من دروعِ الفضلِ أكمل فَضفاضِ
حَوَوا قَصَباتِ السبقِ علماً وسؤدداً
فما فاضلٌ عما حَوَوْهُ بمعتّاضِ
إذا باحثٌ وافَى يخبّطُ قابَلُوا
تخابيطَهُ صَفْحاً بترْكٍ وإعراضِ
وإن كانَ ذا فَهْمٍ وعِلْمٍ وإن هَفا
فيَغضُونَ عنه في وِدادٍ وإحماضِ
وإنْ لجَّ في بَحْثٍ له فاسدٍ غدا
كعروة دمّى رأسه فتكُ برّاضِ (١)
جَهابذُ نَقّادُونَ يَجرحُ نقدُهُم
كحيَّة لِصبٍ هامزِ النابِ نَضنّاضِ (٢)
يَفوقُونَ نحويَّ الوجودِ بفطنةٍ
لسُرعَةِ إدراكٍ وسُرعَةِ إنباضِ

---

(١) البراض بن قيس : أحد فتك العرب من بني كنانة ، وبفتكه قام حرب الفجار بين بني كنانة وقيس عيلان لانه قتل عروة الرحال القيسي (اللسان ـ برض ـ) ٠

(٢) اللصب : شق في الجبل ، وكل مضيق في الجبل فهو لصب ٠ حية نضناض : تحرك لسانها ، وقيل : هي المصوتة ، وقيل : هى التى تقتل اذا نهشت من ساعتها ٠ (اللسان ـ نضض ـ) ٠

فلا مَغربٌ كلاّ ولا مَشرِقٌ حَوَى
كأمثالِهِمِ في عصرِنا ذا ولا الماضي

١١٨

وقال رحمه الله [٩٢] :

المقتضب

نَظرةٌ أَتَتْ عَرَضا ... أورثَتْني المَرَضا
ناظري الى قمرٍ ... بالهوَى عليَّ قَضَى
مذ رمَى بأسهُمِهِ ... كانَ قلبيَ العَرَضا
خوطةٌ على كُثُبٍ ... فوقَها السَّنا ومَضا
مَبْسم به شَهَدٌ ... شافيا لمن مَرِضا
ثغرُهُ وجوهرُهُ ... لم نجِدْ به عَرَضا
ان نَرُمْ به بَدَلاً ... لم نُصِب له عِوَضا
بينما يواصِلُنا ... إذْ هزَا بنا ومضى
تارِكاً سنا لَهَبٍ ... في الحَشا وجمر غَضا

قافية الطاء

١١٩

قال عفا الله عنه :

الطويل

صَرَفْتُ الهوى إذْ عَنَّ عن شادنٍ شَطا
وأيُّ هوىً يبقى لذي لِمَّةٍ شَمْطا

فلا يَسْتَفِزُّ القلبَ قلبٌ بمعصمٍ
ولا كاعبٌ جرَّتْ على كعبها المرطا

ولا ناهدٌ والنَّحرُ نهداهُ فلْكَا
كحُقَّيْنِ من عاجٍ أُجيدا معاً خرْطا

ولا شادنٌ أحوى الماقي مُرعَّثٌ
وَصولٌ اذا يرنو أخافُ له شَحْطا

[٩٣]

من التركِ لم ينشأْ بنجدٍ وإنّما
ربا في عرينِ الأُسْدِ تُمْسِكُهُ ضغطا

تباينَ منه الرِّدفُ والخصرُ خلْقةً
فذا مُخصبٌ رَيّاً وذا مُجدِبٌ قحْطا

مُجَذَّبُ عينٍ يَجْذِبُ القلبَ عَنْوةً
كأنَّ بها هاروتَ يأخذُهُ سَلْطا

تغازِلُ عيناهُ الخليَّ الى الصِّبا
ويعذِرُهُ فيه عِذارٌ قد اختطّا

وصورةُ بدرٍ قد علتْهُ ذؤابةٌ
تنوسُ على متنيه كالحيَّةِ الرقْطا

تركتُ لذاذاتِ الصبا ومجونَهُ
لمن لم ينَلْ فؤادهُ من عمرِهِ وَخْطا

وجرَّبتُ حظّي مَعْ زماني فتارةً
تبعتُ الرِّضى منْهُ وتاراتٍ السُّخْطا

وعِفتُ الدنايا لم أكُن قطُّ سائلاً
لرِفد ولو أنَّ النُّضارَ بهِ أعطى

سَجيّةُ نفسٍ نافست في ارتضاعِها
بثديِ المعالي أو تعاني بها ملطا

ولي همةٌ هامَتْ بادراكِ غايةٍ
من العزِّ مَنْ يُبصرْ بها يُكثرِ الغبْطا

* *

هذا ما وجد من قافية الطاء ، ولم نجد له شعرا على قافية الظاء .

قافية العين

١٢٠

قال رحمه الله :

الطويل

نَظَرْتُ الى هذا الوجودِ فلم أَجِدْ
بـه غيرَ كذّابٍ مُراءٍ مُخادعِ
ومَسخرةٍ نالَ المعالي بسُخْفِه
قد اعتادَ صكاً في القَفا والأَخادعِ

[٩٤]

وجَمّاعةٍ للمالِ قد باعَ دينَه
بنَزْرٍ من الدُنيا كثيرِ المطامعِ
وذي عَرْشَةٍ مُستأذبٍ مُتتَمّسٍ
جهولٍ تعاطَى الكِبْرَ في زِيٍّ خاشعِ
وأمّا الذي يقفُو شريعةَ أحمدٍ
فأقلِلْ بهِ من صادقِ الدينِ صادعِ

١٢١

وقال رحمه الله يصف ضعف بصره :

الطويل

أرَى بصرِي قد قلَّ إذْ صِرتُ مُبتلىً
بدائرةٍ منها لوجهي براقِعُ

ثلاثةُ أَلْوانٍ فأبيضُ أمهَقٌ
وأسودُ غِربيبٌ وأصفرُ فاقعُ
وكنتُ أرَى الخطَّ الدقيقَ إذا بَدا
ظلامٌ ولَحظي باهرُ النورِ باقِعُ
فصِرْتُ أرَى مالا أنيسَ لمقلتي
كأنَّ الديارَ الآهلاتِ بلاقِعُ
وجرَّعْتُ شهْداً يومَ لا لي لذةٌ
وقدْماً سُقيتُ السمَّ والسَّمُّ ناقِعُ
سأَصْبِرُ للأَمْرِ الذي جاءَ ناظِري
وأعلمُ أنْ ما قَدَّرَ اللهُ واقِعُ
ومَن مزّقت أيدي النوائبِ حالَهُ
يكون له من رحمةِ اللهِ واقِعُ
ومن كان مسروراً بموقعِ زلةٍ
تكونُ له بالسُّوءِ منها مواقِعُ
ومَنْ لم يُرَعْ يوماً لخَطْبٍ أصابَهُ
تُصِبْهُ على مَرِّ الزمانِ مَواقِعُ
وكلٌ خطيبٌ في النوائبِ مُفْحِمٍ
وهم في رخاءِ العيشِ فُصْحٌ مَساقِعُ
وعِشرةُ هذا الناسِ تقضي احتمالَهُم
على الغُبْنِ أو تجري لديهم فَراقِعُ

[٩٥]

١٢٢

وقال رضي الله عنه :

المتقارب

مَنَحْتُكَ أشرفَ ما يُمنَعُ		وسَلْتُكَ أيسرَ ما يُقنِعُ
وإنَّ الجوابَ بـ «لا» مؤيسي		ولفظُ «نَعَم» فيه لي مطمعُ
فأنعِمْ بـ «لا» أو «نَعَم» سيدي		ليسكُنَ صبٌّ لِما يَسْمَعُ
فإمّا سُلُوٌّ مُريحٌ لـه		وإمّا هوًى مؤلِمٌ مُوجِعُ
وصبرٌ الى أنْ يذوقَ الرَّدَى		ويُجزَى الحبيبَ بما يَصنعُ

١٢٣

وقال رحمه الله يرثي ابنته الكاتبة العالمة المعربة نضار :

الطويل

علَى مِثْلِ هذا الرُّزْءِ تَفْنَى المدامِعُ
وتَفْنَى الهمومُ الفادحاتِ الفواجِعُ
وتُجنَى ثِمارُ اليأْسِ من دَوْحَةِ الرَّدَى
وتُحنَى على الوَجْدِ الطويلِ الأَضالعُ
مصابٌ عرانا لا مُصاب شبيهه
فراقٌ بلا رُجعَى وذِكرَى تتابعُ
وتَقوَى مبانٍ كُنَّ بالعلم آهلَتْ
وبالذكرِ والقرآنِ فهي بلاقِعُ
فُجِعنا بما لو صُوِّرَ العقلُ كانَها
فكاملُه فيضٌ على الخَلْقِ شائِعُ

فلم يُـر الا ثاقبُ الذهــنِ ذو حِجـى
صبـورٌ على بلـواه لله خاشِـعُ
فتاةٌ غدت للشمسِ أختـاً ولم تكن
لصون ...... أو جبَتْهُ الطبائع (١)
منعمـةٌ مخـدومةٌ حـفَّ حولهـا
ولابُـدَّ كُلٌ حين تأمُـر طائـعُ
[٩٦]
يرِفُّ عليها الحسـن يَنـدى غَضارَةً
كمـا اخضَلَّ غُصنٌ في الخميلـةِ يانِـعُ
ملازمـةٌ للحِجلِ تتلـو قُرآنَهـا
بقلبٍ يَعِي والطَّـرف بالـدمعِ هامِعُ
ويبدو سناها من خَصاصِ حِجالِهـا
كما لاحَ نورُ البـدرِ والنـورُ سـاطِعُ
فما لقِيتْ بُؤْسـاً ولا فَقَدتْ غِنىً
ولا راعَها يوما من الدَّهـرِ رائعُ
وتلعبُ طـوراً بالنُّضـار وتـارةً
بِدُرٍّ طَرِيٍّ لم يُثَقِّبْهُ صـانعُ
وما أَعْمَلَتْ يومـا الى شُغْلٍ يداً
سـوى قلمٍ تثْنَى عليـه الأصابعُ

(١) كذا في الاصل .

تَخُطُّ بـه القـرآنَ والسُّنَنَ التي
أتتْ عن رسولِ اللهِ والخَطُّ بارعُ
وقد نشأت ما بين تقـوى ومُصحفٍ
فلا الذكرُ مقطوعٌ ولا الدين ضائعُ
ومـا همُّها فيما النســاءُ يرَوْنَـهُ
لبـاس وتزيـين وخـلٌ يبـاضعُ
أجَلْ همَّـها تحصيلُ أجرٍ تُعدُّهُ
ليـوم معَـادٍ أو كتابٍ تُطـالِعُ
تُطـالعُ تفسيراً ونحـواً مُلطفـاً
وفقهاً وتأريخـاً وطبّاً تُراجِـعُ
وقـد قصدتْ إكمالَ اركانِ دينِها
بحجٍّ لبيتِ اللهِ والقصـدُ نـافعُ
فحجَّت وزارت خـيرَ من وطِيءَ الثرى
نبيٌّ كريمٌ في ذَوي الجـرمِ شافعُ
ولمَّـا قضى الرحمنُ إنفاذَ حكمِـه
وكُلُّ الذي قد حُمَّ لاشكَّ واقعُ
قَضَتْ نَحْبَها شَرْخَ الشبابِ شهيدةً
ولم تكُ ممَّن في الحِمامِ تُنازِعُ
[٩٧]
ولكِن بذهـنٍ ثابتٍ قـد تَشهَّدَتْ
ثلاثـاً وفاضتْ وهي فيـهِ تُراجِـعُ

ولم تَقْضِ حتى قد رأَتْ مُستقرَّها

من العالمِ العُلْوِيِّ والروح طالعُ

وكان لها يومٌ عظيمٌ لموتِها

فأعولَ نِسوانٌ وشُقَّت مدارعُ

وكانت قد اوْصَتْ لا يُناعُ اذا قَضَتْ

فما قبلت تلك الوَصاةَ السَّوامعُ

تمشَّى سَراةُ الناسِ ظُهراً أمامها

وصلَّوا عليها والدعاءُ مُتابَعُ

وساروا أمامَ النَّعشِ حَتَّى أتَوا بِها

لمنزِلِها والقبرُ أقبحُ واسِعُ

ولما أثاروا بالمساحي بَدَا لَهُم

تُرابٌ كمثلِ الوَرسِ أصفرُ فاقِعُ

وفاحَ أريجُ المسكِ من جنَباتهِ

كأنَّ به تجرَ اللَّطائِمِ واضِعُ

أيا تربةً حلَّت نُضارُ قَرارَها

سَقاكِ من الغيثِ الهوادي الهوامعُ

١٢٤

وقال(١) عفا الله عنه :

الخفيف

سألَ البدرُ : هل تبدّى أخوهُ
قلتُ : يا بدرُ لن تطيقَ طلوعا
كيفَ يبدو وأنتَ بالليلِ بادٍ
أوَ بدْرانِ يطلُعانِ جميعا

١٢٥

وقال رحمه الله :

الكامل

ولقد بعثْتُ من الكلامِ قوافياً
تحوي من السحرِ الحلالِ بدائعا
نادتْ عصيّاً للمقالةِ صعبَها
فأجابَها سهلُ المقادةِ طائعا

[٩٨]

جوابةٌ يعْنى الرواةُ بحفظِها
فتهزُّ ذا إنشادِها والسّامِعا
وتودُّ الحاظٌ للذّةِ سمْعِها
من غيرةٍ أنْ لو خلِقْنَ مسامعا
نقرَ البلادَ فيستوي في سمْعِها
ما كان منها دانياً أو شاسِعا

(١) ذكرهما الصفدي في الوافي بالوفيات وأعيان العصر ج٧ ، وقال : « وأنشدني اجازة ومن خطه نقلت » . وذكرهما المقري في نفح الطيب ج٣ ص٣١٠ .

١٢٦

وقال يخاطب من طلب منه كتابا فبخل به عليه :

الطويل

بَخِلْتَ بِرَشْحٍ من كتابٍ مُمَزَّقٍ
وقد كنتَ تسخو بالهوامِي الهوامعِ

ودافَعْتَنِي بالردِّ اذ كنتُ سائلاً
وما كنتُ لما سلْتَنِي بالمدافعِ

أعَرْتُكَ تسهيلَ الفوائدِ بِرْهَةً
وأصبحت في الترشيحِ ظُلما مُنازِعي[1]

فلي سبقُ فضلٍ قد جُزِيْتُ بضِدِّه
ووُصْلَةِ وُدٍّ صِرْتَ فيها مُقاطِعِي

وما كنتَ تدري ما الكتابُ ؟ وإنما
وشَىٰ نحوكَ الواشي به وهو خادِعي

تُنازعني النفسُ اللجوجُ طِلابه
فقلت لها إذ أيأسَتْنِي مطامعي :

إذا شافِعي فيه غدا ليَ مانِعي
فانى باءدراكي لما عند شافعِ

* *

(١) هو تسهيل ابن مالك .

فكتب اليه ذلك المخاطب :

الطويل

أتتني أثيرَ الدينِ أبياتُك التي
أخذتَ بها قلبَ النُّهَى بالمجامعِ

تسامَتْ وسامَت ما غلا من بدائعٍ
فدانَ لها ما لم يكُن في المطامعِ

وأَبْدَيْتَ فيها حُسْنَ صنعٍ وكمْ لِما
تؤثِرهُ عندَ الوَرَى من صنائِعِ

[٩٩]

رفعت أبا حيان قدري بوضعِها
على صورةٍ لم تستبدَّ لواضعِ

ونزَّهْتُ فكري في مراتعِ فضلِها
وقد جاءَ من يلقاكَ خصبَ المرابِعِ

ولكنْ أراني الحِقدُ فيها تلوُّناً
فمِن خافضٍ قدرَ الولِيِّ ورافِعِ

لقد شانَ هذا القصدُ حسنَ انسجامِها
فاصبحَ منها نافِراً كُلُّ سامعِ

وحاولتُ ترشيحاً لما قَدْ نحوتَهُ
ولكن بذْلٍ جاءَ ضمنَ روائِعِ

وإيجابِ فضلٍ لا يُمَنُّ بمثلِهِ
وما قدرُ رُشْحٍ في الهوامي الهوامعِ

وأوجبته فضلاً مننتُ بنزره
وكم مثلُه لا مِنَّةً من صنائعي

وأوهمتُ من لم يدرِ قصدكَ أنّها
فوائدُ قد سهّلْتَها لمراجع

وسلّطتَ شيطانَ الظنونِ على امرئٍ
بريءٍ وكم خجّلتُه في مجامع

وقولُك لي - ما كنتَ تدري مُوَرِّيا -
مقالَ امرئٍ بالصدرِ للحقِ دافع

ولو كان لا يُشرى غريبَ فوائد
لكانَ عِنانا ضائعاً غيرَ ضائع

فقِفْ عندَ حدِّ العَتْبِ لا مُتَعَدِّيا
فكم جَرَّ عَتْبٌ مؤلمٌ من قوارع

١٢٧

وقال رحمه الله :

البسيط

مـا لي أراكَ الى الأغيارِ مُفتقِراً
وانتَ يا صاحِ سرُّ العالمينَ معا

نزِّهْ وجودكَ أنْ يسمو الى أحَدٍ
إلاّ الذي أوْجدَ الاشياءَ مُختَرِعا

[١٠٠]

ما شاءَ كانَ ومالا فهـو ممْتَنِعٌ
فدَعْ جَهولاً يعاني الحِرْصَ والطَّمَعـا

١٢٨

وقال ايضا :

الطويل

ورابعـةٍ شَتَّى المـذاهبِ ضمَّهم
نَدِيٌّ لاشتاتِ المسرّاتِ جامع

تشنّفُ أسماعاً بِـدُرٍّ بمثلِـهِ
تَتيهِ على سُودِ المآقي المسامع

وتَنظِمُ منثوراً من الكَلِمِ الـذي
هو الـدرُّ لكن لم يُثَقِّبْهُ صانِع

ونادَمَنا ظَبيٌ نَصَبْنـا حبَـائلاً
لـه فهـو في تلك الحبائـلِ واقـع

يُدير لنـا مـن لحظـه بابليَّـةً
ويبسُطُ أُنسـاً للذي هـو طامِع

فنهصُرُ منـهُ الغُصْنَ والغُصْنُ مائِسٌ
ونُبصِرُ منـهُ البَدْرَ والبدرُ طالع

ولولايَ أضْحَى الظبيُ للذئبِ طعمة
ولكِن حماهُ الليثُ والذئبُ جائعُ

يَوَدُّ بأنَّ الليثَ يحظَى بعُلْوِهِ
وتبقى لـه أوراكُـه والأكارعُ
فقلتُ لـه : يا ذئبُ أقصِرْ عن الرَّشا
فإنَّ الرَّشا في غابةِ الليثِ راتِعُ

١٢٩

وقال رحمه الله :

الكامل

ولقد ذَخَرْتُكَ للنوائبِ عُدَّةً
ووثِقتُ منك بألمعيٍّ أروعِ
جُبِلَتْ على حُبِّكَ روحي دَهرَها
فمحبتي طبعٌ بغيرِ تَطبُّعِ
ولقد نشرتُ ثناءكَ الأرِجَ الشَذا
لمّا طويتُ على ودادِكَ أضلعي
[١٠١]
فَهواكُمُ وسَناكُمُ ونَداكُمُ
في مُهجتي في ناظِري في مَسمعي

١٣٠

وقال رحمه الله يخاطب بعض من يتأدب :

الطويل

أيا لافِظاً بالسِّحْرِ ها أنا سامعٌ
ويا ناثراً للدُرِّ ها أنا جامعُ

لقد حزْتَ في شَرْخِ الشبابِ مَعارِفاً
وحُزْتَ مدًى للشيبِ اذ أنت نافِعُ

مُبينُ بيانٍ ليس ينفكُّ دائماً
بدائِعُهُ منه تُعتَرَى أو بدائِعُ

إذا الناسُ قد ضَنُّوا برُشْحٍ مُصَرَّدٍ
فمن بحرِهِ الطامي هَوامٍ هوامِعُ

وإنْ قَدَحُوا يوما زِناداً لفِكرةٍ
فمن فِكرةِ الواري سَوارٍ سَوارِعُ

وإمّا بَدا أو فاهَ يوماً فأعيُنٌ
اليه وأسماعٌ سَوامٍ سَوامِعُ

يروقك لفظاً أو يروعُك مَنْظَراً
فأعجِب بهِ من رائقٍ وهو رائِعُ

غدا مالِكي في الحُبِّ من هو شافِعي
فلِلّهِ مِنهُ مالكٌ ليَ شافِعُ

جميلٌ نقيُّ العِرضِ عمّا يَشينُهُ
سِوى خِلسةٍ للطَّرفِ والطَّرفُ خاشِعُ

وما إنْ يَضُرُّ البدرَ إن كنتُ ناظراً
إِليه وقَد أيأسْنَ منه المطامِعُ

وورد الشيخ العالم صدر الدين محمد بن الخطيب المعروف بابن الوكيل(١) وذلك في الحفل الشامي وكانت بينه وبين أبي حيان من قبل هذا التاريخ اجتماع ، فزاره أبو حيان في مكانه فلم يجده فكتب على الباب [١٠٢] : « حضر المملوك أبو حيان » . فانشد الشيخ صدر الدين :

الكامل

قالوا : أبو حيانَ غيرُ مُدافَعِ
ملكُ النحاة ، فقلتُ : بالاجماعِ
اسمُ الملوكِ على النقودِ وانَّني
شاهدتُ كُنيتَهُ على المِصراعِ

* *

فكتب اليه أبو حيان :

الكامل

جَمعتَ لي الخيراتُ بعدَ شَعاعِ
لمَّا دَعاني نَحو فَضْلِكَ داعِ
وفَخَرْتُ لمَّا أنْ خَررتُ مُقبِّلا
رِجلاً لها في الخيرِ أيّ مَساعِ
شاهَدتُهُ وسَمِعتُ فضلَ خطابِهِ
يا حسنَ ما نظرٍ وطيبَ سماعِ

---

(١) لابن اخيه محمد بن عبدالله ترجمة في الدرر الكامنة ج٣ ص٤٧ ، وشذرات الذهب ج٦ ص١١٨ ، وكان صدر الدين يقول عن ابن اخيه : « ابن العالم طلع جاهلا وابن الجاهل طلع عالما » .

أحيا أبا حيّان ناشرُ بِشْرِهِ
وحَبَاهُ بالإيناسِ والإمتاعِ

فَبِحُبِّ صدرِ الدينِ دنتُ تقرُّباً
للهِ في رَيْثي وفي إسراعي

هو أوحدٌ في العلمِ وِتْرٌ مالَهُ
ثانٍ وفي الإحسانِ ذو إشفاعِ

ذو همَّةٍ ملكيَّةٍ ذو شيمةٍ
ملكيَّةٍ للخيرِ فيه دواعِ

وإذا يَحُلُّ بمنزلٍ أضحى بهِ
مأوى الغريبِ ومطمحُ الأطماعِ

وإذا ترحَّلَ طاعناً أبقى بهِ
نوراً لسارٍ أو قِرىً لجياعِ

وبمَعْطَسِ الأرجاءِ من نفحاتهِ
أرجٌ يضوعُ شذاً بكلِّ بقاعِ

إنَّ الإمامةَ في العلومِ جميعِها
ثبتَتْ لهُ بالنصِّ والإجماعِ

[١٠٣]

إنَّ العلومَ رياضٌ إلا إنَّها
انفٌ وأنتَ لهنَّ أولُ راعِ

متوقّدٌ إن كانَ ذهنٌ خامداً
يقظٌ وفكرُ الشَّهمِ ذو تهجاعِ

تتوقَّفُ الأفهامُ حَسرَى دونَ ما
أدركتَ فهي لذاكَ ذاتُ نِزاعِ

حتى إذا تُلقِي لها ما فاتَها
أبصرتَ كيفَ النفثُ في الأرواعِ

ما كنتُ أدرِي مَعْ تشعُّبِ دِريتي
انَّ البراعة في شَباةِ يَراعِ

حتى رأيتُ بنانَه بيراعِه
يبدي البيانَ مُوَشَّعَ الأوضاعِ

ويشي بنفسٍ فوقَ طِرسٍ حُلَّةً
فتلوحُ شمسُ العامِ ذاتَ شعاعِ

كَلِمٌ من السِّحرِ الحلالِ تألَّفَتْ
يعبثْنَ بالألبابِ والاسماعِ

لكسَوتَني بُرْدَ الفَخارِ مُفوَّفاً
أضحت به صنعاءُ غيرَ صَناعِ

فسحبْتُه زَهواً كأنّي تُبَّعٌ
في حِميرٍ ذو المُلْكِ والتُّبَّاعِ

أظهرتَني بعدَ الخَفاء كأنني
صبحٌ بَدا أو جذوةٌ بيفاعِ

حَسْبي عُلىً بينَ الأنامِ وسؤدداً
اني من الغِلمانِ والأتباعِ

قافية الغين

١٣٢

قال عفا الله عنه :

البسيط

أَنورُ وَجْهِكَ أَمْ بَدْرُ الدُجَى بزَغا
ولـونُ خـدِّكَ أَمْ وَرْدٌ بـه صبِغـا

[١٠٤]

وريقكَ العـذْبُ أَمْ راحٌ يـذابُ بـه
مسكٌ فمن يرتشفْه قد هـذا ولغـا
وغُنـجُ عينيكَ أم سِـحرٌ تلقَّفَـه
هاروتُ فازدادَ تسليكاً بـه وطغى
ما يفعلُ السحرُ بالألبابِ ما فعلت
عيناكَ يا من لتعذيبِ الورى فرغا
مـا هـامَ قلبٌ كقلبي في محبتكم
يوما ولا بلغَ الوجدَ الذي بلغـا
بين الضلوعِ وصبواتي لسـاكنِها
سـلمٌ وبين جفوني والمنامُ وغى
فـلا سـبيلَ الى السُّلْوانِ عن قمرٍ
بـل استعيذُ اذا شـيطانه نزغـا
عجبْتُ من عقْربٍ في خدِّهِ لسَبَتْ
قلبي وما فارَقَتْ من خدِّه الصدُغا

وأرقمُ الشَّعرِ فوقَ المَتْنِ مُضْطربا
قد جاذَبَتْهُ أكُفٌّ كيفَ ما لدغا

عجائبٌ قد أتتنا من محاسنِهِ
فكلُّ قلبٍ لذيّاكَ الجمالِ صغا

١٣٣

وقال رحمه الله :

مجزوء الرجز

مَنْ ناصري من شادنٍ في هجرهِ مبالغِ
سهلِ الكلام لينِهِ صعبِ الجنى مراوغِ
حازَ علوما جمَّةً من قبلِ سنِّ البالغِ
وبعدُ فاقَ صحبَهُ في كلِّ فنٍّ نابغِ
يَرفُلُ من علومِهِ في بُردِ فضلٍ سابغِ

[١٠٥]

قد صيغَ من نورٍ فما أبدعَ صُنْعَ الصانعِ
فخَلقُهُ احسنُ من بدرٍ بليلٍ بازغِ
وخُلقُهُ ألطفُ من عذبٍ فراتٍ سائغِ
فصوغُهُ للنظم قد أعجزَ كلَّ صائغِ
شهمٌ أبيٌّ باسلٌ يدمَغُ كلَّ دامغِ
وذو حياءٍ صيِّنٍ من نزْغِ كُلِّ نازغِ

قلبيَ ملآنٌ بهِ ليس يرى بالفارغِ
ان زاغَ عن وُدّي فما وُدّي له بالزائغِ
أو راغَ عنّي جفوةً فما أنا بالرائغِ
يا حبّذا عقيربٌ بوجنتَيْهِ لادغِ
وحمرةٌ بِخَدِّهِ جاءت بغيرِ صابغِ

قافية الفاء

١٣٤

قال غفر الله له ورحمه :

الوافر

أَمُطَّلِباً رَشاداً من أناسٍ
غَدَوا وهُمُ على غِيٍّ عكوف
قد اتخذوا مجالسَ لاجتماعٍ
بأغمارٍ وهم فيه صنوف

[١٠٦]

فبعضُهُمُ اتحاديٌّ وبعضٌ
لباطنٍ أو لفلسفةٍ يَشُوف
قرامطُ يدَّعونَ لهم صلاحاً
ودِيناً والفسوقُ لهم حليف
إذا ما فَسَّروا القرآنَ قالوا
بواطنهم لها فيه كشوف
فمن علمٍ لَدُنِّيٍّ وعلمٍ
بَطِينيٍّ له سِرٌّ لطيف
وكلٌّ يُظهِرُ الاسلامَ كيداً
وخوفا ان تقتّلَهُ السيوف
يغرُّ بقولِهِ الأغمارَ حتَّى
تراهُم حولَه لهُمُ حفيف

وينهبُ مالَهم وهُمُ عبيدٌ
له ولـه الترؤُّسُ والشفوفُ

ولو علِمَ المليكُ بهم لأَفْنَى
مشايخَهم ونالتها الحتوفُ

وطهَّرَ منهمُ مِصْراً وشاماً
فَهُم نَجَسٌ تَضَمَّنَهُ الكنيفُ

ولكن ليسَ يجسُرُ ناصِحُوه
عليه إنَّهُ ملِكٌ مَخوفُ

مليكٌ بأسُه قهرَ الأعادِي
وقامَ لنا به الدينُ الحنيفُ

١٣٥

وقال رحمه الله :

الخفيف

يا بخيلاً حتى بِرَجْعِ سلامٍ
زارني من خيالِكَ الصبحَ طَيفُ

حينَ وافَى يشُقُّ جُنحَ الدياجي
قلتُ : أهلاً بزائرٍ هو ضَيفُ

كلما رُمْتُ قُربَهُ قد تناءى
واحتفاءً به بدا منهُ حَيفُ

[١٠٧]

قلت : كيفَ الخلاصُ من حبِّ ريمٍ
قد سباني وليس ينفعُ كَيفُ
بقَوامٍ قد هزَّ لي منه رمحٌ
وبطَرْفٍ قد سلَّ لي منه سَيفُ
فدموعٌ تهمي وحَرٌّ لهيبٍ
فبعيني مشتًى وبالقلبِ صيّفُ
كان زَرعي ودادُه أرتجيه
فاذا الزرعُ جاءَه منه هيّفُ
وأَراهُ فزِدْتُ فيه وِداداً
ويراني فزادني منه عيّفُ
قسماً بالمَقامِ والرُكنِ والبيت
وما ضمَّهُ ألالُ وخَيف(1)
إنَّ حُبِّي لخالصٌ ذو صفاءٍ
ومحباتُ ذا الورَى الكلِّ زيّفُ

١٣٦

وقال رحمة الله عليه : الطويل

وإنَّ مَقامَ الحبِّ عندي ساعة
لسعدِكَ ملْك الارضِ بل هو أشرَفُ
يجودُ بأُنسٍ مَعْ حديثٍ كأنَّه
جنَى النحلِ ممزوجاً به منهُ قرقَفُ

(1) ألال : اسم جبل يعرفات . (معجم البلدان) .

وَيعرِفُ أنْ قد ذُبتُ منه صَبابةً
وما عارفٌ حباً كمن ليس يعرِفُ

وتَسري الى قلبي لطائفُ أُنسِهِ
فيقوَى بذاكَ الأُنسِ من حيثُ يَضعفُ

ولم أرَ أحْلى من منادمةِ الهوَى
ولاسيَّما إنْ كان حبُّكَ يُنْصِفُ

فتَهَصُرُ من ذاكَ القوام أراكةً
وتلثمُ خَدّاً فيه وَرْدٌ مُضَعَّفُ

أرَى كلَّ من يهوَى يَحِنُّ حبيبُهُ
اليه ويُدنيهِ وبالوَصْلِ يُسْعِفُ

[١٠٨]

وقلبي أراه لم يَكُنْ قَطُّ مائلاً
لمحبوبٍ الاَّ وهو يجفُو ويَجْنَفُ

١٣٧

وقال رحمه الله تعالى : مما نظمته وانا شاب :

الطويل

لأَكْلُ الشعيرِ واقتناءُ المعارفِ
ألذُّ من السَّلوَى ولِبْسِ المطارفِ

وإنّي لَمستغْنٍ بعلمٍ جمعتُهُ
وَهيهاتَ ما يُغنِي تليدي وطارفي

١٣٨

وقال رحمه الله :

البسيط

وذِي شماطيط خافِي الحُسنِ ظاهِرُهُ
فكلُّ قلبٍ بذاكَ الحُسنِ مَشْغُوف (١)

كأنَّه قمرٌ قد حَفَّهُ قِطَعٌ
من الغَمامِ فمستورٌ ومكْشُوفُ

١٣٩

وقال عفا الله عنه :

الطويل

وأَغْيَدَ طاوِي الخَصْرِ ريَّانَ ما حَوتْ
مآزِرُهُ كالغُصنِ ينآدُ في الحَتْفِ

أقبِّلُهُ بالوَهمِ منّي ولو دَنا
اليَّ حبيبي كنتُ قبَّلْتُ بالخَطْفِ

يزيدُ على مرِّ الزمانِ ملاحةً
فكالشمس في مبدًى وكالبدرِ في نصْفِ

حبيبٌ بعيدُ الغورِ قاسٍ فؤادُهُ
ولكنَّه قد لانَ باللَّفظِ واللُّطفِ

فلا وَصْلَ إلا باختلاسةِ نظرةٍ
تزيدُ بها بلوايَ ضعْفاً على ضعفِ

---

(١) في الاصل : وذي شراميط .
يقال : ثوب شمطاط : قد تشقق وتقطع ، وصار الثوب شماطيط : اذا تقطع . قال سيبويه : لا واحد للشماطيط . (اللسان ـ شمط) .

١٤٠

وقال ايضا :

الكامل

لما رأتني مقبلاً حدرت على
شبه الهلال من الدمقس نصيفا

[١٠٩]

وتلفعت بردائها لكنها
رقت فحيت بالسلام أسيفا

وأنالت الهيمان ما شاء الهوى
قبلاً وأمراً عندنا معروفا

فكأنها غيث تجهم سحبه
للروض ثمت در فيه وكيفا

١٤١

وقال رحمه الله :

الطويل

له أينعت أيك العلوم فان ترد
جناها متى ما شاء يهم ويقطف

تنوع في الآداب يبدي معانيا
يعبر عنها بالكلام المثقف

كلام له سهل المناحي لطيفه
وقد صانه عن كلفة المتعسف

تَنَزَّهَ عن حُوشيٍّ لفظٍ ورَذلِهِ
وبُرِّيءٌ من تعقيدِهِ والتَّعجرُفِ

فما روضةٌ غنَّاءُ غبَّ سمائِها
وقد جادَها طَلٌّ بأسحمَ أوطفِ

وقد شَرِقَت يُوحٌ عليها فأشرقَتْ
بنُوَّارِها كالوَردِ تحتَ التَّسجُّفِ

فيُونِعُ منها كُلُّ ما كانَ قاحِلاً
فيَختالُ في بُردِ الشَّبابِ المُفوَّفِ

بأحسنَ ممّا قدْ وَشَتْهُ أناملٌ
لهُ في حديثِ المصطفى أو بمُصحَفِ

لهُ خُلُقٌ كالماءِ لُطفاً شَرابُهُ
غدا سائغاً للواردِ المُترَشِّفِ

جميلُ المحيّا مُستنيرٌ كأنَّما
محاسِنُهُ تُشتَقُّ من حُسْنِ يُوسُفِ

عليمٌ بأعقابِ الأُمورِ كأنَّما
يُشاهِدُها بالفكرِ من علمِ آصفِ

حليمٌ عن الجاني صَفوحٌ كأنَّما
تحلُّمُهُ يمتدُّ من حِلْمِ أَحنَفِ

وفـور فمـا أن يسـتقرَّ كأنمـا
رزانتُــه من شــامخٍ متكنَفِ
إذا ذكرتْ أوصاف أحمـد في الورى
تملْنـا كأنّـا قد ثملْنا بقرقفِ
لقـد غاص في بحـرٍ من العـلمِ زاخـرٍ
فأخـرج درّاً ينتقيـهِ ويصطفي
ومن يكُ تاجاً للمعـالي فإنّـه
يزيـن اللآلي بالثنـاءِ المُضعَفِ
ثنـاء أريجِ المسْكِ شنْف مسامعٍ
وذكْــر لأفواهٍ ومسْــك لآنفِ

١٤٢

وقال سامحه الله :

الكامل

مـا كنتُ أعلمُ قـطُّ أنَّ جمالَنـا
تلـدُ الظبّــاءَ ثقيلـةَ الأردافِ
حتّى رأيتُ ابنَ الهجينِ خفيفـه
ظبيـاً تهـادى حاملَ الأخفافِ
رشـاً حوى كلَّ المحاسنِ فاغتدى
يختـالُ في بردِ الشـبابِ الضافي
كالبـدرِ في ظلمائـه والغصنِ في
غلوائــه والـدُرِ في الأصدافِ

مُتَبَسِّمٌ عن مِسْكَةٍ مُتَبَسِّمٌ
عن لؤلؤٍ بادي السَّنا شفافِ

ظبيٌ تولَّدَ من هجينٍ عبرةً
بَشَرٌ لطيفٌ من مَحَلٍّ جافِ

لا غروَ في متولِّدٍ من صنفِهِ
إنَّ الغريبَ تخالُفُ الأصنافِ

كَذَبَ الذي زَعَمَ الطبيعةَ أثَّرتْ
هذي الطبيعةُ قد أتتْ بمنافِ

[١١١]

هي قدرةُ الخلّاقِ يفعلُ ما يشا
في خَلْقِهِ بتوافقٍ وخلافِ

دلَّتْ على أنَّ المكوِّنَ فاعلٌ
بالاختيارِ وواهبِ الألطافِ

١٤٣

وقال رحمه الله تعالى :

الهزج

تبدَّى لي من السَّجفِ كمثلِ البدرِ في النِّصفِ
رشاً قد راشَ من عينيهِ سهماً جالبَ الحتفِ
وهزَّ لنا مثقَّفَهُ قواماً ليِّنَ العطفِ
وسلَّ لنا مهنَّدَهُ حساماً فاريَ الزَّغفِ

سِلاحٌ كُلُّهنَّ غدتْ قواتِلَ بعضُها يكفي
شُغِفتُ بحُسنِ ذي غَنَجٍ رخيمِ الدَّلِّ والظَّرفِ
وما شَغَفي بنَجلاءِ العيونِ وقائمِ الانفِ
ولكن بالعيون اللُّخْصِ ذاتِ الانفِ الذُّلفِ
سباني منهمُ قَمَرٌ غريبُ الشكلِ والوَصفِ
ذؤابتُهُ تنوسُ لهُ على حِقفٍ من الرِّدفِ
كصِلٍّ إنْ دَنا أحَدٌ يُشيرُ اليه بالنَّقفِ
إذا حُلَّت غدائرُهُ اكتسى بالفاحِمِ الوَحفِ

[١١٢]

وعقربُ صدغِهِ تحمي جَنَى وردٍ من القَطْفِ
مليحٌ ظَلَّ يحرسُهُ رقيبٌ قَلَّ ما يغفي
فلا وصلٌ سوى نظرٍ بمختَلَسٍ من الطَّرفِ

١٤٤

وقال رحمه الله : رأيت شخصا في النوم وفي طرف أنفه أثر جرح وعليه لصقة فانشدت في النوم :

الطويل

ولما رآهُ الدهرُ مَلْكاً مُعَظَّماً
رَماهُ بأمرٍ فاتَّقاهُ بأنفِهِ

* *

ونظمت في اليقظة :

ولو غيرُه يُرْمَى بما كانَ قد رُمي

لولّى سريعاً واتّقاهُ بردفِهِ

كذا الباسلُ الضّرغامُ في الحربِ إنما

يُصابُ بوجهٍ لا يُصابُ بخلفِهِ

١٤٥

وقال ايضا غفر الله له :

المتقارب

أيا مَنْ سَما في الورَى قدرُهُ

وعمَّ الأنامَ بمعروفِهِ

لِساني بالشُّكرِ منطلِقٌ

فلِمَ لا تجودُ بتصحيفِهِ

أرَى اسْمي تنكَّرَ عِندكُمُ

وفازَ اسمُ غيري بتعريفِهِ

أنا علَمٌ فيه زائدتانِ

فالصرفُ يقضي بتحريفِهِ

وصعبٌ على من لهُ عادَةٌ

ويألَفُها تركُ مألوفِهِ

[١١٣]

ومَنْ مرَّ يَوْماً على ذكركم

فذكرُك يَقْضي بتشريفِهِ

١٤٦

وقال رحمه الله :

السريع

لابُدَّ للانسانِ من صورةٍ
جميلةٍ يشهدُها طرفُه

ومن حديثٍ فكِهٍ نادرٍ
يعلَقُ بالقلبِ له وصفُه

ومن أريجِ مسكٍ أو عنبرٍ
يلتذُّ بالشمِّ له أنفُه

ومن مِجَسٍّ أهيفٍ ناعمٍ
كالبدرِ في الشهرِ مَضَى نِصفُه

ومن مَذاقٍ ريقُهُ قَرقَفٌ
في مَبْسِمٍ يُسكِرُها رَشفُه

خمسٌ من اللذاتِ مَن نالها
فهو سعيدٌ كاملٌ ظَرفُه

ومَن يكُنْ مُتِّعَ دَهراً بها
فما يُبالي إنْ أتى حَتفُه

١٤٧

وقال غفر الله له :

المتقارب

إذا اختلفَ الناسُ في مَدْرَكٍ
ولم يحتملْ غير وجهي خِلافْ

فما الحقُّ فيه سوى واحدٍ
وفكّرْ لتبصرَهُ غير خافْ
وإن يحتملْ أوجهاً نطقوا
بقولين من نظرٍ غيرِ شافْ
فقد يظهرُ الحقُّ في ثالثٍ
وولاهم صادرٌ عن خرافْ
ولا تعتبرْ كثرةَ القائلين
فهمْ حمرٌ ما لها من أكافْ(١)

[١١٤]

يناقضُ بعضُهم بعضَهم
فقولهم لم يزلْ ذا اختلافْ
ولو انعموا فكرهم أنصفُوا
وكان مقالُهم ذا ائتلافْ
وإياكَ والبحثَ معْ مبتدٍ
بليدٍ يقولُ بغيرِ انتصافْ

١٤٨

وقال عفا الله عنه :

الطويل

بروحي التي زارت بليلٍ فقابلتْ
عيوناً براها السهدُ ، والأعينِ الوطْفِ(٢)

---

(١) الاكاف : برذعة الحمار .
(٢) وطف : كثر شعر حاجبه فهو أوطف .

فعاجلتها باللثم عظماً لردفِها
وعالجتُها باللين مني وباللطف

وقلْتُ أرى ورْداً بخدكِ ذابلاً
ألا فاذني باللثم فيه وبالقطف

وعطفاً تثنى ناعما ذا لُدُنَّةٍ
فما باله لا ينثني لي بالقطف

لجمّعت بدراً والنقا وأراكة
بنور المُحيّا منك والردف والعطف

ولما رأتْ ما بي وأطرب سمْعَها
نسيبي فيها قبّلتني بالخطف

فيا لك منها قُبلةً لو تمكّنتْ
لقد كان بردُ الريقِ حرَّ الحشا يطفي

وولّت فأبقتْ في فؤادي ومُقلتي
جحيما ودمعا لا يملُّ من النّطف (١)

١٤٩

وقال أيضا :

الطويل

تمتّعْ به لدْنَ المعاطفِ أهيفا
يسقيكَ من عذْبِ المراشفِ قرْقفا (٢)

---

(١) نطف الماء : سال قليلا قليلا .
(٢) القرقف : الخمر ، الماء البارد .

هو الشمس لكن ليس فيه تأنث
هو البدرُ إلا أنّه ليس أكلفا[1]

[١١٥]

تولّدَ بين التُركِ في مصرَ فاحتوى
الى لطفِه حسناً حكى فيه يوسفا
مجذِّبُ لحظٍ جاذبٌ لقلوبنا
ولينُ لفظٍ قلبُه أشبه الصفا
رياضُ جمالٍ وجهُه فلذا ترى
به نرجساً غضّاً ووَرداً مضعّفا
يحارسُه من رائدِ القطفِ أرقمٌ
من الشَعْرِ ما يهتزُّ الا لينقفا
محاسنُه تكفيه حَملَ سلاحه
ألم تر ما في القلبِ انفذ مصرفا
فمن لحظِهِ الوسنانِ سلَّ مهنّداً
ومن قدِّهِ الفينانِ هزَّ مثقّفا
نعمنا به ضمّاً وشمّاً ولم نبل
أجارَ زمانٌ مع سوانا أم انصفا
وما العيشُ إلاّ خلسةٌ من محجّبٍ
يبيحك ما تهوى عناقاً ومرشفا

(١) الكلف : السواد في الصفرة ·

١٥٠

وقال رحمه الله :

السريع

هفَ لبرقٍ بالحمَى قد هفَا
وما اختفت أسرارُه مُذْ خفَى

غَيْرانُ حتَّى مِن نَسيمِ الصَبَا
سَكرانُ لكن من لمى أهيفا

كالشَّمْسِ لكنْ إنَّما وجهُه
لفَرطِ حُسْنٍ فيه لن يكسِفا

عَرْبدَ منه طَرْفُه وهو لا
يشربُ حاشَى دينه قرقفا

لكنَّ ريّا ريقِهِ قد سَرَتْ
منه لطَرفٍ قد حكَى مرْهفا

سَقُمْتُ من سُقمٍ بأجفانِه
ما زال يعدي مُدنَفٌ مُدنفا

[١١٦]

أسْمرُ قد هزَّ لنا أسْمَراً
بنار خدٍّ منه قد ثقّفا

أثْمرَ أعْلاهُ هلالاً وقَدْ
كادَ لثِقلِ الرِّدفِ أن يَقصِفا

١٥١

وقال يخاطب الشيخ بهاء الدين بن النحاس(١) :

الطويل

لقد غِبْتَ سِتّاً بعد عشْرٍ وانَّني
لفي كُلِّ وَقْتٍ مسمعِي يَتَشَوَّفُ
إذا قالَ انسانٌ : نَعَم ، قُلتُ : شيخُنا
ومن بِلقاهُ في الدُّنا نَتَشَرَّفُ
أَلَمْ تَدْرِ أَنْ للعينِ سِرّ تطَلُّع :
يَشِفُّ على سِرِّ الضميرِ ويلطُفُ

١٥٢

وقال(٢) في املاك(٣) علي بن قاضي القضاة شمس الدين السروجي(٤) على الحجة بنت قاضي القضاة بدر الدين بن جماعة :

الطويل

هنيئاً بتأليفٍ غريبٍ نظامُهُ
لقد حارَ في أوصافِهِ نظمُ عارِفِ
غدَتْ شمسَ حُسنٍ بنتُ بدرِ سيادةٍ
تُزَفُّ لبَدْرٍ نجلِ شمسِ معارِفِ

---

(١) هو محمد بن ابراهيم المتوفى سنة ٦٩٨ هـ ، وهو شيخ أبي حيان . (بغية الوعاة ج١ ص١٣) .

(٢) في نفح الطيب ج٣ ص٣٢٦ : « قال ابن جماعة : وقال في املاك علي بن قاضي القضاة شمس الدين السروجي الحنفي ، وكان جميل الصورة ، على اختي شقيقتي فاطمة » .

(٣) الاملاك : الوليمة تصنع للعرس أو التزويج .

(٤) مرت ترجمة قاضي القضاة شمس الدين السروجي .

سميّانِ للطُّهرِ البتولِ وللرِّضا
عليٍّ ونجلا الاكرمينَ الغطارفِ (١)

فدامَ عليُّ عاليَ الجدِّ سيّداً
ولا زالَ في ظِلٍّ من العيشِ وارِفِ

١٥٣

وقال يذكر الفقيه الامير ابا زكريا يحيى بن ابي طالب بن ابي القاسم العزفي ملك سبتة :

البسيط

المُلْكُ يُحمى بملْكٍ من بَني العَزَفي
والعلمُ يحيا بيحيى الخيرِ ذي الشَّرفِ

[١١٧]

مُسْتحكِمُ الرَّأْي لا يَغتال فِكرَتَهُ
دَهَا الرجالِ ولا ينقادُ للجَنَفِ

فسبتَةَ الغربِ قد ألقتْ مَقالِدَها
اليه فاستعصمتْ بالكافلِ الأَنِفِ

من أسرةِ المُلكِ لخمٍ طالما مَنَعُوا
ذِمارَهُ بالظُّبا والذُّبَّلِ القُصُفِ

همُ الملوكُ فلا ملكٌ يقاسُ بهم
من الورَى ، أيُقاسُ الدرُّ بالصدَفِ

---

(١) كذا في الاصل ، اما في نفح الطيب : سميان للزهرا البتول ٠

إنّي وإن فاتني تقبيلُ راحتِكم
لقد بعثتُ بها مع طائرِ الصُحُفِ

اخالُ أنَّ البنانَ الرَّخصَ يلْمَسُها
وكم عليلٍ بتخييلِ الوِصالِ شفي

أرْتاحُ للقُرْبِ لكن كَمْ عوائقَ لي
من خِضْرِمٍ مزبِدٍ أو مَهْمَهٍ قُذُفِ (١)

وما ارتياحي بأنّي لم أنَلْ شَرَفا
بمصرَ بل نِلتُ فيها مُنتهى الشَّرفِ

لأرضعتني أخلافُ المنى ضَرَبا
وانشقتني زَهرَ الروضةِ الأُنُفِ

وأطْلعتني بَدْراً بينَ أنجمِها
حتّى جلَتْ بيَ عنها لبسةُ السُدُفِ

وسرَحتْ ناظِري في أوجهٍ فُسُحٍ
وأعيُنٍ لُخُصٍ وآنُفٍ ذُلُفِ

أولادُ يافثَ كم من نافِثٍ لهُمُ
بالسحرِ أغنيةً في المُغرَمِ الدَنِفِ

لكنَّ ذاكَ ارتياحٌ هاجَ ساكِنَهُ
ذِكرَى مكانٍ به نَشْئي ومؤتَلَفي

---

(١) الخضرم : البئر الكثيرة الماء ، البحر الخضم .

وقال أيضا :

الطويل

وساعةِ أُنسٍ قد قطعتُ قصيرةٍ
كرجْعَةِ طرْفٍ أو كنُغْبَةِ خائفِ (١)

[١١٨]

حوتْ مجلِساً فيه المُنى قد تجمّعت
غناءٌ لذي سمعٍ وكأسٌ لراشِفِ

وصورةُ حُسْنٍ لو تبدّت لراهبٍ
لأنستهُ ما في هيكلٍ ومَصاحفِ

غريبةُ حُسْنٍ بدْعَةٌ في جمالها
لَطيفةُ معنىً فيه كلُّ اللطائفِ

وما كنتُ أدري أنَّ للشمسِ ضَرَّةً
الى أن رأيتُ الشمسَ ذاتَ السَّوالفِ

ألا فاغرُبي شمسَ النهارِ فإننا
غَنينْا بشمسٍ نورُها غيرُ كاسِفِ

ويا بدرُكم قد شبّهوكَ بوجهها
لقد غلِطوا ما مشرقٌ مثلَ خاسفِ

ويا غُصْنُ كم تحكي إعتدالَ قوامها
حكَيْتَ ولكنْ اين ثقلُ الرّوادفِ ؟

(١) النغبة : ــ بضم النون وفتحها ــ : الجرعة .

١٥٥

وقال رحمه الله :

الطويل

هو الحسنُ حُسنُ التركِ يَسبي الورى لُطفا
ويعطِفُ سالي القلبِ نحو الهوى عطْفا

يُدِرْنَ من اللُّخْصِ السواجي مُدامةً
فللّهِ ما أحلى ، ولله ما أصفى[1]

وينصِبْنَ من هُدْبِ المآقي حبائلاً
فكم أنفسٍ أسرى لدى المُقلةِ الوطْفا

وبي قمرٌ منْهم تبدّى فاصبحتْ
منازلُه من جسمي القلبَ والطرْفا

حكَى الشمسَ وجهاً والغزالَ التفاتةً
ودِعصَ اللوى رِدْفاً وغُصنَ النَّقا عِطْفا

أبدرَ بني خاقانَ رِفقاً بعاشقٍ
براهُ الهوى حتى لقد كادَ أنْ يخفَى

وقدْ عُدتَني يوماً فعدْني بمثلِه
لعلي من الأوصابِ إنْ زُرْتَني أشفَى

[١١٩]

تداوَى أُناسٌ بالبعادِ فما شفَوا
ولا شيءَ أبْرا من وِصالٍ ولا أشفَى

---

(١) لخصت عينه : ورم ما حولها فهو ألخص وعينه لخصاء ج لخص .

وما أنسَ لا أنْسَى زيارةَ مالِكي
ألاحظُ منه البدْرَ والغُصنَ واكَشفا

هَصَرْتُ بذيّاكَ القَوامِ أَراكَةً
وافنيتُ تلكَ الراحَ من ريقِهِ رَشَفا

أيا ذهبيَّ اللونِ روحيَ ذاهبٌ
فرِفقا بهيمانٍ على الموتِ قد أشْفى

١٥٦

وقال رحمه الله تعالى :

الرمل

وَبروحي شادنٌ مسكَنُهُ
مُقْلَةٌ تهمِي وقلبٌ يَجِفْ

قَمريُّ الوجهِ نوريُّ السَنا
لو رآهُ هامَ فيه يُوسُفْ

غُصْنُ بانٍ تحتَهُ دعصُ نقاً
فَوَقَهُ شمسٌ ولا تنكسِفْ

عينُه صادٌ ونونٌ حاجبٌ
صُدْغُهُ واوٌ وقدٌّ ألِفْ

عجباً في الواوِ لا تعطفُهُ
وهي وسطَ خدِّهِ تنعطِفْ

بانَ عذري في عذارٍ حلَّ في
وردةٍ في الخدِّ ما تُقْتَطَفْ

فترَى أخضـرَ في أحمرَ في
أبيضٍ تحميـه سُـودٌ وُطُفُ
إنْ تكُ الأَضْـدادُ فيه اتَّفقتْ
فعلَينـا بالهـوَى تختلِـفُ
مَن نصيري من غزالٍ غزِلٍ
عن هواهُ الدهرَ لا أنصرِفُ
قـد كتمتُ عنه حبّي زمنـاً
وهـو لاشكَّ بحبّي يعرِفُ

[١٢٠]

يـا شقيقَ النفسِ بل مالِكَهـا
لـك بالـرِّقِّ أنـا معتـرِفُ
كلَّمـا كلَّفتُ قلبي عنكُـم
صـبْـرَهُ ، زادَ بقلبي الكَلَفُ

١٥٧

وقال عفا الله عنه :

البسيط

أَيـا قَضيبَ نقاً من فوقـه قَمَـرٌ
متى أَراكَ الى المُشتاقِ تنعطِفُ
يا واحدَ الحُسنِ هل من ناصرٍ لفتىً
أَذابَهُ المُقلِقانِ : السُّهدُ والدَنَفُ

سباهُ منك عِذارٌ أخضرٌ فَصَبا

وهاجَهُ الفاتِنانِ : الدَّلُ والهيَفُ

متيَّمٌ لم يزَل بالحسنِ مفتتَنا

أصابه الساحرانِ : الغُنْجُ والوَطَفُ

يا عاذِلي كُفَّ عنّي أو فَزِدْ عَذَلاً

اني فُتِنتُ بمن في وجهِهِ كَلَفُ

الوجهُ مَعْ مُهجَتِي إذ بانَ متَّفِقٌ

والنومُ مع مُقلَتِي مُذْ غابَ مُخْتَلِفُ

١٥٨

وقال عفا الله عنه :

الطويل

حكَى من أُحِبُّ المسكَ لوناً ونَفْحةً

لذلك أضْحَى وهو فينا مُشَرَّفُ

وقد لَبِسَتْ بُرْداً سَوادَ قُلوبِنا

ألمْ ترَهَا أَضْحَتْ عليَها تُرفْرِفُ

ومالَت إليها العينُ إذْ هيَ شِبْهُها

فليس لها عنها مدَى الدهرِ مَصْرِفُ

١٥٩

وقال : كتب الي الوزير الفاضل أبو عبدالله محمد بن أبي القاسم الرندي بالقاهرة قدم علينا حاجا [١٢١] :

البسيط

ماذا ترى يا أبا حيانَ في دَنِفٍ
صبٍّ لِلُقياكَ ذي شوقٍ وذي كَلَفِ
مستشرفٍ طمَحاً من صفوِ ودِّكُمُ
الى أمانيَّ فيها منتهى الشرفِ

* *

فكتب اليه أبو حيان تحت خطه :

البسيط

أرى بأنيَ آتٍ نحوَ خدمتكم
سَعياً على الرأسِ كي أختصَّ بالشرفِ
أنا العليلُ وما يشفي الغليلَ سوى
لُقيا الحكيمِ ففيهِ البرءُ من دَنَفِ

قافية القاف

١٦٠

قال رحمه الله تعالى :

المنسرح

عَلِقْتُهُ شادناً أخا صِغَرٍ
بُنَيَّ عِزٍّ مُدَلَّلاً نَزِقا

غِرّاً صغيراً إذا شكوتُ له
احمرَ وجهاً ورقّدَ الحدَقا

فأبصرُ الشمسَ كَلّلَت شَفَقاً
وانظرُ الظبيَ مُتْلِعاً عُنُقا

ظبيَ كِناسٍ ظباهُ قد فَتَكت
شمسَ ضُحاءٍ على قضيبِ نَقا

لقد رماني بسهم أعيُنِه
فعلّقَ القلبُ منه ما عَلِقا

وَجْداً شَديداً لو أنَّ ايسرَهُ
صادَفَ صَخراً أصمَّ لانفلَقا

أظَلُّ طولَ الزمانِ مفتكراً
أهكذا كلُّ مُغرمٍ عِشِقا

فمُهجتي والأَسى قد اجتمَعا
ومُقلتي والكرَى قد افترَقا

يا ليتَ حُبِّي وهجرَه اختلفا
وليتَ قلبي ووصلَه اتّفقا

[١٢٢]

انظُرْ تُشاهِدْ ضِدَّينِ قد جُمِعا
قلباً حريقاً ومَدْمَعاً غرِقا

لا أنثني الدهرَ عن محبّتِه
لو قُطّعَ القلبُ في الهوَى فِرقا

١٦١

وقال عفا الله عنه :

الطويل

ونُبّئْتُ مَنْ أهواهُ قيّدَ أدْهَما
صَمودا ولكن إنْ مَشَى هُوَ ناطِقُ
أيا عَجَباً هذا الحديدُ يُحِبُّهُ
على قَسْوَةٍ فيه فكيفَ الخلائِقُ

أمِن حارةِ البَرقيّةِ التاجَ بارقٌ
وناجاكَ طيفٌ في الدُّجُنّةِ طارِقُ
تَشوقُكَ رؤياها فهل أنت ناظرٌ
ويعبقُ ريّاها فهل أنْتَ ناشِقُ
مَطالعُ أقمارٍ وغابُ ضراغِمٍ
تُشَدُّ على الحرصانِ منها المناطِقُ

ومَسرحُ غِزلانٍ ومسرى أهلَّـةٍ
لهنَّ مراعٍ في الحشا ومشـارِق
تجرّ قدودُ العينِ فيها ذوابلاً
وتجري خيولٌ للتصابي سَـوابِق

تملّكني بالحارةِ الأحْورُ الـذي
غدا ساكِناً بالقلبِ والقلبُ خافِق
غزالٌ رخيمُ الدَّلِّ أحْوَرُ أهْيفٌ
غريبُ جمالٍ فائِقُ الحُسنِ رائِق
كأنَّ من البِلَّوْرِ قد صيغَ جِيْدُهُ
وقد صُبِغت من وَجنتيهِ الشَّقائِق
ومن لَـدْنِ عِطْفَيهِ وسَهْمِ لِحاظِهِ
يَهِفُ الى قتلي رشيقٌ وراشِـق
ومن دمِ قلبي في تورُّدِ خدِّهِ
ولاعجِ أشَواقي شهيدٌ وسائِق

[١٢٣]

مليحٌ مَصونُ الحسنِ عما يَشينُهُ
وقد زانَ حُسنَ الخَلْقِ منه الخلائِق
ولي زمنٌ أهواهُ والقلبُ كاتِمٌ
فهل هو يَدري أنني فيه عاشِق

وَلا وَصْلَ مِنْهُ غيرِ خِلْسَةَ ناظِرٍ
أُسارِقُهُ إِنْ لاحَ فيمن يُسارِقِ
لِساني كَتومٌ للهَوى وجوارِحي
بِحُبِّ الذي قد حلَّ فيها نَواطِقُ
ولم أَنْسَهُ إِذ قال يوماً مُجاوِباً
لمن قال : هذا الحسنُ مولايَ فائقُ
لأحسنُ شيءٍ فيَّ عيناي إنها
سِهامٌ روامٍ للقلوبِ روامِقُ
أيا مَلِكَ الأتراكِ إِنَ قلوبَنا
اليكَ صَوادٍ في هواكَ صوادِقُ
فمُنَّ عليها وانْقَعَنَّ غَليلَها
بوصلٍ فإنَّ الوصلَ للهجرِ ماحِقُ
تَلافَ تَلافَ العاشِقين فإنَّهم
لهم أنْفسٌ ذابَتْ ودَمْعٌ يُسابِقُ

١٦٢

وقال رحمه الله :

السريع

وأسْمرٌ قابَلَهُ أَسْمَرُ
كِلاهُما قلبي به عُلِّقا
لاحا هِلالَيْنِ ، وفاحا لَنا
مِسْكَيْنِ واهتزّا قَضيبَيْ نَقا

١٦٣

وقال(١) يخاطب الشيخ بهاءالدين بن النحاس(٢) وقد أغب زيارته :

الطويل

أَعَيْنَ حياتي والذي بِبَقائِهِ
بقائي لقد أصبحتُ نحوكَ شيِّقا
أقمتَ بقلبي غيرَ أنَّ لمقلتي
برؤيتكَ الحظَّ الذي يُذهِبُ الشّقا

[١٢٤]

وما كانَ ظَنّي أنّكَ الدهرَ تارِكي
ولو أنني أصبحتُ بينَ الورى لَقا(٣)
لطائفُ مَعْنىً في العِيانِ ولم تكن
لتدركَ الا بالتَّزاوُرِ واللّقا

١٦٤

وقال يخاطب من وعده بان يرد عليه كتاب سيبويه ومطله :

البسيط

مَضَتْ أسابيعُ للوعدِ الذي سبقا
واصبحَ القلبُ من إنجازِهِ فَرِقا

---

(١) ذكرها المقري في نفح الطيب ج٣ ص٣٢٦ ٠

(٢) هو محمد بن ابراهيم بن محمد بهاءالدين بن النحاس الحلبي النحوي شيخ الديار المصرية في علم اللسان ٠ ولد في جمادى الآخرة سنة ٦٢٧هـ ومات يوم الثلاثاء سابع جمادى الآخرة سنة ٦٩٨هـ ٠ قال أبو حيان ــ وهو من تلامذته :ــ « كان هو والشيخ محيي الدين المازوني شيخي الديار المصرية ، ولم ألق أحدا أكثر سماعا منه لكتب الادب » ٠ (بغية الوعاة ج١ ص ١٣) ٠

(٣) اللقا :الشيء الملقى لهوانه ٠

فهل كتاب أبي بشر يُبشّرُنا
فنقضيَ القصدَ منه كيفَ ما اتفقا(١)
يا أحسنَ الناسِ في خَلْقٍ وفي خُلُقٍ
خُصصْتَ بالاحسنَينِ الخَلْقَ والخُلقا
طلعتَ بدراً بآفاقِ السُّعودِ على
هذا الانامِ فجلّى نورك الغسقا
وقُمْتَ بالعدلِ في وَقْتٍ لقَدْ قعَدَت
فيه الرجالُ فأوضَحتَ الهُدى طُرُقا
إنَّ المناصبَ قد ألقَتْ مقالدَها
الى عُلاكَ فلاقَت سَيِّداً نَطِقا
وكلُّ ما صِرْتَ فيه فهو دُونكُم
ونحنُ نرجو مزيدَ الخيرِ مُتَسِقا
لأنتَ أكرم مَنْ يُرجَى لمُعْضِلَةٍ
ما البحرُ ملتطما ما الغيثُ مندفقا
وليس جودُكَ مقصوراً على أحَدٍ
بل أنتَ كالغيثِ عَمَّ التُرب والزَّلَقا
إنَّ الجميلَ إذا يُسْدَى لشاكِرِهِ
ينمو ثناءً وعَرفاً عاطِراً عَبِقا

(١) أبو بشر هو سيبويه صاحب الكتاب .

وقال يصف متنزها خرج اليه مع ناس من أصحابه وتخلص فيها الى مدح بعض أصحابه الفضلاء الادباء [١٢٥] :

الطويل

وَيَوْماً قَطَعْنَاه سُروراً ولَذَّةً
نُجاذِبُ أَطْرافَ الحديثِ المُنمَقِ

ندامَى وفاءٍ لا جَفَاءَ لديهُمُ
مكارِمُهم خَلقٌ بغيرِ تخَلقِ

قد ارتضَعوا كأسَ الوفاقِ فلا ترَى
خِلافا لديهم في فَعالٍ ومَنْطِقِ

صفَفْنا حوالَي بِرْكَةٍ راق ماؤها
ورَقَّ كاخلاقٍ لنا لم ترَنّقِ

سَبَحْنا بها عوما فغارَتْ لِسبحِنا
اِوَزٌ ففاتتنا تَصيحُ وتَلتقِي

وناعورةٌ تحكي بطولِ بُكائها
ورَنَّتِها صبّاً كثيرَ التَشَوُّقِ

لئِنْ ضاقَ منها الجفنُ من عَبَراتِها
فأضلاعُها عن دَمعِها لم تُضَيَّقِ

بكَتْ فأرَتْنا الدهرَ يَضحكُ اذ بكَتْ
وناحَتْ فأزْرَتْ بالحَمامِ المَطوَّقِ

وقد ضمّنا وَسْطَ الرياضِ مُكَعَّبٌ
كطوقٍ بجيدٍ أو كتاجٍ بمِفرقِ
تطالِعُنا الشمسُ المنيرةُ لحظَها
مسارقةً مِنها تَطلُّع شيِّقِ
وتُلقِي علينا من شبابيك نورها
شُعاعاً يحاكي نَقْشَ بُرْدٍ منمَّقِ
إذا ما التقى بالماء منها شُعاعُها
تألّقَ بالحيطانِ أيَّ تألُّقِ
فيرقُصُ منها الظلُّ في جُدراتها
إذا الماءُ أضحَى بالصبا ذا ترقرُقِ
وغابتْ فباتَ البدرُ يحرُسُنا لها
رقيباً علينا من حَذارِ التفرُّقِ
لئِن جُذِبَتْ قَسْراً الى نحو مَغرِبٍ
فعمّا قليلٍ سوفَ تبدو بمشرِقِ

[١٢٦]

فيا عجباً للنيِّرين تَشوُّقا
الينا ومن نَهواهُ لم يَتَشَوَّقِ
ولا عَجَبٌ والشَّكْلُ يَشتاقُ شكلَهُ
ويُضحِي به وَجْداً شَديدَ التعلُّقِ

لنا مجلسٌ فيه نَدامى كأنما
سُقُوا بكؤوسِ الوِدِّ غيرِ المُرَنّقِ
كَواكبُ أضْحَى في الأثير مقرُّها
وللشرفِ الأعلَى تَسيرُ وترتقي
إذا نفحةٌ قُدْسِيّةٌ شَرَفيّةٌ
تَهبُّ شَمَمنا عرْفَ مِسكٍ مُفتّقِ
ومَهْما تنازَعْنا كؤوسَ حديثِها
سَكِرنا بأشهَى مِن رحيقٍ مُعتّقِ
محادثةٌ تَسبي العقولَ وصورةٌ
تمامٌ فَبُغيا سامعٍ أو مُحدّقِ
حوَى شرفُ الدينِ المكارمَ كلَّها
فقُلْ ماتَشا فيه من الخيرِ تَصدُقِ
لقد جُبِلَتْ منه السَّجايا على فتىً
أمَدَّ بإحسانٍ وأَوفَى بموثِقِ
يُقيِّدُ آمالاً بمالٍ مُسَرَّحٍ
ويجمعُ خِلاّنا بجُودٍ مُفرِّقِ
ويُشفِقُ أن يلقَى صديقاً مُعاتِبا
وليسَ على جمعٍ لِمالٍ بِمُشفقِ
يَزيدُ على الإقلالِ منه سماحةً
ويُغضي حياءً عن سَفاهةِ أخرقِ

فليس الذي يؤذي عِداهُ بمنجحٍ
لديه ولا باغي جَداهُ بمخفقِ
ونِسبتُه للقُدسِ أيةُ نسبةٍ
تَدُلّ على التطهيرِ من كلّ موبِقِ
إمامتُهُ في العلمِ ثابتةٌ لنا
بنصٍّ وإجماعٍ ورأيِ المُدقّقِ

[١٢٧]

تُناجيهِ نفسٌ بالعلومِ وغيرُهُ
يلوذُ بتجميعِ الكلامِ المُلفّقِ
وقد نُقِشَتْ كلُّ العلومِ بِصَدرِهِ
فأكرِمْ بِحَبْرٍ نيّرِ النفسِ مُشْرِقِ
وقابَلَ منها الجِنْسُ مرآةُ عقلِهِ
فمثّلَ فيها كُلَّ نوعٍ محقّقِ
بديهتُهُ أعيَتْ رَوِيّةَ غيرِهِ
وفكرتُهُ قد أعجَزَتْ كُلَّ مُفْلِقِ
بنانٌ بِهِ يبدو البيانُ مُوشَّعا
بمُظْلِمِ نقشٍ وَسْطَ نَيّرِ مُهْرَقِ
بنظمٍ كزُهرٍ في المجرةِ سُبّحٍ
ونثرٍ كزَهرٍ غِبَّ أو كفٍ مُغْدِقِ
وذِهنٍ كأنّ النارَ منه توقّدت
فلولا نَداهُ كان من يَدْنُ يُحْرَقِ

وجُـودٍ كأنَّ السُّحْبَ منه تعلَّمَتْ
فلولا ذكاءُ كان مَنْ يَغطَ يَغرَقِ

رَسـا فكأنَّ الطَّوْدَ يحكي ثباتَهُ
همىَ فكأنَّ الجـودَ بالبحرِ مُلْتقِ

إذا عَصَتِ النـاس القـوافي فإنهـا
تُطـاوِعهُ فيمـا يَشـاءُ فينتقي

وإن راجعَ الناسُ الدفاترَ لـم يكن
يُراجعُ الا فِكـرهُ ذا التـدفّـقِ

وإن اصلدُوا يومـا زِنـاداً فانّــهُ
ليُوري بها نـارَ الذّكـاءِ المُحرّقِ

فـلا مُشْكلٌ إلاَّ بدا غيرَ مُشْكِلٍ
ولا مُغلَقٌ الا غدا غير مُغْلَــقِ

فصيحُ مَقالٍ حين يخرَسُ قَسُّـهُمْ
فسـيحُ مجالٍ إن يَحِلُّوا بمأزِقِ

يُسهّلُ مـا قـد كانَ حزْنـا وطالَمـا
أَجَدَّتْ لنـا آدابُهُ كلَّ مُخلَـقِ

[١٢٨]

إذا تُليَتْ في الناسِ آيُ محمـدٍ
ترى كلَّ ذي سمْعٍ متى يُصْغِ يُطْرِقِ

ويأتي من النَّظْمِ البديعِ بمعجزٍ
يَطيح لديه نظم كُلَّ مخرّقِ
وكانَ ابنُ موسانا عليٌّ مؤيداً
أتى بشذورٍ لحْنَ كالجوهرِ النقي
وأبدعها في العالمينَ فرائداً
جمعنَ الى الابداعِ حسنَ التأنقِ
وكانَ بها نقصٌ فجاءَ مكمِّلاً
لذاكَ ابنُ موسى بالكلامِ المطبَّقِ
تشابَهَ نظماً إذ حكاه كأنه
جريرٌ وقد بارى نِظامَ الفرزدقِ
فإنْ لا يكُنهُ فهو لاشكَّ صِنوُهُ
لقِي في هوى ليلى كمثلِ الذي لَقِي
أقاما لها في الذهنِ أبدعَ صورةٍ
لطيفةَ معنىً رائقِ اللفظِ مونقِ
وقد حجباها ضِنَّةً أن ينالها
فتىً غيرُ أهلٍ للندى والتصدّقِ
وكم أرقا فيها التذاذاً وأرّقا
ومن يَعشقَنْ ليلى يُؤرّق ويأرقِ
وما ادّعيا فيها ولكن كلاهما
سُقي من هوىً ليلاً براحٍ مورّقِ

فراقَ لها وَقْتٌ وقد لاحَ نورُها
من اندلسٍ للقدسِ تَسري وترتقي
لقد بطَنَ الأمرُ الذي هو ظاهرٌ
لليلى فأصبَحَتْ ذا السعادةِ والشقي
فكم مُعْسِرٍ قدْ آيستَهُ ولم يصلْ
وكم مذهَبٍ قد فلَسَتَهُ ومورِقِ
رأى قمراً قد صارَ شمساً فغرَّهُ
تنقُّلُ لونٍ في صفاءٍ ورونقِ

[١٢٩]

وما ذاكَ إلاَّ حُمْرةُ الخجلِ التي
تزولُ على قُرْبٍ بسيرٍ ومَيْلَقِ
وما أنا في ليلى ولا ابني ولا ابنُهُ
نظيرُ عليٍّ أو محمدٍ التَقِيِّ
عليٌّ له شِبْهٌ بخُلق محمدٍ
أخُوْهُ بلاشكٍّ سُقِي فضلَ ما سُقِي
وإنَّ علياً من محمدٍ الرضيِّ
كهارونَ من موسىَ حديث المنطَقِ
وكم من يدٍ بيضاءَ جاءَ لنا بها
فأغنَى ابنُ موسىَ كلَّ أغبرَ مُملِقِ

أيا دوحةَ الفَضْلِ التي طابَ أصلُهـا
ومدَّتْ علينا ظِـلَّ فَيْنانِ مورِقِ
لقـد عـمَّ منك الجودُ ناساً وخصَّني
فها أنـا عن تقييدهِ غيرُ مُطلَقِ
يظُنُّ الأُلَى قَدْ عاصروكَ بأنَّهم
حكَوْكَ لقد خابَت ظنونُ المُصدِّقِ
ومـا ثمدٌ بادي الحَصاةِ بمُشْبِهٍ
لِبَحرٍ زَخُورٍ بالمعارفِ مُتأَقِ[1]
فذاكَ دَعِيٌّ في المعارفِ جاهِلٌ
وذو نسبٍ بينَ الأفاضلِ مُلْصَقِ
يرى البُخْلَ مَدْحاً والترافُعَ رِفعَةً
فاحسِنْ به من أشدَقٍ مُتَفَيْهِقِ
أما لاحظُوا منكَ التواضُعَ شيمةً
وسُحْبَ النَّدَى كالعارضِ المُتألِّقِ
ورَدْتَ النَّـدَى زُرْقَ الحمامِ وحلَّقوا
عليه وما ذو الوِرْدِ مثلَ المُحلِّقِ
فخُذْ من نَصيرٍ مِدْحَةً في محمَّدٍ
ودَعْ قولَ أعْشَى في جفانِ المُحلِّقِ[2]

---

(١) تئق الاناء : امتلأ ·

(٢) اشارة الى قول الاعشى :

تشب لمقـرورين يصطليانها وبات على النار الندى والمحلق

(ديوان الاعشى ص ١٢٠) ·

أَنَفْتُ على صحبي بمَدْحِي لكم وقَدْ
أنِفْتُ لهم عن مَدحٍ كُلِّ مُرهَقِ

[١٣٠]

أتتني المعاني العُقمُ والكَلِمُ العلى
وجاشت بصدري فَيلَقاً بعد فَيلَقِ

ففكَّرتُ وَهْناً أيّها أنا ناظِمٌ
وسامرتُها اختارُ منها وأنتقِي
أجانِبُ وَحْشِيّاً كثيفاً سماعُهُ
وأجنبُ إنْسِيّاً لَطيفَ التَرفّقِ

إذا ما مضَى بيتٌ تَلاهُ نظيرُهُ
سَريعا وإن لم أدْعُ آخرَ يَلْحَقِ

فلا الفِكْرُ مكدودٌ ولا الشعرُ غامِضٌ
ولكنّهُ كالبحرِ إن يطمُ يَفْهَقِ

كأنَّ القوافِي قد علِمنَ بمَن لَهُ
يُنَظِّمنَ فانثالتْ ومَن يَقْوَ يَسْبقِ

بَرَزْنَ لنا دُرّاً نثيراً وإنّما
يَزِينُ اللآلي النظْمُ بَعْدَ التفرّقِ
أجَدْتُ نظامَ الشعرِ حتى كأنني
لجودته من بحرِ عِلمكَ استقِي

وما جادَ هذا النُطقُ الا لأَنَّهُ
تضمَّنَ أوصافَ الجَوادِ المُنطَقِ
واني واهدائي لك النظمَ كالذي
يجيءُ برَشحٍ نحو ذا ماءٍ مغرّقِ
بروعي أَضحَى روحُ قُدْسِكَ نافثا
وبالروح مني نحو علياكَ قد رقي
لحا اللهُ دهراً لم ينَلْ فيه فاضلٌ
من الخير الاَّ فضلَ عيشٍ مُرمَّقِ
زمانٌ به يطفو الأسافلُ مثلما
به يرسبُ الأَعْلَوْنَ أهلُ التحقُّقِ
وما زالَ دستُ المُلكِ نَحوكَ شيِّقا
وتُكسَى مساوي كلِّ أَنْوكٍ مُطبِقِ
أمثلك تَعْرَى من محاسنهِ العُلَى
وحقٌّ لهُ من يَعْدَمِ الكفو يسبِقِ
[١٣١]
أما انه لو كنتَ كاتبَ سرِّهِ
لأصبحَ ذا وشيٍ بديعٍ مُحقَّقِ
وعبَّرَ عن فحواه أفصحُ عالمٍ
بموجزِ لفظٍ أو بمُسْهَبِ منْطِقِ

تأخْرتَ عن تَطلابِ ذاكَ تَقدُّما
سَعدتَ به إذ كان غيرُكَ قد شَقِي
وما العِزُّ إلاَّ في الفراغِ عن الدُّنى
وما الذُلُّ الا في التَساوِي بآخَرِ

١٦٦

وقال رحمه الله : الطويل

وتفاحةٍ تحوي ثَلاثَ شَمائِلٍ
أَتتنيَ من رِيمٍ بسهميه راشِقِ
فحُمرةُ خَدَّيهِ وخَمرةُ ريقهِ
ورائحةٌ كالمِسْكِ فاحَ لناشِقِ
بَدَت عَجَباً فيها احمرارٌ وصَفرةٌ
كخجلةِ مَعْشُوقٍ لنَظْرَةِ عاشِقِ

١٦٧

وقال(١) عفا الله عنه : الطويل

لَزِمْتُ انفرادي إذ قَطَعْتُ العلائقا
وجالَسْتُ من ذاتي الصديقَ الموافقا

---

(١) ذكر بعضها أبو حيان في تفسيره البحر المحيط ج٧ ص٨٤ ، وقال وهو يتحدث عن الزمخشري : « وهذا الرجل وان اوتي من علم القرآن أوفر حظ ، وجمع بين اختراع المعنى وبراعة اللفظ ، ففي كتابه في التفسير أشياء منتقدة . وكنت قريبا من تسطير هذه الاحرف قد نظمت قصيدا في شغل الانسان نفسه بكتاب الله واستطردت الى مدح كتاب الزمخشري فذكرت شيئا من محاسنه ، ثم نبهت على ما فيه مما يجب تجنبه . ورأيت اثبات ذلك هنا لينتفع بذلك من يقف على كتابي هذا ويتنبه على ما تضمنه من القبائح ، فقلت بعدما مدحته به : ولكنه فيه مجال ... » .

وآنَسني فكري لبُعدي عن الوَرَى

فلست الى شيءٍ سوَى العلمِ تائقا

أرَى يقظتي تُبدي لطائفَ حكمةٍ

وفي هجعتي وَهْناً أشيم البوارِقا

بوارقَ في صُحفٍ من العلمِ اجتلي

مُشاهَدَةً منها المعاني الدَقائقا

فاختالُ منها في رياضٍ أنيقةٍ

وأَقطفُ منها الزهرَ أنورَ فائقا

إذا أحْجمَتْ أذهانُ قومٍ عن الذي

يُعاطَونَ كانَ الذَهن لي فيهِ سابِقا

[١٣٢]

وإنْ يشربوا طَرْقاً لتكدير ذهنِهِم

شربتُ أنا صَفواً الى العينِ رائقا

وأَنْقُدُ ما قد بَهْرَجُوا من كلامهم

كأنَّ بذهني عندَ ذاكم مَيالِقا[1]

ومن يُؤتَ فَهماً في القُرآنِ فإنّه

يفتحُ منه بالذكاءِ المغالِقا

(١) ولق : طعن بالرمح طعنا خفيفا ، أو أسرع في سير أو كلام .

وينْشَقُ من ريّاه عَرفَ أزاهرٍ
ترَى الجوّ منها حينَ تأرج عابِقا
ويُدرِكُ بالفكرِ المُصيبِ لطائفاً
ترَى اللفظَ للمعنَى بهنّ مُطابِقا
ويزدادُ بالتّكرار فيه لَذاذةً
كَما لُكْتَ مَعْسولاً من الحُلْوِ صادِقا
مُجيري كتابُ الله يومِي وإنّهُ
هجيري إذا ما الليلُ أظلَم غاسِقا(١)
كتابٌ بلِسْنِ العُربِ أوحاه جارياً
على نهجهم لم يَعدُ عنهم طرائِقا
ومن يجعلْ القرآنَ نَصْباً لعينه
ينَلْ خيرَ مأمولٍ ويأمنْ بوائقا
أرَى الناسَ أشتاتا فبَعضٌ مُعارِضٌ
لبَعض يخالُ الحقَّ في فيهِ ناطِقا
وما افترقوا إلاَّ لعجزِ فُهومِهم
ولو أدركوا لم يُبصِروا فيه فارِقا
وإقليدُه حقاً هو النحوُ فاقصدَنْ
لتحصيلهِ إن كُنتَ للعلمِ عاشقا

(١) الغاسق : الليل اذا اشتدت ظلمته .

على قدرِ تحصيلِ الفتى فيه فَهمُه
فأَقلِلْ وأكثِرْ واصِلاً أو مُفارِقا
ودَعْ عنك تقليدَ الرجالِ فإنما
يُقلِّدُهم من كان أَنوكَ مائِقا
ولا تعدُ عن كَشَّافِ شيخٍ زَمَخْشَرٍ
وكاشِفْ بـه باغي الكراماتِ خارِقا

[١٣٣]

فكم بكرِ مَعنىً عزَّ منها افتراعُها
لهـا ذهنُه الوقّادُ أصبحَ فاتِقا
كَساها من اللفظِ البديعِ ملابساً
فجرَتْ ذُيولاً للفَخارِ سوامِقا
لقد غاصَ في بحرٍ فأبدَى جواهراً
ولولا اعتيادُ السَّبحِ قد كان غارِقا
وراضَ له في العلمِ نفساً نفيسةً
فقادَت لـه آبي المقادةِ آبِقا
وكَشَّفَ بالكشّافِ لا خابَ سعيُه
مُغَطّى خبيّاتٍ تَبدّتْ حقائِقا
ولكنّـه فيـهِ مَجالٌ لناقد
وزَلاّتُ سَوءٍ قد أخَذْنَ المخانِقا(١)

---

(١) من هنا تبدأ الابيات التي ذكرها أبو حيان في البحر المحيط .

فيثبتُ موضوعَ الأحاديثِ جاهلاً
ويعزو الى المعصومِ ما ليس لائقا
ويشتمِ أعلامَ الائمةِ ضلَّةً
ولاسيما أنْ أولجوه المضايقا
ويسهبُ في المعنى الوجيزِ دلالةً
بتكثير الفاظٍ تسمَّى الشقاشقا
يقول فيها اللهَ ما ليس قائلاً
وكانَ مُحبًا في الخطابةِ وامقا
ويخطيء في تركيبه لكلامِه
فليس لما قد ركّبوه موافقا
وينسب إبداءَ المعاني لنفسه
ليوهمَ أغماراً وإن كان سارقا[1]
ويخطيء في فهمِ القرانِ لأنَّه
يجوِّزُ إعرابا أبى أن يطابقا
وكم بين من يؤتى البيان سليقةً
وآخرَ عاناهُ فما هو لاحقا
ويحتالُ للألفاظِ حتّى يديرَها
لمذهبِ سوءٍ فيه أصبحَ مارقا
[١٣٤]

(١) رجل غمر : لم يجرب الامور .

فيا خَسْرَهُ شيخاً تَخرَّقَ صيتُهُ
مغاربَ تخريقَ الصَّبا ومشارقا[1]
لَئِنْ لم تَدارَكْهُ من اللهِ رَحْمَةٌ
لسوف يُرَى للكافرين مرافِقا

١٦٩

وقال عفا الله عنه :

البسيط

يا من يوالي علينا دائماً وَرَقا
هلا بعثتَ لنا في طيِّها وَرِقا[1]
إنْ كان أعجزَكم من فقرِكم وَرِقٌ
فليس تعجزُ ان تُهدي لنا وَرَقا
مَن كان في خدمةِ المَلْكِ الهُمامِ يكنْ
ذا هِمَّةٍ ويجدْ نحو النَّدَى طُرُقا
هذي ممازحةٌ ليست مُطالبةً
تُقضَى بِصفوِ ودادٍ لم يكن رَنِقا

١٦٨

وقال ايضا :

مجزوء الرجز

بَخِلتَ حتّى بالوَرَقْ على كئيبٍ ذي قَلَقْ

---

(١) تخرق : انتشر .

(١) الورق ـ بكسر الراء ـ الدراهم المضروبة ، وفي القرآن الكريم سورة الكهف الآية ١٩ : « فابعثوا أحدكم بورقكم هذه الى المدينة » .

بأيِّ شيءٍ جذتَ قد أمسكتَ لي بهِ الرَّمقْ
يا بدر تمٍّ قد بدا في جنحِ ليلٍ قد غسقْ
ويا غزالاً نافراً يسبي الاسودَ بالحدَقْ
ويا قضيبا مائساً قلبي به قد اعتلقْ
الطُف بمن يحلو له فيك العذاب والارَقْ
كاتمِ سرٍّ لم يفهْ يوما بكم ولا نطقْ

[١٣٥]

ما إنْ رأَيْتُ عاشقاً مثلي في الحبِّ صدَقْ
جَمعتَ ضِدَّينِ معاً ناراً وماءً قد دَفَقْ
فالقلبُ مني في حرَقْ والعينُ مني في غرَقْ
ولي على ذا أزمُنٌ سنونَ سبعٌ في نَسَقْ
أقنعُ من حدِيثكم وأنْسِكُم بما اتَّفَقْ

١٧٠

وقال رحمه الله :

الطويل

سأَلْتُ سليلَ الجودِ أَمْراً فما انْقَضَى
نهاريَ حتى صِرتُ في رَوضٍ جِلَقٍ
فأَقْطِفُ من تفاحِهِ وسفرجلٍ
جَنِيٍّ وكُمثرى لِعَيْنيَ مُونِقِ
كريمٌ متى تسألْهُ شيئاً فإنَّهُ
يجودُ ويُعطي ما تشاءُ وينتقي

وَلَو لَم تَسَلْهُ جادَ بَدْءاً فإنَّما
مكارِمُهم خَلْقٌ بغيرِ تَخَلُّقِ

بنونَ لآباءٍ كِرامٍ وسادةٍ
مَدائحُهُم تُروَى بغربٍ ومَشرِقِ

وإنَّ جلالَ الدينِ قاضي قُضاتِنا
لخيرُ إمامٍ في الفضائلِ مُعرِقِ

يعلِّمُ جُهالاً ببحثٍ مُدَقَّقٍ
ويجمعُ أمَالاً بجودٍ مفرِّقِ

وكائِنْ لَهُ عندي أيادٍي جمَّةً
بغيرِ حُلاها الدَّهرَ لم أتطرَّقِ

وكم دولةٍ صاحَبْتُها ناصريةٍ
وعاشرتُ جمعاً من رحيبٍ ومُرتَقِي

[١٣٦]

ولم يَسمحُوا يوماً بشيءٍ ولم أكُنْ
لأسأَلَ رِفداً من غَبِيٍّ مُمَخْرَقِ

الى أَنْ طَما البحرُ الخِضَمُّ فعَمَّنا
بتيّارِ جُودٍ منهُ في الفَضلِ مُغرِقِ

على بَهْجَةِ الأيّامِ منهُ جلالَةٌ
فلا زالَ في حِفظٍ من اللهِ ما بَقِي

وقال عفا الله عنه : البسيط

يـا راقِداً وتباشـيرُ الصـباحِ بدَت
عهـدي بطَرْفِكَ لا يعـدوه تأريقُ
محا ظلامَ الدُّجَى نـورُ الصباحِ وقـد
جرَى بثغرِ الأقـاحي للنّدَى رِيقُ
فالمُـزنُ تبكي وزَهْرُ الروضِ مُبتسِـمٌ
والراحُ في نَشَـتِها للـروحِ تَطرِيقُ
والغُصْنُ نشوانُ تَثنيهِ وتَعْطِفُـهُ
هبـاتُ مِسْكٍ لهـا في الجـوِّ تخريقُ
فاحلُلْ بدَيرٍ به دار السـرور على
خُمصانَةٍ صانَهـا في الحِفْظِ بطْريقُ
قد كانَ بالجانبِ الغربيِّ نشْـأتها
والآنَ قـد هاجَهُ الشرقِ تَشْريقُ
مفارِقـاً منـه ظَبيـاً في كنيسَـتِه
مُعرّضـا أن يَصِـيدَ الظبيَ سِرّيقُ
عُجماءُ يُفصِحُ بالروميِّ مَنطِقُهـا
شـمّاءُ عزٌّ نَماهـا الملكُ إفرِيقُ (١)
خطّت يـدُ الأمـرِ في تكوين صورتهـا
شـكلاً بديعـاً تناهَى فيـه توريقُ

(١) كذا في الاصل .

مــاءُ الشبيبةِ يَنــدَى من غضارَتِها
لولا التماسُكُ نالَ الجســمَ تغريقُ
كأنَّ مَبسِمَها ميــمٌ وناظِــرَها
صادٌ عليهــا لنــونِ الحُسنِ تعريقُ
[١٣٧]
والبَدْرُ من حَسَدٍ والظبيُ من كَمَــد
ذابــا فكلٌّ إليهــا منــهُ تَزريــقُ
فاشــربْ وهُنِّيتَ مــن راح وريقتِهــا
خمرَين دَنّاهمــا فوهــا وابريــقُ
تنــالُ سُكرينِ من بَردِ الرُضابِ ومن
حَرِّ المُــدامِ فتبــريدٌ وتحــريقُ
واجمعْ لــذيذَ مَسرّاتٍ بِراهِبَــةٍ
جاءَتْكَ طوعا فَحُكْمُ الدَّهــرِ تفــريقُ

١٧٢

وقال رحمه الله :

الطويل

إذا أنــا أُودِعْتُ التُــرابَ فلن تَــرَى
كمثلِيَ نحــوِيّاً أحــدَ وأحــذَقا
وأنْقَلَ أحْكاماً واكثرَ شاهِداً
والــزمَ تَنقــاداً وأحســنَ مُنتَقَى

وأَلخص لَفْظاً زالَ عنه فضولُه
وأغوص معنىً كانَ أعيى المُدقِّقا
وأَنثر للزُّهرِ اللآلي بلاغةً
وأَنظم للزُّهرِ الدَّراري تأنّقا
مَضى ليَ في التحصيلِ سبعون حِجّةً
نَهاراً ولَيلاً جامِعاً ما تفرَّقا
فأَخْرجْتُ بالبحرِ المحيطِ لآلئاً
نظمتُ به عقداً به الدهرُ طُوِّقا
حشدتُ به أقوالَ كل مُفَسِّرٍ
وأَخْرجتُ من ذهني لنَقدي مَيلقا(١)
سبرتُ به ما بَهرجُوا وانتقدتُهُ
والقيتُ ما قد كان زيغاً منمَّقا
وأَخلصتُهُ صَفْواً صَحائفَ حِكْمَةٍ
بها أُنْسُ مَن قد كانَ للحقِّ شيِّقا
وأنقَ ذا العقلِ السليمِ رآؤُهُ
ولولا انتقادِهِ لما كان مُونِقا
[١٣٨]
ولا فَخْرَ بل لله حَمديَ دائماً
وشُكري على ما كانَ لي منه وَفِّقا

(١) ولق : طعن بالرمح طعنا خفيفا ، او أسرع في سير او كلام .

ولما ذوى علمُ الكتابِ بِعَصْرِنا

تعهّدْتُهُ حتى لأصبحَ مورِقا

وقد ماتَ أشياخ الأُلى يقرؤونَهُ

وخُلِّفْتُ فرداً كان لي بعدهم بقا

فاقرأتُهُ للناسِ موضِحَ مشكِلٍ

وفاتحَ بابٍ منه قد كان مغلقا

تفرّدتُ في الدنيا باِقرائِهِ فمَن

يكُنْ يدَّعي فيه فليس مُصَدَّقا

وَجَرَّدتُ أحكامَ الكتابِ بلفظه

وترتيبِهِ فالتاجَ بَدْراً قد اشرقا[1]

فمن ينقلْ الأحكامَ منه كأنما

تُشافِهُهُ الأعرابُ معنىً ومنطِقا

سقى اللهُ قبراً سيبويهِ ثوى به

مُلِثَّ الغوادي ريقاً ثم رَيِّقا

وبَوّأهُ دارَ المقامةِ في غدٍ

بما كانَ أسدى من علومٍ وَحقّقا

وتعليقةُ الصفّارِ شرحاً يَجِلُّ ما

لهُ قد حوى لخّصْتُ تلخيصَ ذي انتِقا[2]

---

(١) هو كتابه التجريد لاحكام سيبويه .

(٢) هو كتابه الاسفار الملخص من شرح سيبويه للصفار .

وسميته الاسفارَ مع طرر حوت
مسائلَ ليستْ في سواهن تلتقى

وأحييتُ تسهيلَ الفوائد إذ غدا
مواتا طريحا بين كُتبِ الورى لقا[1]

وأوضحتُ منه مشكلاً وانتقدته
وزدتُ فأضحى نيِّر الوجه مشرقا

على حين لم يجسر على بحثه امرؤٌ
سواي ولم يقربْه غربا ومشرقا[2]

به نسختْ كتْبُ النحاة وأُهملت
فلستَ ترى يوما عليهن رونقا

[١٣٩]

لأظلم ايضاحٌ وأقصوا مقرَّبا
كذا جملٌ معْه المفصّل مزّقا[3]

وقانونُ عيسى والفصول ونظمُها
ونظمُ ابنُ مالٍ ما أردَّ وأقلقا[4]

---

(١) تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد لابن مالك ، وقد شرحه أبو حيان .
(٢) لان ابا حيان جسر الناس على قراءة مصنفات ابن مالك ورغبهم في قراءتها ولا سيما التسهيل .
(٣) المقرب كتاب ابن عصفور المتوفى سنة ٦٩٣هـ أو ٦٩٩هـ ، ولابن حيان شرح عليه سماه « تقريب المقرب » .
(٤) ابن مال : المقصود به ابن مالك صاحب الالفية ولابي حيان شرح لها .

وكافيةُ ابنِ الحاجبِ احتجبَتْ فما
تُرَى وهي نزْرٌ ما أقلَّ واغلقا(١)

وانْشأتْ للتسهيلِ شَرْحاً والارتشا
فَ نَشأً غريبَ الوضعِ بالعقلِ طُبّقا(٢)

ونَخَلتُ من شرحِ ابنِ مالكٍ الذي
وقفنا له شرحاً لطيفاً مُلفّقا(٣)

فكمَّلْتُ بالتكميلِ ما كانَ ناقصاً
فغرَّب هذا الشرحُ عنّا وشرّقا(٤)

وتذكِرتي كم قدْ حوَتْ مِن فضائلٍ
شواهدَ نحوٍ مع مسائلَ تُنتقَى(٥)

١٧٣

وقال رحمه الله :

الكامل

ولقد قنعتُ من المليحِ بأُنسِهِ
وحديثِهِ لا لثْمِهِ وعناقِهِ

(١) ابن الحاجب هو عثمان بن عمر المتوفى سنة ٦٤٦هـ صاحب الكافية والشافية (بغية الوعاة ج٢ ص ١٣٤) .
(٢) اشارة الى كتابيه « التذييل والتكميل فى شرح التسهيل » و « ارتشاف الضرب من كلام العرب » .
(٣) لابي حيان كتاب « منهج السالك فى الكلام على الفية ابن مالك » .
(٤) لابي حيان كتاب « التكميل في شرح التسهيل » .
(٥) لابي حيان كتاب « التذكرة » .

إنني إخافَ ذِكرَ ما لا تشتهي
حَذَراً على قلبي أليمَ فراقِهِ

رَشأٌ له بينَ الجوانحِ مرتعٌ
قمرٌ يفوقُ البدرَ في آفاقِهِ

نزْرُ الكلامِ حياؤه قد صانَهُ
وصلاحُهُ يحميهِ من عشّاقِهِ

حلوٌ بديعُ الحُسْنِ مَعْ خُلُقٍ رضِي
ومَكارمٍ دلَّت على أعرّاقِهِ

عيني وقلبي قُيِّدا بجمالِهِ
... ...(١)

فالعينُ تستجليه نوراً ساطعاً
والنفسُ تستحليهِ في أخلاقِهِ

[١٤٠]

١٧٤

وقال رحمه الله :

البسيط

قد فاحَ منها أريجُ المسكِ للناشقِ
وفوّقتْ عينُها سهماً لنا راشقِ

يا ويْحَ صبٍّ بعيدِ المُلتقَى عاشقْ
كأنَّما قلبُه في مِخْلَبِ الباشقِ

(١) كذا في الاصل .

١٧٥

وقال رحمه الله يرثي صدقة الطيبي(١) . ودفن يوم الثلاثاء الرابع عشر لشعبان سنة سبع وثلاثين وسبعمائة :

المنسرح

ذابَ قلبي لحادثٍ طَرَقَهْ
حين قالوا ماتَ الفتى صدَقَه
وجَرَتْ مُقلتي عليه دَماً
فهي صارت في دمعِها غَرِقه
لهفَ نفسي عليه من رجلٍ
كأنَّ ربّي من فِطنةٍ خَلَقَه
ذو ذُكاءٍ يحكي ذُكاءَ سَناً
وحياءٍ منه ندَى حَدَقه
واعتناءٍ بالنحو مشتغلٌ
لخفاياه في النُّقُول ثِقَه
حين زانَ العذارُ وجنَتَه
وكَساها رَيحانةً ورَقه
وبدا بين صحبه قمراً
وأَضاءَتْ انوارُه أُفْقَه
وغدا بين أهله علَماً
شرَّفَ اللهُ باسمهِ فِرَقَه

---

(١) في بغية الوعاة ج١ ص ٥٢٢ ترجمة للحسن بن محمد الطيبي المتوفى يوم الثلاثاء ثالث عشر من شعبان سنة ٧٤٣هـ .

جـا اليـه من ربّـه قَدَرٌ
وسـقاه حِمـامُهُ رَنِقـه
أنـا مَـعْ صاحبيـه في ألمٍ
وأسـىً والقلـوب محترِقـه
صاحَبـوني ثـلاثةٌ نَسَـقاً
في اجتهـادٍ سنينَ مُتَّسِـقه

[١٤١]

في كتابِ التسـهيلِ بحثُهمُ
أيُّ بحثٍ فيهِ غَدَوا طَبقَـه
فمَضَـى واحـدٌ لطيَّتِـه
كان في الخيرِ سالِكاً طَرُقَه
لم يؤخِّـر عن هالكٍ أجَـلٌ
إنَّ ذا عمرهُ الـذي رُزِقَـه
ان يكنْ جسمُهُ ثوَى جَدَثاً
فالى عَدْنٍ رُوحُـه سبَقَه
في نعيمٍ وفي مَقَـرٍّ علىً
بين حورٍ لهنَّ فيـه مِقَه
قدَّسَ اللهُ سِـرَّ تُربَتِـه
وسَقاهُ من سُحبِهِ غَـدقَه

قافية الكاف

١٧٦

قال عفا الله عنه :

الطويل

ولمّا رأوا حُسناً يفوقُ تخيَّلوا
سَفاهاً بأنَّ الشمسَ في الحسنِ تحكيكِ
وشكُّوا أأنتِ الشمسُ أم هيْ وشكَّكُوا
وما واجدٌ للعَقْلِ يفضي بتشكيكِ
وإنَّ جمالاً قد تنظَّمَ عِقْدُهُ
بجيدكِ يوماً لا يُرامُ بتفكيكِ
فلا تحسَبي شمسَ الضُّحاءِ إذا بدَتْ
تُعارِضُ في حسنٍ وإن هي تنكيكِ
ولكنَّها من فرطِ حُبِّكِ لو رأَتْ
لوجهِكِ بُعداً ظلَّتِ الدَّهرَ تبكيكِ

١٧٧

وقال عفا الله عنه :

الطويل

أهذا نسيمٌ قد تَهادَى من التي
سَبَتْ مُهجتي بالنَّاعسِ النَّاغشِ النَّزكِ (١)

[١٤٢]

---

(١) نغش : تحرك . النزك : الطعن بالنيزك ، والنيزك ـ بفتح الزاي ـ الرمح الصغير ، وقيل هو أقصر من الرمح .

فإنْ لا فما بالُ النَّواحي تضَمَّخَتْ
عَبيراً وجو الأُفقِ يأرَجْ بالمِسكِ

١٧٨

وقال ايضا :

مجزوء الخفيف

شمسُ حسْنٍ قد اَطْلَعَتَ قمراً لاحَ في الفلَكْ
ليسَ للأُنسِ ينتمي بل له صورةُ الملَك
ما ترَى نورَ وجههِ ساطِعاً قد جلا الحلَك
كلُّ قلبٍ لحسْنهِ في هواه قد انسلك
ملَكَ الناسَ كُلُّهم وسبَا قلبَ من ملَك
وأبُوه هوَ الذي طَرَقَ الخيرِ قد سلَك
يا فريداً محمدٌ مشبهٌ في الجمالِ لك
دَلِّلَنْهُ وكنْ لهُ مثلَ من كانَ دلَّلك
واحفِظَنْهُ وربِّه فهوَ بالشِبْهِ جمَّلك

١٧٩

وقال عفا الله عنه :

السريع

قُلْ للَّذي أهوَى على هجره
لم يخلُ قلبي ساعةً من هَواك
قد نُقِشَتْ في مُهجتي صورةٌ
صورةُ حسنٍ منك لا مِن سِواك

فإن توافق مُقلتي مُهجتي
في الرؤيةِ إستراحتا من نواك

[١٤٣]

يا مالكي ماذا التنائي ومن
هذا الذي عن زورتي قد لواك
زواكَ عني شغلٌ شاغلٌ
وقد تفطّنتُ لما قد زواك
شغلتَ بالظبي الغريرِ الذي
جاورتَه فحسنُه قد حواك
أضرمَ في قلبك نارَ الهوى
عينٌ له لخصاءُ أبدتْ جواك
وقد سرى من سقمِ أجفانه
اليكَ سقمٌ عزَّ منه دواك
وقد كوت قلبي نارُ الهوى
منك فذقْ ناراً بها قد كواك
يا دائمَ الهجرِ ألا علّلنْ
صباً بأنْ تهدي اليه سواك
عودَ أراكٍ وهو فألٌ بأن
أراكَ لي مواصلاً في هواك
ويا سلوَّ القلبِ عن حبّه
إذهبْ فقلبي دهرَهُ ما نواك

ويا فؤادي لا تني هائما
في حبه حتى تلاقي ثواك
عذبت بالحب فصار الهوى
قوتك حتى لا تبالي طواك
وقد طويت الحب لم يدره
غير الذي في حبه قد طواك
طويت يا جسمي نحولاً فقد
صرت خيالاً لا ترى من ضواك
لا تشتكي الضعف فإني امرؤ
أدريك جلداً وشديداً قواك
ويا حديثي باسم حبي فلا
كنت ولا كان الذي قد رواك

[١٤٤]

قافية اللام

١٨٠

قال عفا الله عنه :

الوافر

وعيَّنَني الوجودُ لكلِّ فَضْلٍ
أقَرَّ به المُعادِي والمُوالي
فَلَسْتُ بعاتِبٍ أبناءَ دَهرِي
ولستُ بماقتٍ جَورَ الليالي
كفاني رُتبةً أن صرتُ فَرداً
فمالي في المعالي من مِثالِ
إذا ما لُحتُ في أُفُقٍ لِناسٍ
أشارُوا بالأَصابعِ كالهِلالِ
إذا قالوا : أبو حيان هَشَّتْ
الى رؤياي افرادُ الرِّجالِ
ووَدُّوا لو أكونُ لهم نَجِيّاً
ليحْظَوا بالمعاني والمعالي
أحُلُّ لهم غوامِضَ مُشكِلاتٍ
إذا الأَفهامُ صارَت في عِقالِ
وأفْصِحُ عن معانٍ غامِضاتٍ
إذا خَرِسَ الفَصيحُ لدَى المَقالِ

وكانَ الدهرُ عُطْلاً من إمامٍ
فاضْحَى جيدُهُ بي وهو حالِ

سلكْتُ طريقةً في الشَرعِ كانَتْ
طريقَ الناسِ في الحِقَبِ الخوالي

وفارَقْتُ التَعصُّبَ في أمورٍ
فادركتُ القَصِيَّ من المَنالِ

وما أَبناءُ دهري يَعرفوني
وهل للنَّقصِ علمٌ بالكمالِ

رأَوا شبحاً يُشاكِلُهم فقاسوا
بأني مِثْلُهُمْ والفرق عالِ

[١٤٥]

ولو كانَ القياسُ يُفيدُ شيئاً
لكانَ الصخرُ من ضَرْب اللآلي

أَقَمْتُ بِمِصرِهم عشرين حَولاً
وخَمساً مُمْلِياً غُرَرَ الأَمالي

فما دَنَسْتُ آمالي بمالٍ
لهم يوماً ولا عَلِموا بحالي

سَجِيَّةُ زاهدٍ فيما لَدَيْهم
غَنِيٍّ بالعِلم عن خَولٍ ومالِ

١٨١

وقال عفا الله عنه :

الطويل

وعاش بدعوى العِلْمِ ناسٌ وما لهم
من العلم حظٌ لا بعقْلٍ ولا نقْلِ

فيا عجباً للحَبْرِ يحرم رزقه
بعلم وللأغمار ترزق بالجهلِ

١٨٢

وقال سامحه الله :

البسيط

مسْوَدُّ فَوْدِكَ بالمبيضِّ مشتعِلِ
وانتَ بالهَزْلِ وقْتَ الجدِّ مُشتغِلُ

أما اتَّعظتَ بفِعْلٍ كله خطأٌ
ألا امتعَظْتَ لقولٍ كلّه خطَلُ

ناهَزْتَ ستّين عاماً ما انتهزت الى
رُجعاكَ من فُرصةٍ يُمحى بها الزلَلُ

زلّتْ بكَ القدمُ الخُسْرَى وزالَ بها
عن الهُدَى قدم بالضدِّ يتّصِلُ

فانتَ تُسرِعُ قُدماً في الضّلال وما
يرُدُّكَ الوازعانِ الخوفُ والخجلُ

قَستَ قلوبٌ فلا ذِكرَى تُلَيِّنُها
جَفَّت جُفونٌ فما للحُزنِ تَنهمِلُ

إنَّ السـلامةَ في تركِ الأنامِ هُمُ
كالسُّمِّ كلَّ أديمٍ حلَّ ينتغِـل (١)

[١٤٦]

يَصِحُّ دينُكَ إذْ ما كُنْتَ منفرِداً
عنهم وإن ترَهُم دبَّت له العِلَلُ

وا رحمتا لِفؤادي كم أعنِّفُه
فليس يردعُهُ قولٌ ولا عمَلُ

مرَّتْ عليه دُهورٌ لا يصيخُ الى
داعي الهُدَى وله نحوَ الصِّبا ميَلُ

١٨٣

وقال عفا الله عنه :

الطويل

وعلَّقتُهُ ما اسودَّ منه سوَى المُقَلْ
ووافرِ ديجورٍ على الرِّدفِ قد أطَلْ

بقَدٍّ كأنَّ الخُوط عاطاهُ لينَهُ
ووجهٍ كأنَّ البدرَ فيه قد اكتمَل (٢)

أقَمنا زمانا وَصْلُنا لمحُ ناظرٍ
وجلسةُ أُنسٍ تَهزِمُ القلبَ بالشُّغَل

(١) نغل الاديم : فسد .
(٢) الخوط : الغصن الناعم .

فلا جـرأة منّي فاهجـم لائِمـاً
ولا رحمـة منه فيرحَم من قتَـل

ولمّـا تصاوَنـا حيـاءً وحشمَةً
وتقتُ الى التقبيلِ أوسَعتُ في الحِيَـل

وضَعتُ علـى عينيـهِ منّي أنامِـلاً
وغَمَّضتُ من عينيَّ فانساعت القبَل

رشَفتُ رُضاباً نفحةُ المسـكِ دُونَهُ
كأنَّ بـه الصَهبـاءُ شُـجَّ بهـا العسَـل

وصِـرْتُ متى أَلْثِمهُ اصنعْ بـه كـذا
فيـا لكِ منهـا حيلة تُبلِـغُ الأمَل

وطـالَ بنـا هـذا فزالَ حيـاؤُها
وصِرنا لأمرٍ لا حياءَ ولا خجـل

فعانَقْتُ من عِطفيـهِ دِعْصا وخَوْطَةً
وذَبَّلْتُ من خدَّيْـهِ وَرداً وما ذَبـل

فطوَّقتُ جيدَينـا بحَيَّـةِ شعرِهِ
إذا مـا سعت للمتن دبت الى الـكفل

[١٤٧]

تجنّبتُ مـا يختـارُ منه ذَوو الخَنا
قبيحَ فَعـالٍ يُوجِبُ المَقْتَ والزَّلَـل

فلم أَرَ مِثْلِي عاشِقاً ذا صَبابَةٍ
تمكَّنَ مما يشتهيهِ وما فعل

١٨٤

وقال رحمه الله :

الطويل

وللنفسِ آمالٌ فان ظَفَرَتْ بما
تؤمِّلُ يوماً أَنشأَتْ بعدُ امالا

تسَرُّ بشيءٍ إن تَنَلْهُ بمنقضٍ
وإن لا تنَلْهُ صارَ حُزناً وأَوجالا

وتجمع مالاً للذي هو وارثٌ
فلا أحْرَزَتْ أَجْراً ولا نعِمت بالا

١٨٥

وقال رحمه الله يصف الفيل :

الطويل

وأَدكنَ مثل الطَّوْدِ امّا سَراتُهُ
ففَيحاءُ يعلوها عديدٌ من الرجلِ

له جُثَّةٌ عُظمَى كأَنَّ إهابَهُ
صفيحُ حديدٍ لا يُخَرَّقُ بالنَّبلِ

لموحٌ بلخصاوَيْنِ كالنار اشعلَت
يرَى بهما ما كان أخفَى من النَّملِ

وَيردَى على غُلبٍ غِلاظٍ كأنَّها
عوامِدُ صَخرٍ قد غَنِيْنَ عن النَّقلِ

إذا هزَّ ما بالأَرضِ مادَت بأهلها
كأنَّ بها الزِّلزالَ من وطأةِ الثِّقلِ

سفينةُ بَرٍّ قلعها أُذْنٌ لَه
تُراوِحُ جنبيهِ فيمشي على رَسْلِ

وخُرطومُه قد قامَ فيما يرومُه
مَقامَ يدٍ في الأَخذِ والرَّمْيِ والأَكْلِ

عجِبتُ له من جِلدةٍ لانَ مسُّها
ويَقْوَى على قلعِ العظيمِ من النَّخْلِ

[١٤٨]

ويملؤُه ماءً ينخُّ به الورَى
كأنَّهم قد رشَّهم منه بالعطلِ

ويلعبُ بالأَسيافِ حتَّى كأنَّها
مَخاريقُ بالأَيدي تُخفُّ فتَستعلي

إذا ما رأى السلطانَ قدْ خرَّ باركاً
له خدمةً غرزاً بأنيابه العُصْلِ

ذكيٌّ أخو فَهْمٍ على عِظمِ جسمه
يكادُ يباري في الذَّكاءِ ذوي العقلِ

فلو صحَّ قولٌ بالتناسُخِ قُلتُ قد
سَرَتْ روحُ أرسطاطو لجُثمانهِ العَبْلِ

غريبُ بلادٍ قد تأنَّسَ بعدما
توحَّشَ دهراً في يَبابٍ وفي أهلِ

تعالى الذي أنْشاهُ شكلَ بعوضةٍ
فلا فَرْقَ إلا بالتكثُّرِ والقِلِّ

١٨٦

وقال :

الطويل

ألا أسمعْ أخي واحفَظْهُ إنْ كنتَ ذا عقلِ
كلامَ نصيحٍ فاهَ بالجدِّ لا الهزلِ

عليكَ كتابُ اللهِ والسُّنَنَ التي
تناولَها أهلُ العدالةِ في النَّقْلِ

وقُلْ : إنَّ اصحابَ الرسولِ همُ الأُلَى
بهم يُقتدَى في الدينِ بالقولِ والفعلِ

هم خيْرُ خلْقِ اللهِ بعد نبيِّهم
فليس لهم في السَّبقِ والفَضلِ من مِثْلِ

وهم آمَنوا باللهِ بَدءاً وجاهَدوا
فأفْنَوا قَبيلَ الكُفْرِ بالسَّبي والقتلِ

وهم نقلوا علمَ الشريعةِ للّذي
أتَى بعدَهم نقلاً بريئاً من الخَبلِ

فما يكُ من خَيْرٍ لمن جاءَ بعدهم
فهم لهُمُ حظٌ من الأجرِ والفَضْلِ

[١٤٩]

وأخبارُهم مَنقولةٌ بتواتُرٍ
وآحادِ النقلَ الذي صحَّ في العَقْلِ

فما مِنهُم مَن طارَ يوما ولا مَشَى
على الماءِ لا يندَى له أَخْمَصُ الرِّجلِ

ولا مُخبرٌ بالغَيْبِ لا ومُصيِّرٌ
دقيقَ حُوارَى من تُرابٍ ومن رملِ

ولا مَن دَنا نحو السماءِ بطَرْفه
لمُزْنٍ فجادت بالوَكيفِ لدَى المَحْلِ

ولا منفِقٌ بالغيبِ بيضَ دَراهمٍ
بلا ضربِ ضرّابٍ ولا معدِنٍ أصلي

ولا خاطفٌ من الهواءِ فَواكِهاً
فوَردٌ بلا شوكٍ وتمرٌ بلا نَخْلِ
دَعَوا مُعجزاتِ الانبياءِ كرامةً
لهُم وادَّعَوْها حَذْوكَ النعلَ بالنعلِ
ينالُون صيتاً في الورَى ورِياسَةً
عليهم وأموالا تُجَمَّعُ بالمِثْلِ

وزادوا على هذا محالاً وأسندوا
لأنفسهم ما لم يكن قط للرسل
فمن ذا كأن الشخص في الآن واحداً
يحل جهات من علو ومن سفل
يحدث ذا في مصر وهو محدث
لآخر في شام وآخر في حقل[1]
ويغطس في نهر لغسل فيلتقي
مدائن أقوام على الحزن والسهل
وينكح بكراً فيهم ولدت له
بنين فأضحى في بنين وفي أهل
مقيماً لديهم في سنين ممتعاً
بأبنائه والعرس مجتمع الشمل
فيخرج من ذا النهر يلقى ثيابه
على حافة النهر الذي جاء للغسل

وذا كله قد كان في بعض ساعة
غطاس وتزويج ورد بلا نسل
يسمونه طي الزمان .... كما
يكون لهم طي المكان بلا فصل[2]

(١) حقل : اسم مواقع كثيرة ذكرها ياقوت في معجم البلدان .
(٢) كذا في الاصل .

ويمشي الى الأَجْداث يُخبرُ بالذي
يكونُ بها بالاسم والوصف والشَّكلِ

ويأتي رسولُ الله مِلقْبرِ يَقظَةً
اليه فيُثنَى بالمعارفِ والفَضْلِ

ويَسري اليه السرُّ من قبرِ شَيْخه
فتضطربُ الأسرارُ في قلبه تغلِي

ويقرأُ في آنٍ لـه أَلْفَ خَتمةٍ
تُرَتِّلُها حرفاً فحَرْفاً على مَهْلِ

ويجعلُ في الاءبريقِ ماءً لشُربه
إذا هو زَيتٌ للسَّراجِ وللأَكْلِ

تدورُ رَحاهُ إن يُرِدْ طحنَ بُرِّهِ
بغيرِ مُديرٍ لا حمارٍ ولا بغْلِ

وأعمَى يَرى الافلاكَ في يقظةٍ له
مُعاينة اجناسها ابداً يُملي

فهذي رَصاصٌ ذي نُحاس وهذه
لُجينٌ وهذي عَسجدٌ نادرُ المِثلِ

وذي جوهرٌ هذي زُمُرُّدَةٌ وها
ذ ياقوتةٌ من نُورها الشمسُ تَستجلي

وفي الأَقصرِ المِعراجُ مِعراجُ يوسُفٍ
فيصعدُ للسَّبعِ الطِّباقِ ويَستَخلِي

وليس بمحتاج لجبريل لا ولا
براق ولكن رمية القوس بالنبل

يقيم بها النسوان والمرد أزمناً
غناء ورقص في شراب وفي أكل

ومكشوف جحر لا يصلي واخر
على السطح باد أيره كاد أن يدلي

[١٥١]

يزورهما أهل النهى حسبوهما
وليين فاختصوهما أحسن الفعل

ولما قضى مكشوف جحر سعى إلى
جنازته مشياً ذوو العقد والحل

على النعش يرمون المناديل ماسحي
وجوه بها شاهت وجوه ذوي الجهل

ولما قضى ذو السطح قام مشايخ
بدعوته فوق السطوح فيستعلي

وغيداء مثل البدر تبدي ديانة
وأنى يرى دين لمشقوقة القبل

فيصبغ بالحناء جبريل كفها
فيصبح منها البيت ملآن بالرجل

يزورُونَها فَوجاً ففَوجا وكَفُّها
من الجَسِّ والتقبيلِ في أعظمِ السَّفلِ

أفاضوا عليها المالَ سَكباً فاصبحت
تَحِنُّ الى خِدْنٍ وترنو الى خِلِّ

وفرَّت فلا يدرونَ أينَ توجهت
فرار غزالٍ خافَ من وَرْطَةِ الحبْلِ

فيا لكَ من ذي خِصيةٍ قد تلعَّبت
به ذاتُ شَفرين استفزَّتْ أخا جهلِ

وكم لَعِبَت بالقومِ في مَشرَعِ الهوَى
ذواتُ الخدودِ الحُمْرِ والأعيُنِ النُجلِ

طَغامٌ رُعاعٌ تابَعوا كلَّ ناعِق
جُسُومٌ بلا حِسٍّ قُلوبٌ بلا عَقلِ

١٨٧

وقال غفر الله له :

البسيط

وكاتبٍ شاعرٍ أبدَى بمُهرَقهِ
نظماً وشعراً بهِ بانَت فضائلُه

أوَدُّ لثمَ فمٍ بالدُّرِّ مَنطقُهُ
ولثمِ كفٍّ ندٍ بالدُّرِّ نائلُه

[١٥٢]

لمّا أبَى ساخري من قُبلةٍ لَهُما
قبّلتُ ما سطّرت فيه أناملُهُ

فصارَ بينَ فمي وبينَ مَبْسِمِهِ
طرسٌ كفاني من المحبوبِ واصِلُهُ

أمّا أنا فَسَقيمُ الجسمِ ناحلُهُ
ومَنْ اكتّم قاسي القلبِ باخِلُهُ

بدرٌ على غُصْنٍ، غُصنٌ على كُثُبٍ
السحرُ كاحِلُهُ والحسنُ شامِلُهُ

اني لِقبحِ مقال انت تعرِفُهُ
هجرتني وجرَى بالهجرِ قائلُهُ

أصفَرُ من فَرَق، يَربَدُ من حَنَقٍ
كأنما نحنُ مقتولٌ وقاتِلُهُ

يخافُ منّي افتضاحاً في محبّتِهِ
والزينُ يأنفُ من شَينٍ يُداخِلُهُ

وما دَرَتْ شَفتي حُبي فتذكره
حتى كأني بمَنْ أهْواهُ جاهِلُهُ

١٨٨

وقال عفا الله عنه :

البسيط

لاحَتْ لنا ولَها في ساقِها خَلْخالْ

وقد تزيَّنَ منها خدُّها بالخَـالْ (١)

لما ظَفِرْتُ بها في منزلٍ لي خَـالْ

قُلتُ : ارحَمي مُدْنَفاً قالت نَعَمْ ياخالْ (٢)

وأسفَرَتْ عن مُحَيّاً من رآه خالْ

بدراً بدا ونَضَتْ عنها بُرودَ الخَـالْ (٣)

كأنها غُصُنٌ بالروضِ من ذي خَـالْ

ولا تسَلْ ما جَرَى من ناهدٍ مبّخـالْ (٤)

١٨٩

وقال رحمه الله :

الطويل

يقـول غبي لي صديقٌ ذَخَرتُهُ

لخَطبٍ مُعينٌ لي ولـو بمقالِـهِ

[١٥٣]

ولم يعلم المسكينُ أنَّ صديقَهُ

عـدوٌّ مبينٌ زائـدٌ في نِكالِـهِ

---

(١) الخال : شامة سوداء في البدن ٠

(٢) الخال الاولى : الخالي ، والثانية الخال أخو الام ٠

(٣) اخال الاولى : ظن ، والثانية نوع من البرود ٠

(٤) خال : اسم موضع ٠ وذات الخال : اسم موضع ايضا ٠ (معجم البلدان) ٠ وفي لسان العرب « خيل » أبيات جمعت معاني الخال ٠

١٩٠

وقال غفر الله له :

الطويل

أرَى كلَّ ذي فقْرٍ حقيرٍ اذا اقتنى
تعاظمَ بالملبوسِ مع فارهِ البَغلِ
يرى أنّه قد جلَّ في أعْيُنِ الورَى
وما هو الا البغْلُ قد جلَّ بالجلِّ

١٩١

وقال ايضا :

البسيط

يا ويحَ روحي لكَم عاصيتُ عُذّالا
حتى جررْتُ الى الآثامِ أذيالا
أيامَ أصبُو الى هصْرِ القُدودِ وتف
ريكِ النُّهودِ ونَضْوِ الرُّود مِفْضالا
والدهرُ في غفَلاتٍ من تواصُلِنا
قد غضَّ طرْفاً ولم يَجْعَلْ لنا بالا
أوْقاتُنا ذهبيّاتٌ نُسَرُّ بها
كأنما أنشأَت في الدهرِ آصالا
وبي من التُّركِ مَنْ لو كنتُ اذكُرُه
لأصبحَ الدهرُ من ذكراهُ مُختالا
تَظَلُّ شمسُ الضُّحَى خجْلَى إذا بصُرَت
بهِ ويسجُدُ بدرُ الأفْقِ إجلالا

للحسن جِنسٌ ونوعٌ كانَ قد حُصِرا
في شخصِه إذ لـه لم تُلفِ أمثالا
يديرُ لَخصاءَ فيها سِكرٌ من رَمَقت
كأنَّ في اللحظِ نبّاذاً ونَبّالا
وينْثنِي خُوطَ بانٍ فوق حِقف نقاً
كأنّ في الخَصر أرماحاً وأرمالا
قد كان هذا وريعانُ الشبابِ لنا
غضٌّ وطَرفُ الصِّبا في حلبةٍ جالا
[١٥٤]
والآن أحدثَ شيبي في ضَعفَ قوًى
وأوْرثَ القلْبَ أوجاعاً وأوجالا
وصارَ مَتْنِي وصارَمْتُ الغوانيَ لا
يحفلن بي كلّها في وُدّهِ حالا
وتبتُ للهِ أرجو منهُ مغفِرةً
ورحمةً توسعُ المسكين أفضالا
فالحمدُ لله إذْ لم يأتِني أجَلي
حتى اكتسيتُ من الطاعاتِ سِربالا

وقال عفا الله عنه :

١٩٢

الكامل

وصبيٍّ جمَّالٍ كلفتُ بحبِّه
منَحَ الجمالَ ملاحةً وجمالا
يقتادُ أبْعُرَهُ له بازمَّةٍ
غُصنٌ يجرُّ بالجِبالِ جِبالا
ويطيعُهُ مع غِلظةٍ في طبعِها
اتَرَى الجمالَ يُلطِّفُ الاجمالا
فاذا امتطى جملاً تسنَّم رَبوةً
قد حُمِّلَت من رِدفهِ أثقالا
في خدِّه جمرٌ وفي لفظاته
جمرٌ يُلَذ فُكاهَةً ومقالا
واذا يناغِي ترْبَهُ فكأنما
نغمُ البلابُل هَيَّجَتْ بلْبالا
يا حُسْنَهُ شعْثاً كأنْ حلقاتُهُ
قِطَعُ الغَمامِ تكنَّفَتْهُ هِلالا

١٩٣

وقال رحمة الله عليه :

الخفيف

إنَّ للنَّفس في الكَرى أمْجالا
نشأةُ القادرِ الحكيمِ تعالى

هي نَفْسٌ إِظْلامُهـا مستمرٌ
وهـي روحٌ أَنْـوارُه تتَلالا

[١٥٥]

فَهُما واحدٌ هما اثنانِ بالوَصْـ
ـفِ نسـاءٌ في هيكَلٍ ورِجالا

أَوْدَعَ اللهُ قُوَّةَ العَقْـلِ فيها
فهـي في النـومِ تبصِـرُ الأشكالا

بينمـا المـرءُ نائمـاً في مقـرٍ
جابت الأرضَ سَهلَها والجِبالا

بـين رؤيا تجيءُ مثـلَ سَنا الصُبْـحِ
ورؤيـا أُخـرَى تجـيءُ خيَـالا

فهـي تَسـري ما بينَ عُلوٍ وسِفلٍ
وهي في الدَّنِّ لا تـرومُ إِنتقـالا

واصَلَت دَنَّهـا زمانـاً فلمـا
فارقتْـهُ كُـرهاً أبَت إِتّصـالا

وهيَ أضحت الى البَقـاءِ تسامَت
وهوَ أمسَى الى الترابِ اسـتحالا

سـيعيدُ الاءِلـهُ نَفْسـاً لجسـمٍ
عاجلاً بـين ذا وتلكَ إِتصـالا

وادّعى الفيلسوفُ وهو كَذوبٌ
أنَّ عَودَ الجسومِ صارَ مُحالا
وسَواءٌ إعادةٌ وابتداءٌ
عند ربّي والعَودُ أهونَ حالا
كلُّ ما شاءَه إلهُ البَرايا
كونَهُ فهو كائنٌ لا مَحالا
واختلافُ الأَنامِ في النفسِ جَهلٌ
لا يزيدُ البحّاثَ إلاَّ ضَلالا
هي خَلْقٌ وليس يعلمُ خَلقٌ
كُنْهَهَا إنّها عجيبٌ فعالا
وادّعى علمَه بها فلسفيٌ
بكلامٍ قد أوهمَ الجُهّالا
وادّعى أنّها قديمةُ ذاتٍ
قِدَمَ الربِّ جَلَّ ربي جَلالا
[١٥٦]

١٩٤
وكتب الى الشيخ رحمه الله بعض تلاميذه :

الوافر

أيا شَيْخَ الوُجودِ ولا أحاشِي
ويا فردَ الدهورِ ولا أبالي

وَيا مَنْ فَضْلُهُ يُرْدِي وَيُرْوِي
فتكتسب الأماني والآمالي
ويا من سَهَّلَ التسهيلَ حتّى
أنارَت منه لألاءَ اللآلي
بعثتُ اليكَ شيئاً مثلَ قدرِي
فقدركُ جلّ عن إهداءِ مالِ
به أرسلتُ حين شكوتُ وَجْداً
بمن يجفوكَ حتى في الخيالِ
ولم أبْعثْ به إلا لتغنَى
بوصلِ الحُلوِ عن حُلوِ الوِصالِ

فاجابه الشيخ رحمه الله بقوله :

الوافر

* *

أَمالِكَ مُهجتي كَمْ ذا تُوالي
عوارِفَ قد أتينَ على التّوالي
بَقِيْتُ أغُضُّ من طرفي حياءً
لما اسْدَيْتَ من كَرَمِ الخِلالِ
لقد شرَّفْتَ بالتقريظِ وضعي
وقد شنَّفْتَ سَمعِي باللآلي
فما أبْقيتَ من معنىً غريبٍ
توشِّيهِ بلفظٍ منكَ حالي

تَرَى عشقتكَ أَبْكارُ المعاني
فجئْنَكَ يبتدِرْنَ بلا سؤالِ
جديرٌ أن يَزُرْنَكَ رافلاتٍ
عَرائسُ قد بَرَزْنَ من الحِجالِ
لتكسوها محاسِنَ من علاكم
وتمنَحَنا المفاخرَ والمَعالي

[١٥٧]

حبيبَ القلبِ وُدّي من قديمٍ
صحيحٌ لا تغيِّرُهُ الليالي
وليلي مَعْ نَهاري في سُهادٍ
فليسَ النومُ يَخطرُ لي ببالي
وصورَتُكَ الجميلةُ نُصْبَ عيني
فلَسْتُ بطالبٍ زُورَ الخيالِ
لقد أَلْغَزْتُ في نظمي بسِرٍّ
تحارُ بفكِّهِ فُصحُ الرِّجالِ
ومبتدَئي لـه خبرٌ غريبٌ
ومنفصلٌ شبيهٌ باتِّصالِ

١٩٥

وقال رحمه الله تعالى :

الطويل

إِذا استَتْبَعَتْ نفسُ امرِيءٍ نفسَ غيرِه
فتلك لها عزٌ وهـذِي لها ذُلُّ

كَفَىٰ بـكَ نقْصاً أنَّ غَـيركَ حاكـمٌ
عليكَ فـلا عَقْـدٌ إليك ولا حَـلُّ

١٩٦

وقال(١) رحمه الله تعالى :

الوافر

حلبتُ الدهرَ أشـطُرَهُ زمانا
واغناني العِيانُ عن السّؤالِ

فما ابصـرتُ من خِـلٍّ وفيٍّ
ولا ألفَيْتُ مشكُورَ الخِلالِ

ذئـابٌ في ثيابٍ قد تبدَّتْ
لِرائيهـا بأشـكالِ الرِّجـالِ

ومن يكُ يدَّعي منهم صَـلاحا
فزِنديقٌ تَغَلْغَلَ في الضَّـلالِ

---

(١) ذكرها المقري في نفح الطيب ج٣ ص ٣٢٣ وقال : تعليقا على البيت الاخير : « أي اعتقد رأى القرامطة ، ومذهبهم مشهور فلا نطيل به . فظهر بما ذكر أن أبا حيان انما ينكر على أهل الدعاوى لا على غيرهم ، والله تعالى أعلم » .

تَرَى الجُهّالَ تتبَعُهُ وترضَى
مُشارَكَةً بأَهلٍ أو بمالِ

فينهبُ مالَهم ويَصيبُ منهم
نساءَهُم بمقبوحِ الفعالِ

[١٥٨]

ويأخذُ حالَه زُوراً فيرمي
عمامتَه ويهربُ في الرّمالِ

ويجرون التيوسَ وراءَ رجس
تقرمَط في العقيدةِ والمقالِ

١٩٧

وقال رحمه الله تعالى :

الطويل

أَيا ناصرَ الدينِ الذى عمَّ فَضْلُهُ
وقد شملَتْنا بالنوالِ شمائِلُهْ

تبسَّمَ هذا القطرُ إذْ أنتَ حاضِرٌ
به وجَرَى سلسالُه وجداوِلُهْ

ففي كُلِّ روضٍ منه عينٌ قريرةٌ
وفي كلِّ زهرٍ منه زهرٌ تُشاكِلُهْ

ينافِسني فيك الزّمانُ حَسادةً
إذا رُمْتُ لُقياكَ استمرّتْ شواغِلُهْ

وليَ زَمَنٌ لم أُبصِرَ السيِّدَ الذي
إذا لــم نَزُرْهُ زارنـا منـه نائِلُهْ
كريمٌ قَصدناهُ لدَفعِ مُلِمَّــةٍ
من الدهـرِ فانثالَت علينـا فَواضِلُهْ
فمن جودِهِ في كُلِّ جيـدٍ قلائِدٌ
بها يزدَهِي حُسْناً على من يطاوِلُهْ
وما الفَخْرُ إلاَّ ما يروِّضُ فكرُهُ
ولا الهَجْرُ الا مـا تَفِيضُ انامِلُهْ
وجاورَ هذا النِّيلَ نَيـلُ بنانِهِ
ورامَ مُضاهـاةً لِمَـن لا يماثِلُهْ
وأَنّى يُضاهي واحـدٌ عشـرَ أنمُلٍ
تُمَدُّ من البحرِ الخِضَمِّ نوافِلُـهْ

١٩٨

وقال عفا الله عنه :

الطويل

تهنَّ بعيدٍ أَنْتَ لاشكَّ عيدُهُ
ومنكَ استفادَ النَّورَ نُورَ هِلالِـهِ

[١٥٩]

بدا وبدا الوجـهُ الذي لكَ مُشـرقاً

سـناءً فأبدَى نقْصَهُ بكَمالِهِ

عليٌّ هو الشَّـمْسُ الذي فاقَ حُسْنُهُ

ومـا البـدرُ الا مُستَمَدٌ جمالِـهِ

لَئِنْ اْوحِشَتْ رُوحي ببُعدِ وِصالِهِ

لقـد أنِسَتْ عَيني بطَيفِ خَيالِـهِ

قافية الميم

١٩٩

قال رحمه الله :

الوافر

أَتَعْلَمُ أيَّ بارِقَةٍ تَشِيمُ
وأيَّ حمىً سَرَى منه النَّسيمُ (١)

أَجَلْ ذاكَ استطارَ من ارْضٍ نَجْدٍ
وهذا هَبَّ يذكُرُ من يَهيمُ

تألَّقَ من سَنا ثغرٍ لسَلمَى
فنارَ به المفاوِزُ والتُّخومُ

وأَكْسَبَهُ شذا مِسكٍ شَذاها
فها هوَ ذا لَنا مِنْهُ شَميمُ

ووافَى من دِيارِهِمُ عَليلا
فكلٌّ مِن تنشُّقِهِ سقيمُ

أناسٌ آثَروا سُكنَى البوادي
ومنتجعاً إذا انهلَّ الغُيُومُ

هم الحيُّ اللَّقاحُ فلم يَدينُوا
لِملكٍ إذ بَلاؤُهُمُ عَظِيمُ

يَجُرّونَ العَوالي للمَعالي
ويُجرون المذاكي لا تخِيمُ

(١) شام يشيم البرق : نظر اليه اين يتجه واين يمطر .

إذا حادوا لحربٍ أرّثوها

وإنْ جادوا بفضلٍ لم يُليموا

وإنْ حلّوا بأرضٍ أرّجوها

فتعبقُ من أريجهمِ الرّسُومُ

[١٦٠]

وفي أحْداجِهِم قَمرٌ تبدّى

فقد خَفيَتْ لمطلعهِ النّجومُ

أضاءتْ من سَناه لنا الموامي

ونارَ به لنا الليلُ البَهيمُ

تعلّقَهُ فُؤادي من حَديثٍ

فصارَ له به وجدٌ قديمُ

وناجاهُ ليسمحَ بالتفاتٍ

فلم يلفِتْ اليه وهْوَ رِيمُ

ورامَ القُربَ من ناءٍ بعيدٍ

فعزَّ لهُ الوصولُ لما يَرومُ

ومَنْ يعلقْ له قلْبٌ بريمٍ

نَفورٍ فهوَ في حزْنٍ مُقيمُ

٢٠٠

وقال غفر الله له :

البسيط

يـا قاسيَ القَلْبِ ليسَ اللفظُ مَطْمَعَهُ
ساجي الجُفونِ حنينَ اللَّحظِ راحمَهُ
أمـا تـرِقُ لصَبٍّ فيـك مكتئبٍ
عفٍّ غَـدا صادقـاً في الـوُدِّ كاتِمَهُ
أشْبَهْتَ يوسُفَ حُسْـنا والمحبُ لـه
سبعٌ شِـدادٌ عَصَى فيهن لائِمَهُ
يلومُـه ليس يـدري من يَهيمُ بـه
لـكنْ يـراهُ حزينَ القـلبِ هائمَهُ
كفاهُ منكَ وِصـالا أن تُكالِمَـهُ
وأَنْ يراكَ وإنْ أَصْبَحْتَ كالِمَهُ

٢٠١

وقال رحمه الله يخاطب شخصا كان يحبه شخص ينادمه فجلس بينهما أحدب :

الكامل

ولقـد شَقَيت بأحدَبٍ من بعدِ مـا
قـد نلت بالظبيِ الغـريرِ نعيمـا
[١٦١]
فأبو الغُصـونِ مُنـادِمٌ لك بعـدَما
قـد كنتَ للغُصنِ الرَّطيبِ نَديمـا

٢٠٢

وقال(١) رحمه الله تعالى : **الوافر**

يظُنُّ الغمــرُ أنَّ الكُتُبَ تجــدي

أخـا ذهنٍ لادراكِ العـلومِ(٢)

ومـا يدري الجهـولُ بـأنَّ فيهـا

غوامضَ حيَّرت عقْلَ الحليمِ(٣)

إذا رُمتَ العلومَ بغيرِ شيخٍ

ضَلَلْتَ عن الصِّراطِ المُستقيمِ(٤)

وتلتَبِسُ الامــورُ عليكَ حتّى

تصيرَ أضلَّ من تُومـا الحـكيمِ(٥)

٢٠٣

وقال ايضا رحمه الله : **البسيط**

إنّي لأسـمعُ من خُلـدٍ وحينَ أرَى

حُبِّي يحدِّثُني أُصْغي عـلى صَمَمِ

---

(١) ذكرها السبكي في طبقات الشافعية ج٦ ص٣٥ ، والمقري في نفح الطيب ج٣ ص٣٢٠ نقلا عن كتاب البرنامج للفقيه المحدث أبي عبدالله محمد بن سعيد الرعيني الاندلسي تلميذ أبي حيان .

(٢) كذا في الاصل ونفح الطيب ، اما في طبقات الشافعية : ان الكتب تهدي .

(٣) كذا في الاصل ، أما في نفح الطيب والطبقات : عقل الفهيم .

(٤) كذا في الاصل ونفح الطيب ، أما في الطبقات : الطريق المستقيم .

(٥) توما الحكيم : هو الذى ضرب مثلا للجهل المركب ، وقيل فيه :

قال حمار الحكيم توما لو أنصف الدهر كنت أركب

لانني جاهل بسـيط وصـاحبي جهلـه مركب

(ينظر هامش ص ٣٢٠ ج٣ من نفح الطيب) .

وفي المثل السائر ج٢ ص٣٥٨ : « قال بعض العراقيين يهجو طبيبا :

قال حمـار الطبيب توما لو انصفوني لكنت أركب

لانني جاهـل بسـيط وراكبي جهلـه مركب

كيما تلذَّ بتكرارِ الكلامِ معي
أُذْني وتلفظَ منهُ الدُّرَّ في الكَلِمِ

* *

قال : أخذت هذا المعنى من قوله :

المتقارب

تَصامَمْتُ إذ نَطَقَتْ ظَبيةٌ
تصيدُ الأُسودَ بألحاظِها

وما بيَ وَقْرٌ ولكنَّني
أرَدْتُ إعادَةَ ألفاظِها

٢٠٤

وقال رضي الله عنه :

المديد

ما لِدمعي ساجِماً كالغَمامْ
ولجسمي ناحلاً بالسّقامْ

صابَني من شادنٍ سهمُ لحظٍ
ففؤادي دائمُ القَرحِ دامْ

[١٦٢]

وصديقي لائمي في هَواهُ
لسْتُ فيه سامعاً للملام

قال : موتٌ عاجلٌ لمُحبٍّ
قلتُ : إنّي راغبٌ في الحِمام

قلتُ : يا صاحِ الهوى مستلَذٌّ
لـذَّ فيـه ..... مع غرام[1]
غرَّ حِلمي ناهدٌ ذاتُ وَجهٍ
قمـريٍّ غـرَّ بـدرَ التَّمـام
وسـباني فاتـنٌ فاتِكٌ بِيْ
ساحرٌ لـي سـاحرٍ بالأنـام
ورماني ذابـلُ اللحظِ سـاجٍ
مع سـطاهُ خائفٌ كـلَّ رام

٢٠٥

وقال عفا الله عنه :

الطويل

أمُحتَمياً بالدّينِ عن لَثمِ مَبْسِـمٍ
ومـا لثْمُهُ إلاَّ يسيرٌ من اللَّمَـمْ
وقد أعقَبَ الرحمنُ ذاكَ بوسـعه
لغُفـرانِهِ فاسـمحَ بِلُقيا فمٍ لِفَمَ

٢٠٦

وقال سامحه الله :

الكامل

جُبِلَ النسـاءُ على التكَتُّمِ فاحترزْ
من كيدِهِنَّ فانَّـهُ لعظيـمُ

(١) كذا في الاصل .

فمتى تعِفُ فربَّما عفَّت فاِنْ
تُهمَل فكَشحٌ يُستباحُ هضيمُ
وكذا الصبِيُّ إذا عَرَتْهُ خصاصةٌ
يبدو لـه لفظٌ يُعدُّ رخيمُ
وتراهُ يسمحُ بالذي هو باخِلٌ
ويعودُ بعدَ الحمدِ وهو ذَميمُ
قد مسَّ ظهرَ الأرضِ حرُّ جبينهِ
فيقومُ وهو من الحياءِ عديمُ

[١٦٣]

طوراً نديمٌ للقِحابِ وتارةً
للأَشطَينَ الفاسقينَ نديمُ
وإذا التحَى ففقيرٌ او لِصٌّ وفي
بابِ القُضاةِ أو الوُلاةِ خديمُ

٢٠٧

وقال رحمه الله يرثي ابنته العالمة المعربة نضار :

الطويل

أَمرَّ حياتي يا نُضارُ سقامُكِ
وكونُكِ لا يسري اليكِ منامُكِ
أقمتِ شهوراً لا يَبُلُّ لكِ اللُّهَى
شَرابٌ ولا يغذوكِ يوماً طعامُكِ
تواترَت الأَسقامُ نَفْخٌ وسَعلَةٌ
وقيءٌ وإسهالٌ فعزَّ مَرامُكِ

وعمّا قليلٍ يذهبُ البؤسُ كلّه
ويبدو على إثرِ العبوسِ ابتسامكِ

فنُصبح في انسٍ وخيرٍ وصحةٍ
وحسنِ شبابٍ طالَ فيه دوامكِ

غذيتِ بدرّ الفضلِ مُذ كنتِ طفلةً
وكانَ بتعليمِ القرآنِ فطامكِ

قرأتِ كتابَ اللهِ والسُّنَنَ التي
أتَتْ عن رسولِ اللهِ فهو إمامكِ

ودارستِ علمَ النحوِ حتى لقد غدا
فصيحاً بليغاً في البيانِ كلامكِ(١)

واتقنتِ خطّاً بارعاً يبهرُ الحجا
فَفتّحَ عن زهرِ الرياضِ كِمامكِ

وبالكعبةِ الغرّاءِ طُفْتِ بمكّةٍ
وللحجرِ المسوَدّ كانَ التثامكِ

وجاورْتِ أيّاماً بها ولياليا
وكانَ كثيراً بالمَقامِ مُقامكِ

وزُرْتِ رسولَ اللهِ أفضلَ من مشى
على الأرْضِ واحتلّتْ هناكَ خيامكِ

[١٦٤]

(١) في الاصل : كتابك .

فكــانَ ببيتِ اللهِ بــروْكَ أوَّلاً
وزورة خــيرِ الخلقِ كانَ اختتامكِ

نضيرةُ ما إنْ في البنـاتِ نظيرةٌ
لك اليومَ فخراً ما لَهُنَّ احتشامكِ

فهمَّـةُ بنْتٍ في لِباسٍ وزينـةٍ
وانتِ بتحصيلِ العُـلومِ اهتمامكِ

فلو أنَّ أنثى للسـماءِ قـد ارتقتْ
لكانَ بأعْنـانِ السَّـماءِ مُقامكِ

إذا انتظمَ الرِبّابَ عقـدُ نفاسَـةٍ
ففي وَسَطِ العِقـدِ النَّفيسِ انتظامكِ

وقد كُنْتُ أرْجو أنْ تعيشَ والآنَ قد
أتـاكِ منَ اللهِ الكريمِ حِمامكِ

* *

قال : أنشدت نضار هذه القصيدة الا البيتين الاخـيرين وهي مريضة مرض الموت ، وكان نظمي للبيت الاخير في اليوم الذي ماتت فيه اثر موتها • رحمها الله ورحمه آمين •

٢٠٨

وقال رحمة الله عليه :

الوافر

أُقَبِّلُـهُ فيُرشِفُني رضـاباً
تبقَّتْ فيـه آثـارُ المُـدامِ

سَقانيِها الحبيبُ ولستُ أدرِي
لذلِك قد خَلَصْتُ من الآثامِ

٢٠٩

وقال : قرىء علي في شعر الأعشى قوله :

البسيط

عُلِّقْتُها عَرَضاً وعُلِّقَتْ رَجُلا
غيري وعُلِّقَ أخرى غيرَها الرَّجُلُ[١]

وعُلِّقَتْهُ فتاةٌ ما يُحاولُها
ومن بني عمِّها ميتٌ بها وَهِلُ[٢]

[١٦٥]

وعُلِّقَتْني أُخيرَى ما تلائمني
فاجتمعَ الحُبُّ حبٌّ كُلُّه تبلُ[٣]

* *

فأعجبتني هذه السلسلة التى هى ست حلقات ، فرضت نفسي في نظم سلسلة في الحب فقلت :

الطويل

ولما أبَى إلاَّ جفاءً مُعذِّبي
دَعوتُ لـه أن يُبتلَى بهيامِ

---

(١) تنظر الابيات في ديوان الأعشى ص١٤٥ .
(٢) في الديوان : من اهلها ميت يهذي بها وهل . الوهل : الذاهب العقل .
(٣) في الديوان : فاجتمع الحب حباً كله تبل . التبل من تبله : ذهب بعقله .

وكـان دُعائـي اللهَ وَقْتَ إجابَـةٍ
فهـا هـو ذا في لَوعَـةٍ وغَـرامِ
يَذوقُ من الهِجـرانِ ما قَدْ أذاقَـني
ويَسْقُمُ منهُ الجسمُ مثلَ سَقامي
وكانَ بخيـلاً بالوِصـالِ فحبُّـهُ
غـدا باخِلاً حتّى بطيفِ منـامِ
وعُلِّقتهُ ريمـاً وعُلِّـقَ آخَـرا
هَوى آخَـراً يَهذِي ببدرِ تمـامِ
وعُلِّقَ أُخرى حبَّها آخَـرٌ هَوَى
أُخيرَى غدت تَهذِي بآخَرَ رامِ
فيا لَكَ من حُبٍّ تَسَلْسَلَ كُلُّنا
حليفُ أسىً هامِي المدامعِ دامِ
أقَمْنا بكَهْفِ الحُبِّ عِـدَّةَ صُحبَةٍ
وأوَّلُنا بالبـابِ شَـرُّ مقـامِ
تُصعِّدُ أنفاسُ المحبينَ في الهَوَى
اليـهِ فيبقـى في أليـمِ أوامِ
فيـا ليتَ أنّـا قد جُمِعْنا فنشتكي
اليمَ الهَـوَى أو نشتفِي بكَـلامِ
كَفانا وِصـالاً أنْ يُكلِّمَ بَعضُنا
لبَعضٍ ولو كَلْما برجعِ سَـلامِ

٢١٠

وقال عفا الله عنه [١٦٦] :

الطويل

وعلَّقْتُهُ والسيفُ بيني وبينَهُ
غزالاً ولكن قاتلٌ للضراغمِ

من التُرْكِ إمّا حُسنُه فهْوَ فاتنٌ
واما سَطاهُ فهو فتكُ الضبارِمِ(١)

غيورٌ على الحُسْنِ الذي هو حُسنُهُ
كأنَّ به عشقَ المُحبِّ الملازمِ

فيا ليتَ شعري كيفَ حالةُ عاشقٍ
رمَى نفسَهُ في المُهلِكات العظائمِ

فلا وصلَ إلا باختلاسَةِ ناظرٍ
على غفلَةٍ منه وليسَ بعالمِ

ولو إنّه يدري الذي هو ناظرٌ
الى حُسنِهِ جازَى بجرِّ الغلاصمِ

سأصبِرُ أو تأتي المنيةُ أو يُرَى
يلينُ لصَبٍّ ذاهبِ الحِسِّ هائمِ

وعزَّيْتُ نفسي أنّه سوفَ ينْقضي
هَواها وأنْ يسلو سلُوَّ البهائمِ

---

(١) اسد ضبارم وضبارمة : مضبر الخلق ملززه ، أي مجتمع الخلق موثقه .

فكلُّ جمالٍ للزوالِ مآلُهُ
وكلُّ ظلومٍ سوفَ يُبْلى بظالمِ

سيظلِمُهُ شَعرٌ يَحلُّ بخَدِّهِ
سريعا فيبقى في سوادِ المظالمِ

٢١١

وقال غفر الله ذنوبه :

الطويل

ويركبُ أَقْوامٌ مطايا نفيسةً
ونحن مطايانا أَخامِصُ أَقدامِ

ويلبسُ أقوامٌ حريراً لزينةٍ
وملبوسُنا ما شانَ مِنْ وَبَرِ أنعامِ

ويشربُ أقوامٌ رحيقاً بأكؤسٍ
ومشروبُنا ماءٌ بأشفافِ خَتّامِ

ويأكُلُ أَقْوامٌ شِواءً وجَرْدَقاً
ومأكولُنا خبزٌ مشوبٌ بآلامِ (١)

[١٦٧]

ويَلتذُّ أَقْوامٌ بأبناءِ يافثٍ
وسامٍ وموطوآتُنا من بني حامِ

---

(١) الجردق : الرغيف ، معرب كرده · (القاموس المحيط) ·

يَقضُون من دُنياهُم شهواتِهِم
ونحنُ لهم في الدهرِ أطوعُ خُدّامِ

إذا جاءَهم منّا فقيرٌ لحاجةٍ
لَوَوا جيدَهم زَهواً ونخوةَ إعظامِ

وما اللهُ عمّا يعملون بغافلٍ
ولكنما يملي زيادةَ آثامِ

كذلك تأتيهم بلايا عظيمةٌ
من الحبسِ والتعذيبِ والضربِ والسّامِ

غَدَوا عِبرةً يَرثي لهم كلُّ شامتٍ
بهم وكذا المتلذ يَشقَى باجرامِ

٢١٢

وقال غفر الله ذنوبه :

الطويل

لقد عجِبُوا من لُؤلُؤٍ مُتناثرٍ
من الكَلِمِ الأعلَى فُرادَى وتَوأَمِ

وما بِعجيبٍ لؤلؤٌ كانَ قد مَلا
به مَسمعي شَيْخي تناثرَ من فمِ

وبينَ فَمِ الانسانِ والسَّمْعِ نِسْبَةٌ
ألم ترَ أنَّ السمعَ بابُ التَكَلُّمِ

٢١٣

وقال سامحه الله :

الخفيف

ما سلامُ الغُيّابِ هذا السلامُ
بل عِناقٌ مواصَلٌ والتزامُ
واصطكاكُ الشِفاهِ باللَّثمِ حتّى
يَشفِيَ الصبَّ من صداهُ إلتثامُ
أتظُنُّ الكلامَ يُبرِي كِلاماً
ما بِكِلمِ الحبيبِ تبرا الكِلامُ
إنْ تكُنْ عِفتَ قُبْلَةً وعِناقا
فلقد عِفْتَ ما يُبيحُ الكِرامُ

[١٦٨]

أيُّهذا الذي نوى الحجَّ مَهْلا
أنْتَ محجوجُ مَن براهُ السَّقامُ
قد غدا مُحرِماً مُلبِّيَ حُسْنٍ
منكَ لمّا دعاهُ زادَ الهِيامُ
شاحِبُ اللونِ غائرُ العَيْنِ ممّا
شَفَّهُ الحبُّ والِهٌ مُستهامُ
مُعمِلُ الفِكرِ في مَهامِهِ شوقٍ
بمطِيٍّ يَحثُّهُنَّ الغَرامُ

سائرٌ نحو مكّةَ الحُسن منكم
فأتاها وقَدْ بَدَت أعلامْ

كعبةُ الحُسنِ من مُحيّاكَ تُجلى
فيها دائما يطُوفُ الأنامْ

كلُّ أركانِها يمانِيُّ يُمنٍ
فبِكُلٍّ منها يكونُ استلامْ

قد صَفا وقتُهم بسَعيِ نُفُوسٍ
لحِماكُم وعرَّفوا واستقاموا

ومُناهم أن قد رَمَوا جمراتٍ
بمُناكم يَشُبُّهُنَّ ضِرامْ

لا تَخَفْ من صدىً يغرّْ ومن قو
تِ مكانٍ يلَذُّ فيه المُقامْ

فَعيونٌ كزَمْزمٍ إن وَرَدْتُم
وقلوبٌ لكم بهِنَّ مُقامْ

وأفاضُوا لمّا أفاضُوا اليكم
أدْمُعاً كلُّها رِهامٌ سِجامْ

عَمَروا أنْفُساً بِوُدٍّ صحيحٍ
من هواهُم فما عليهم مَلامْ

وطَوافُ الوَداعِ قاضٍ عليهم
فعلى الوصلِ والحياةِ السَّلامْ

أتراهم يوماً يزورون ميتاً
قصدوا هجره فزاد الحِمامُ
[١٦٩]

٢١٤

وقال رحمة الله عليه :

الخفيف

عدْ للروضةِ التي قد تجلَّتْ
كعروسٍ ونقَّطتْها الغيومُ
فاكتسى أيكها من الزَّهرِ زهراً
فكأنَّ الغصونَ فيها النجومُ
جنَّةٌ أهلُها يسيلونَ لطفاً
خُلُقٌ طيِّبٌ ، وخَلْقٌ وسيمُ
ونَدامى يُسْعَى عليهم بكأسٍ
من حُميا مِزاجها تسنيمُ (١)
ناغشُ الطَّرفِ ناعسٌ بذبولٍ
مُفعمُ الرِّدفِ كَشْحُهُ مهضومُ (٢)
كُلَّما دارَ قبَّلوهُ فيحمَـ
ـرُ حياءً كأنَّهُ مذمومُ

(١) في سورة المطففين الآية ٢٧ : « ومزاجه من تسنيم » .
تسنيم : عين في الجنة ، أو ماء فيها .
(٢) الناغش : المتحرك .

يَتَساقَونَ أكْؤُساً للتَصابي
في مقاصيرَ حَلَّ فيها النَّعيمُ
صحَّ فيها الهواءُ مداً وقصراً
لِمُحِبٍّ واعتَلَّ فيها النَسِيمُ
جَرَّ ذيلاً له على الدَوحِ هَوْناً
فكأنَّ النسيمَ فيها سَقيمُ
حامِلاً في الرُبى لَطيمَةَ مِسْكٍ
فلَنا ذلكَ الأريجُ شَميمُ(١)
وتغنَّت أطيارُها فسمِعْنا
نَغَماتٍ يهفو اليها الحليمُ
إنَّها في إنْشائِها عَجَبٌ قد
حارَ في وَصفِها هُناكَ الحكيمُ
بينَ بحرَيْ شهدٍ ودارا عليها
كَسُوارٍ بمِعصَمٍ لا يَريمُ
جَمَعَتْ نادِرَيْنِ براً وبحراً
ذاكَ يعدُو قفْزاً وهذا يعومُ

[١٧٠]

---

(١) اللطيمة : وعاء العطر .

فبنَفَحِ الرِّيَـاضِ يَسْبَحُ نُـونْ
وبسَفْحِ الغِياضِ يسنح رِيـمْ (1)

---

(1) كذا في الاصل ، أما في نفح الطيب ج٣ ص٣٣٦ :

فبلج البحـار يسـبح نون   وبفيح القفـار يســفح ريم

قال المقري بعد هذا البيت : « ولما أنشد الشيخ أبو حيان قول نورالدين القصيري في روضة مصر :

ذات وجهين فيهما قسم الحسن ، فأضحت بهـا القلوب تهيم
ذا يلي مصر فهو مصر وهذا   يتولى وسيم ، فهـو وسيم
قدأعادت عصرالتصابي صباها   وأبادت فيها الغموم الغيـوم
زاد فيها بيتاً وهو : فبلج .... » .

قافية النون

٢١٥

قال غفر الله له :

البسيط

قد حوَّمَتْ طيرُ نومي ثم نَفَّرَها
حِذارُها وجَفَتْ بالليلِ أجْفانا
تَظُنُّ أهدابَها أشراكَ مُحتَبِلٍ
لا سيّما إذْ رأتْ مَعْهُنَّ إنْسانا

٢١٦

وقال عفا الله عنه :

البسيط

قَصَرْتُ ذاتي على ذاتي وقلتُ لَها
فِرّي عَن الناسِ ما مِنْهم ترَي حَسَنا
سِوَى ثقيلينِ تؤذي القلبَ صُحبتُهم
وتُتْعِبُ الأشرَفَينِ الطَّرْفَ والآذُنا

٢١٧

وقال ايضا رحمه الله :

الكامل

لا تنظُرَنَّ لملبَسٍ وانظُر إلى
ما تحتَهُ من فِطنَةٍ وبَيانِ

ذِهْنٌ كَأَنَّ النارَ منه أُشْعِلَتْ
وفصاحةٌ تربى على سَحبانِ(1)

٢١٨

وقال ايضا غفر الله له :

الطويل

خُلِقنا لأَمْرٍ لو علِمنا حقيقةً
له ما أحبَّ المرءُ ليلَى ولا لُبْنَى
ولكنْ جهِلنا فاستراحَت نُفُوسُنا
وما تلكَ إلاَّ راحةٌ تَعقُبُ الحَزنا

٢١٩

وقال ايضا رحمه الله :

البسيط

ظبيٌ تقنَّصْتُه ليلاً فنادَمَني
أُقسِّمُ اللحظَ بين البَدرِ والغُصُنِ
[١٧١]
بَدْرٌ أَضاءَ لنا في شِبهِ وَفرتِهِ
حتّى بدا الصبحُ مثلَ الصارِمِ اليَمَني

---

(١) سحبان : بليغ يضرب به المثل .

كأنّما الليلُ حُبْشانٌ قد انهزموا
والصبح في إثرِهِ سيفُ ابن ذي يزنِ

يا صبحُ فرّقتَ شملاً كانَ مجتمعاً
يا صبحُ فرّقتَ بينَ الرّوحِ والبَدَنِ

٢٢٠

وقال رحمه الله على طريقة أهل التصوف :

الطويل

سَرى مِنْ نَسيمِ الأُنْسِ ما عَطّرَ الكَوْنا
فبُحْتُ بِسرٍّ طالَ كتمي له صَوْنا

وما نَظَرتْ عيني الى غيرِ واحدٍ
تصرّفَ في كلٍّ فلَوْنٌ يرَى لَوْنا

وما أدْرَكَ الأشياءَ غيرُ منطقٍ
اخِي لُطفٍ يمشي على أرضِهِ هَوْنا

فكم بينَ ذي علمٍ وآخرَ جاهلٍ
وكم بينَ ذي نورٍ وعادِمِهِ بَوْنا

هي النَّفْسُ يجلوها فتبدو حقائقٌ
بها وَصَداها الجونُ يُظهِرهُ جَوْنا

٢٢١

وقال(١) عفا الله عنه :

البسيط

رَاحَ الرِّضَـــيُّ(٢) الى رَوْحٍ ورُضْـــوانِ

فليهنهُ أَنْ غَـدا جاراً لرحمَـــنِ(٣)

وافَى الجِنَـانَ فوافاهـا مزخرفــةً

يحفُّهُ الأهلُ من حُورٍ وولدانِ(٤)

٢٢٢

وقال غفر الله له :

الطويل

بروحي حَبِيبٌ نَعَّـــمَ اللهُ بالَــهُ

ولا زالَ في أَمْنٍ مَدَى الدهرِ جَذْلانـا

تملَّكني منـه بِسِـحْرِ جُفُـونِهِ

فصِرْتُ أَخِيذاً لا أَرى عنه سلوانا

[١٧٢]

---

(١) ذكرهما السيوطي في بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة ج١ ص١٩٤ ، وقال قبلهما : « قال أبو حيان في رثاء استاذه العلامة محمد بن علي بن يوسف الرضي الشاطبي » ·

(٢) الرضى : هو استاذه رضي‌الدين أبو عبدالله الشاطبي المتوفى سنة ٦٨٤هـ ·

وفيه يقول أبو حيان :

نعي لي الرضي فقلت لقد نعي لي شيخ العلا والادب

(تنظر تكملة الديوان رقم ٧) ·

(٣) كذا في الاصل ، أما في بغية الوعاة :

راح الرضي الى روح وريحان فليهنه أن غدا جارا لرضوان

(٤) كذا في الاصل ، أما في بغية الوعاة : يحفها الاهل ·

غزالٌ لـه مرعىً خصيبٌ بمهجتي
وسَلسالُ دَمعي يَغتَدي منه رَيّانا

ولما رآنـي ذُبْتُ منـه صَبابـةً
وذُقْتُ مَراراتِ المَحبَـةِ ألوانـا

تعجَّبَ من صبري على مُرِّ هجرِهِ
فأهدَى لي الحلواءَ لُطفاً وإحسانا

توهَّمَ ان أشـفَى بهـا فـاذا بهـا
يزَيدُ ضنىً جسمي وقلبيَ نِـيرانـا

وأيُّ شـفاءٍ لا يُرَى شـفَهُ الهوَى
سنينَ له تِسعاً يُكابِـرُ أشـجانا

أيا مهديَ الحَلواءِ في فيكَ شبهُها
بَلَ احلَى به لـو شئتَ أرويتَ ظمآنـا

ويـا مالـكاً رِقي أمـا لك رِقَـةٌ
على عاشقٍ يَهواكَ سِـراً وإعـلانـا

وكنتُ أرى أنَّ التهـاجرَ ينقضي
إذا الحسنُ يكسـو وردَ خدَيكَ ريحانا

وقد زِدتَ في تيهٍ وعُجبٍ ونَخوةٍ
أخـاً لك مـا الفردوس خاتلت رضوانـا

فجئتَ الى الدنيا فريداً فلا ترَى
بهـا عاشِقاً إلاّ بحبِّكَ ملآنـا

وقال عفا الله عنه :

الطويل

أرَى شِيَمَ الناسِ الأَذى وأشدُّهم
اذَى جاهلٌ أَوْليتَه منكَ إحسانا
يجيئكَ عَيرٌ منهم فتسوسُهُ
الى أن غَدا في الناسِ يُحسَبُ إنسانا
فَيَأْبَى ويزهى زاهداً فيكَ نابِزاً
لحقِّكَ يُبدي عنك في العلمِ غَنيانا(١)
ولو انَّه قد فاقَ في الفضلِ صحبَهُ
لما كانَ إلاّ العيرَ طَرْطَرَ آذانا

[١٧٣]

ومَنْ كانَ تلميذاً ويزعمُ أنَّهُ
كشيخٍ له فالجهلُ أَوْلاه حِرمانا
لدَى الشيخِ من علمٍ زوايا غريبةٌ
قد اكتسبها مُذْ عاشَ في العلم أَزمانا
عجِبتُ لمثلي عِشْتُ سبعين حِجَّةً
أعاني لسانَ العُربِ جَمعاً وتِبيانا
فما صحَّ عندي غيرُ أني مُقصِّرٌ
وقد فاتَنا منه كثيرٌ وأَعْيانا

(١) يأى : فخر بنفسه .

فكيفَ بمَن أضحَى سُكُرْدان صُحفِـهِ
يقلّبُ في ذا ثمَّ ذلِك أَحيانـا[1]

يرَى أنَّه قد صارَ شيئاً ولم يكُنْ
كشيءٍ ولكن جرَّ للجَهْلِ أرْسانا

وأمٌّ ولـودٌ هـذه الارضُ لا يُـرى
بها مُدَّعٍ الا ويُفْضَحُ خُذْلانـا

٢٢٤

وقال غفر الله له ورحمه :

الكامل

أتَـرى قماشي غائبـاً في الصِّـينِ
فأُقيمُ أطْلُبُـهُ لِعَشْـرِ سِـنينِ

إنَّ امـرءاً يكِـلُ الامـورَ لغيـرِه
هو أنْوكٌ بل مُطبِقٌ بجنـونِ[2]

إنْ مبْتَـغٍ برَّ الأنام بأسْـرِهم
لَكَمَنْ يرَجِّي النَّشْـعَ من تِنِّـينِ[3]

---

(١) كذا في الاصل ، وفي شفاء الغليل ص١٥٥ قال أبو حيان :
فكيف بمن أمسى سكردان صحفه به مودع للفكر در ومرجـان
السكردان ـ بضمتين فسكون ـ خوان الشراب ، وقد يستعمل لخزانة توضع لحفظ المشروب والماكول ·

(٢) أنوك : أحمق ·

(٣) التنين : الحوت ، الحية العظيمة ·

ألفُ الدراهمِ لم اصِلْ منها لمـــا
أَبغِيـهِ من ألفٍ سـوى التســعينِ

من بعْدِ أرْبعةِ الشُهورِ أتتْ لي التـ
ـسعونَ صفقةَ خاســرٍ مغبونِ

٢٢٥

وقال رحمه الله :

الرجز

يا سيِّداً قـد حازَ حُسْنَيَيْنِ
العـلمَ والديـنَ بغـيرِ ميْنِ

[١٧٤]

قـد انقضَى وقتُ جُمادَيَيْنِ
وما أتَى المَعــلومُ من لُجـينِ

ألا اجْمعَنْ ما بينَـه وبيني
فما يَسُرُّ العينَ غيرُ العـينِ

به انقضـاءُ مآربي ودَيْني

٢٢٦

وقال غفر الله له ورحمه :

البسيط

لا تصحبَنْ مَلِكـاً أو من يلـوذُ بـه
وإنْ تَنَلْ منهـمُ عِـزّاً وتمكينـا

يَسْتَخْدِمونَكَ في لذّاتِ أنفسِهِم
ويَذْهَبُ العُمْرُ لا دُنيا ولا دِينا

٢٢٧

وقال عفا الله عنه :

الرمل

عَشِيتْ عيني فلا أُبْصِرُ ما
خُطَّ في صُحْفٍ ولا شيءَ حَسَنْ

ولقد كانَ أنيسي بَصَري
فَعدمتُ الأُنْسَ منه والوَسَنْ

طالما أنضيتُ طَرفاً للصِّبا
ذا شبابٍ مُرخياً منه الرَّسَنْ

واهتصَرْتُ القَدَ غُصناً مائساً
وارتشَفْتُ الرِّيقَ عَذْباناً أَسِنْ

وفَرضتُ عِشقَ ريمٍ أهيفٍ
وسَنَنْتُ صَبوَتي فيه مَسَنْ

من بني التُّركِ صَغيرٌ دَمِثُ الـ
خُلْق لَينٌ حَسَنُ الخَلْقِ بَسَنْ

كُنتُ قِدماً عاشقاً في عَرَبٍ
وأنا اليومَ بِحُبٍّ في أَسَنْ

كُلَّمـا قُلتُ لـه : مَن ذا الذي
فيك أضحَى هائماً ؟ يقول : سَـنَ

[١٧٥]

فمضى هـذا ولمَّـا يَبقَ لـي
غيرُ فكرٍ ولسانٍ ذي لَسَـنْ

أيُّ لَهـوٍ لامرئٍ يبقَـى خلي
وقَـدَ الفَـودانِ منه وأَسَـنَ

٢٢٨

وقال غفر الله تعالى له :

البسيط

عينُ المَها للصبا قَلْبُ الشَجِي يلْزُزنْ
كم أتلفَت مُهجاً مِنا وكم يعززِنْ

يهزُزنَ سُمْرَ القَنا يا حُسنَ ما يَهزُزنْ
إذا طَعَـنَّ بهـا في مُهجتـي يَحزُزنْ

٢٢٩

وقال أيضا غفر الله له :

البسيط

دَمْعٌ هَتـونٌ وقلبٌ دائمـاً في حزْنْ
من حُبِّ غيدٍ سَنا بدرِ الدُّجى قد حزُنّْ

خِفافُ قَدٍّ لهـا ثقـالُ رِدفٍ رُزْنْ
تَغارُ شمسُ الضُّحى منْهنَّ إذ يبرُزْنْ

٢٣٠

وقال عفا الله عنه :

البسيط

خَرَجْنَ يـومَ مِنىً وبالنَقـا بَـرَزْنْ
قد اشرقَتْ من سَناها سَهلها والحزْنْ

بكَيْتُ ، قالتْ : أفِقْ ابذُلْ لُجَينَ الخزَن
الوصلُ لا ينبغي بالدَّمعِ بل بالوَزْنْ

٢٣١

وقال رحمه الله يرثي ابنته العالمة المعربة نضار :

البسيط

راحت نُضارُ فلا عَيشٌ يَلَذُّ لنا
وخلّفتْ بفؤادي الهمَّ والحزْنا

فَما عرَت مُهجتي حالٌ تسرُّ بها
ولا رأَتْ مُقلتي من بعدِها حَسَنا

كانت نضارُ لنا رُوحا نعيشُ بهـا
فتُنعِشِ الأشرفَينِ : العينَ والأُذْنا

[١٧٦]

فالسمعُ من لفظِها للدُرِّ مُلتقطٌ
والطَرْفُ من لَحظِها بالحُسنِ قد فُتِنا

ذاتُ ارتياحٍ الى القُرآنِ تَسْرُدُهُ
طَوراً وتَسْرُدُ طوراً بعدَها السُنَنا

وذاتُ بِرٍّ لـذي فَقْـرٍ ومسـكنةٍ
تبـرُّهُ خِلْسـةً لا تَرقَبُ العَلَنـا
يَفْدِي نُضيرةَ أَتْرابٌ لهُـنَّ هَوًى
بزينـةٍ وارتيـاحٍ هٰهُنـا وهنـا
وهمُّهـا هـيَ في أَجْـرٍ تحصِّلُه
وفي علـومٍ تُزكِّي كُلَّ من زَكِنـا(١)
فقـهٍ ونحـوٍ وتاْريـخٍ ومعرفـةٍ
ولحظِ فكرٍ الى نيلِ العلومِ رَنـا
قـد نـوَّرَ اللهُ بالتقـوى بصيرَتَهـا
فلم يضيِّعْ لها في غيرِهـا الزَّمنـا
حَجَّتْ وزارتْ رسولَ اللهِ ثم أتَتْ
لمصرَ قـدْ أحرَزَتْ أجراً وحُسنَ ثَنـا
فصيحةٌ ثَقَّفَتْ بالنَّحـوِ مَنطِقَهـا
فلن ترَى فيـه لا لَحنـا ولا لُكنـا

---

(١) زكن : فطن .

تُجيلَ طَرَفَ يراعٍ بالأَناملِ في

مَيدانِ طُرسٍ مُطيعاً لم يكُن حَرِنا

يَمْشي على رأسِهِ في الطُرسِ مبتدأً

فإن جرَى جَذَبَتْ من رأسِهِ الرَسَنا

ينحطُّ أعلاهُ إذ يسمو بأسفَلِهِ

فعلُ الزمانِ بنا أقْبِحْ به زمَنا

قافية الهاء

٢٣٢

قال(١) غفر الله ذنوبه : البسيط

شوقي لذاكَ المُحيّاَ الزاهرِ الزاهي
شوقٌ شديدٌ وجسمي الواهنُ الواهي(٢)

[١٧٧]

أسْهرتَ طَرفي وولهتَ الفؤادَ هوىً
فالطرفُ والقلبُ منّي الساهرُ الساهي(٣)

نهبتَ قلبي وتَنْهَى أن تبوحَ بما
يلقاهُ واشوقَهُ للناهبِ الناهي(٤)

بهرتَ كلَّ مليحٍ بالبَهاءِ فما
في النيِّرَينِ شبيهُ الباهرِ الباهي

لهِجتَ بالحبِّ لما أنْ لَهوتَ به
عن كلِّ شيءٍ فويحَ اللاهجِ اللاهي

يا سيداً ما لَهُ في الناسِ من شَبَهٍ
وكم عبيدٍ لهُ في الحبِّ أشباهي(١)

إذا خَطَرتَ ببالٍ منك في عُمُري
وقتاً كَفاني عن عزٍّ وعن جاهِ

(١) ذكرت الابيات الخمسة الاولى في الوافي بالوفيات وأعيان العصر ج٧ وفوات الوفيات ونفح الطيب ج٣ ص٣٠٨ .

(٢) كذا في الاصل ، أما في المصادر السابقة : شوق لذاك ..

(٣) كذا في الاصل ونفح الطيب ، اما في المصادر الاخرى : ودلهت الفؤاد .. وفي نسخة اخرى من نفح الطيب : أسهرت قلبي ودلهت الفؤاد هوى .

(٤) كذا في الاصل والمصادر الاخرى ، أما في نفح الطيب : نهيت قلبي .

(٥) هذا البيت والذي بعده لم يذكر في المصادر الاخرى .

٢٣٣

وقال(١) رحمه الله : الخفيف

لَم أُؤَخِّرْ عَمَّن أُحِبُّ كِتابي
لِقِلىً فيه أو لِتَركِ هَواهُ(٢)
غيرَ أني إذا كَتبتُ كِتاباً
غلبَ الدمعُ مُقلتي فَمحاهُ

٢٣٤

وقال(٣) رحمه الله في صفات الحروف واخراجها مخرج التغزل :

الخفيف

أنا هاوٍ لِمُستطيلٍ أَغَنٍّ
كلما اشتدَّ صارَتْ النفسُ رَخوَهْ
أهمِسُ القولَ وهو يجهَرُ سِرّاً
واذا ما انخفضتُ أظهرَ عَلْوَهْ(٤)
فتحَ الوصلَ ثم اطبقَ هَجْراً
بصفيرٍ والقلبَ قلقلَ شَجوَهْ(٥)
لانَ دهراً ثم اغتدَى ذا انحرافٍ
وفشا السِرُّ مُذْ تكرَّرتُ نَحوَهْ

(٢) ذكرها المقري في نفح الطيب ج٣ ص٣٢٧ ·
(٢) القلى ـ بكسر القاف ـ: البغض والكراهية ·
(٣) ذكرت في الوافي بالوفيات وأعيان العصر ج٧ ، ونكت الهميان وفيه : « وانشدني أيضا في صفحات الحروف » ، كما ذكرت في نفح الطيب ج٣ ص ٣٠٨ ·
(٤) كذا في الاصل أما في المصادر السابقة : وهو يجهر سبي ·
(٥) كذا في الاصل ، أما في المصادر السابقة : ثم أطبق جهرا ·

قافيـة الواو

٢٣٥

[١٧٨] قال غفر الله ذنوبه :

الطويل

سَكِرْتُ ولكنْ منكَ بالمقلةِ النَّشْوَى
فقلبي لا يختارُ عن سُكرِهِ صَحْوَا

ولذَّ ليَ الوَجدُ المُبَرِّحُ في التي
أَمرُّ بها عَيشي وقد كان لي حلْوَا

وقد ملأَتْ كُلّي ببعضِ جمالِها
فما لِسواها فيَّ من مَوضِعٍ خلْوَا

وعلّقْتُها سمراءَ امّا قَوامُها
فللسُّمرِ والألحاظِ للشّادنِ الأحْوَى

تفوقُ سَنىً شمسَ الضُّحَى وهلالها
ولِمْ لا ولَم تَخْشَ كُسوفاً ولا مَحْوَا

تُغازِلُني منها جفونٌ نَواعِسٌ
يؤثّرنَ في اجفانِيَ السُّهدَ والشَّجوَا

عجِبْتُ لهـا اذ نلتقي لا تَـكَلُّمٌ
يكونُ وتدري ما يرادُ من الفَحْوَى
وتُعْرِبُ عما قـد أَكَنَّتْ نفوسُـنا
بلحنٍ ولم تَقْرَأْ كتاباً ولا نَحْوَا
تَرى مُقْلةَ المحبوبِ تقرأُ أَطْرُفـاً
من الحبِّ قد لاحتْ بصفْحَةِ من يَهْوَى

يناجِي ضميري بالمُـرادِ ضميرَهَـا
فيا لُطْفَ مَعْنًى انتجتْ تِلكُم النَّجوَى
وأشكو لهـا وَجـداً قديماً حديثُـهُ
فتُصغِي ولكن لا تُزيلُ لنـا الشَّكْوَى
من التُّرْكِ لم ترْتَـعْ باكنافِ حاجـرٍ
ورَضوَى ولم ترْتَعْ بِنَجْدٍ ولاحُزْوَى[1]
ولكنْ الى خاقـانَ يُعزَى نِجادُهـا
وفي مِصرَ مَرباها وفيهـا لهـا مَثوَى
أَلَـخْصاءَ طَرْفٍ هـل لقلبـيَ مخلَصٌ
الى وَجنـةٍ أَضْحَتْ لنا جنَّةَ المأوَى

[١٧٩]

---

(١) حزوى : موضع بنجد في ديار تميم ، وقيل : جبل بالدهناء ، وقيل : باليمامة ٠ (معجم البلدان) ٠

لئِنْ منعَت منّا زماناً فطالَما
لنا مُنِحَتْ نجني بها كُلَّ ما نهوَى

ونرشِفُ من تلك الثنايا مدامةً
ونلثِمُ من غضِّ الجنَى لعَساً حوّا(١)

٢٣٦

وقال عفا الله عنه :

الطويل

سرَى الجوهرُ العلويُّ للعالمِ العلْوي
وأسكِنَ بطنَ الارض مستودَعَ السَّلوِ

وعطّلَ بيتَ العلمِ والدينِ والحجا
من الذكرِ والقرآنِ والفقهِ والنحوِ

وقد كانَ معموراً بسُنّةِ أحمدٍ
فَها هوَ ذا من بعدِ أُنسٍ بها مقوي

وكانت نُضارٌ فيه شمساً منيرةً
فعوجِلَ ذاكَ النّورُ بالكسفِ والمحوِ

فتاةٌ كأنَّ الحسنَ خيَّرَ اينَ مَنْ
يحِلُّ بها فاختارَها طالبُ البأوِ(٢)

---

(١) لعس : كان في شفته سواد مستحسن •
الحوة : سواد الى الخضرة ، أو حمرة الى السواد فهو أحوى وهي حوّاء ج حوّ •

(٢) بأى يبأى : زهي وافتخر •

جرى الناسُ شأواً للمعالي وقصَّروا
وجاءَتْ نُضارٌ فيه سابقةَ الشأوِ
وما لنضارٍ في البناتِ نظيرةٌ
لفاقَتْ بناتَ الناسِ في الحضرِ والبدوِ
سلامٌ على ذاكَ الشبابِ الذي لها
تردّى رداءَ العلمِ والدينِ والسروِ
سلامٌ على فخرِ البناتِ التي غدَت
لداتٌ لها تزهى بها أيّما زهوِ
يعظّمْنَها إمّا حلَلْنَ بمنتدًى
فيجلسْنَ سُفلاً وهي تجلِسُ في البهوِ
يقبّلْنَ منها الرُّدنَ عظماً لشأنها
فتلقِي لهنَّ الدُّرَّ من منطقٍ حلوِ
أبَعْدَ نُضارٍ أبتغي صفوَ عيشَةٍ
وقد كُدِّرَت، يا بُعدَ عيشي من الصفوِ

[١٨٠]

لقد أشربَتْ قلبي وطرفي ومسمَعي
وما ليَ من فكرٍ وما ليَ من عضوِ
وإنّي معمورُ الزمانِ بشخصِها
يمثلُ لي في الأمسِ و اليومِ والغدْوِ

وعاهدتُ أنّي لا أزالُ إزاءَها
مُقيما كئيباً دائمَ الشوقِ والشَّجْوِ

الى أن تُوافيني شَعوبُ فنرتقي
من الوَهدَةِ السُّفلَى الىالعالَمِ العُلوِي[1]

لئِن كانَ غيرَي قدْ سَها عن حبيبِهِ
فما أنا يوما عن نُضارَ بذي سَهْوِ

وإنْ كان سكرانٌ من الحبِّ قد صَحَا
فاءِنّي سكرانٌ وما لي من صَحْوِ

سقَى روضةً حلّت نُضارُ قرارَها
مُغِبٌ من الغُرِّ الغَوادِي بلا صَحْوِ

ولا زالَ رَيحانٌ يُظِلُّ ضريحَها
فما روضةٌ تَحوِي كمثلِ الذي تَحْوِي

٢٣٧

وقال أيضا رحمه الله :

الطويل

أَيا مانِحيَ الحلواءَ جُوداً ومانعي
على بُخْلٍ أَحلَى وأَشْهَى من الحَلْوَى

---

(١) شعوب : المنية .

رُضابٌ حكَتْهُ الراحُ طَعماً ونَكْهَةً

وان لم تَذُقْهُ الروحُ راحتْ به نَشْوَى

وإنّي ولو ذاقتْهُ دامَ انتشاؤها

الى الأَجَلِ المحتومِ لا تَبتَغي صَحْواً

وقد كُنْتُ أَسْلو لو يَمُنُّ بِرَشْفَةٍ

فلا هُوَ ذُو مَنٍّ ولا أنا ذُو سَلْوَى

قافية الياء

٢٣٨

قال رحمه الله تعالى [١٨١] :

الطويل

بروحي مُكارٍ ما جَفا جَفني الكَرى
ولا ضلّ عقلي في هواهٍ ولا وعْيِ

هو الظبيُ في جِيدٍ وعَينٍ ونَفرةٍ
وإن لا يكُنْهُ فهو حقاً أخُو الظبيِ

ألَمْ ترَ أنّ الظبيَ ينفِرُ ساعِيا
وهذا حبيبي في نِفارٍ وفي سَعْيِ

حكَى الشَّمْسَ في التَّسيارِ والبدرَ في السُّرى
فباليومِ في سيرٍ وبالليل في سُرّيِ

وفاتَهُما عَقْلاً ونُطقاً وصُورَةً
وليس جمادٌ في الفضائِلِ كالحيِّ

وعابُوه بالخلْقان وهي التي غَدَتْ
على جِسمِهِ الفضيِّ أبهَى من الحلْيِ

كتمتُ الهوَى عنه فكانَ مُطاوعي
وما مِن خلافٍ منه في الأمرِ والنّهْيِ

أشاهدُ منه صورةً مَلَكِيَّةً
تنزّلُ منها سورةُ الحُبِّ لا الوَحيِ

وأَبْصِرُ منهُ البدرَ في الارضِ ماشياً
ومن ذا الذي يستخدِمُ البدرَ بالمَشيِ

نتائِجُ هذا كُلِّهِ الكتمُ للهَوى
وكَتْمُ الهوى من عادةِ الحازِمِ الرَّأيِ

وكُنْتُ امْرءاً أَهْوى الجمالَ ولم أَشِبْ
وِدادِي يوماً باتِّباعي للغَيِّ

٢٣٩

وقال رضي الله تعالى عنه :

الطويل

إِذا كانَ للانسانِ عندكَ حاجةٌ
أتَى رائحاً فيها اليكَ وغادِيا

فان تَقْضِها يوما فليسَ مُسَلِّماً
عليكَ ويهوى أَنْ يرى لك ناعيا

٢٤٠

وقال عفا الله تعالى عنه [١٨٢] :

الطويل

إِذا ما شَرِبْتُ الرَّاحَ يا صاحِ فاتَني
لأَرْشِفَ من ذاكَ الرُّضابِ بَقاياها

فاءِنْ فاتني رَشْفُ المُدامِ فاءِنني
ساقنَعُ منها بانتشاقِي رَيّاها

وقال عفا الله عنه :

الطويل

هي الوَجْنَةُ الحمراء والشَفَةُ اللَمْيا
لقد تركاني في الهوى ميّتاً حيّا[١]

هما ألبَسا جسمي سَقاماً وأوْرَثا
فؤاديْ غراماً حِمْلُه الصبَّ قد أعْيا

فمن مُهجتي نارٌ ومن مُقلتي حيا
متى اشتعلَت هذي تزَيد ذا جرَيا

وبي منْ إذا ناجيتُه ذُبْتُ هيبةً
وجانَبْته جَهْراً وهِمتُ به خِفيا

مليحٌ إذا ما لاحَ أبْهتَ من رَنا
فأردَى الذي أنأى وأحْيا الذي حيّا

عليمٌ بنِيّاتِ النفوسِ وما حَوَتْ
كأنَّ له من نحْوِ أسْرارِها وَحيا

تجمَّعَت الأضدادُ فيه محاسِنا
فعبستُهُ مَوْتٌ وبَسمَتُه مَحيا

وغُرّتُهُ بدرٌ وطُرّتُهُ دُجىً
وأعطافه ظمأى وأردافه رَيّا

(١) الشفة اللمياء : هي التي بها سواد .

أعارَ اعتِدالاً كُلَّ غُصنٍ كمثلِ ما
أعارَ السَّنَى والنّاضِرَ الشَّمسَ والظَّبيا

وأَخْجَلَ نورَ الشمسِ لما تقابَلا
فحُمرتُهُ إذْ غابَ من فَرطِ ما استحيا

عجِبتُ لخالٍ حَلَّ في وَسْطِ أنفِهِ
وعَهدي به وَسْطَ الخُدودِ يرَى وَشْيا

ولكنّما خَدّاهُ فيه تغايَرا
هوًى فابتغَى من وجهِهِ أوسَطَ الأشيا

[١٨٣]

وحُسنُ الفتَى في الأنفِ والأنفُ عاطِلٌ
فكيف اذا ما الخالُ كانَ له طَيَّا

أيا باخِلاً حتّى بتقبيلِ كَفِّهِ
على من سَخا حتّى بحَوباه في الدنيا(١)

ألم تَدرِ أنّي طوعُ حُسنِكَ دائماً
وقلبيَ لا يَعْصيكَ أمراً ولا نَهْيا

(١) هـذا البيت والذي بعده مذكوران في المنهل الصافي ج٣ ص ٣٢٣ أ ــ ب • وفيه : حتى بمهجته هديا •
حوباه : نفسه •

٢٤٢

وقال(١) عفا الله عنه : **الطويل**

عِداتي(٢) لهُم فضلٌ عليَّ ومِنَّةٌ
فلا أذهبَ الرحمنُ عنّي الأعادِيا(٣)
همُ بَحثوا عن زلَّتي فاجتنبْتُها(٤)
وهم نافَسُوني فاكتَسَبْتُ المعاليا(٥)

٢٤٣

وقال رضي الله عنه : **البسيط**

اللهُ أكْبرُ هذا الريمُ روميُّ
أمْ أحْورٌ عادَنا من عَدن حُوريُّ

---

(١) البيتان في الوافي بالوفيات وأعيان العصر ج٧ وفوات الوفيات وطبقات الشافعية ج٦ ص٣٥ وفيه : « انشدني شيخنا أبو حيان لنفسه بقراءتي عليه » ، وطبقات الشافعية للاسنوي ورقة ٩٧ والكتيبة الكامنة ص٨٥ والدرر الكامنة ج٤ ص٣٠٥ وبغية الوعاة ج١ ص٢٨٣ ونفح الطيب ج٣ ص ٢٩٠ وفيه : « واخذ هذا المعنى من قول الطغرائي :

من خص بالود الصحاب فانني ... أحبوا بخالص ودي الاعداءا
جعلوا التنافس في المعالي ديدن ... حتى وطئت بأخمصي الجوزاءا
ونعوا الي مثالبي فحذرتها ... ونفيت عن أخلاقي الاقذاءا
ولربما انتفع الفتى بعدوه ... كالسم أحيانا يكون دواءا

وشذرات الذهب ج٦ ص١٤٧ والبدر الطالع ج٢ ص٢٩١ وروضات الجنات ج٤ ص٢٠٥ .

وتنظر ص٥١ من هذا الديوان .

(٢) كذا في الاصل ومعظم المصادر ، أما في البغية والبدر الطالع والدرر والشذرات : عداي .

(٣) كذا في الاصل ومعظم المصادر ، أما في البدر الطالع والدرر فلا صرف الرحمن .

(٤) كذا في الاصل ومعظم المصادر ، اما في الكتيبة : فسترتها .

(٥) كذا في الاصل وجميع المصادر اما في طبقات الاسنوى : فاجتنيت المعاليا .

مُوَحَّدُ الذاتِ لا تُحصَى محاسِنُهُ
بالطَّرفِ مُبتذلٌ بالسَّيفِ مَحمِي

سناهُ والشَّعْرُ والهادِي وقامتهُ
صبحٌ وليلٌ وبِلَّورٌ وخِطِّيُّ

٢٤٤

وقال وكتب الى التاج مظفر الذهبي :

الكامل

قلّدتَ طرسي من حُلاكَ جَواهرا
فغدا ومنظرُهُ البهيمُ بهِيُّ

دُرَرٌ تَوَدُّ الغيدُ من شَغَفٍ بها
لو كانَ منها للنُّحورِ حُلِيُّ

أبهتْنَ لما لُحنَ كُلَّ مفَوَّهٍ
فالطرفُ مُعْيٍ واللسانُ عَيِيُّ

للهِ مِنها مُذهباتٍ شُرَّدٍ
للتاجِ يَنْمَى دُرُّها الصدَفيُّ

[١٨٤]

* *

فكتب اليه التاج مظفر بخطه :

الكامل

فَخْراً أَبا حيان أَنْتَ أَثيرُ د
ينِ اللهِ مَجدكَ في الاثيرِ عليُّ
أَغْرَبْتَ إذ أعربتَ عن أدبٍ لقد
فُقْتَ العراقَ وأنتَ أندلسيُّ
يا حَبْرَ عِلْمٍ صَدْرُه بحرٌ طَما
باللَّفظِ منك لكُلِّ راوٍ رِيُّ
هَذَّبتَ ما ذَهَبتُ من نَظمي لقد
عطَّرْتَهُ بالنَّشرِ فهو ذكيُّ

٢٤٥

وقال(١) رحمة الله عليه :

الطويل

أما أنَّهُ لولا ثلاثٌ أُحِبُّها
تمنَّيتُ أني لا أُعَدُّ من الأَحيا

---

(١) ذكرها المقرى في نفح الطيب ج٣ ص ٣٢٤ ، وقال قبلها : « وقد أورد قاضي القضاة ابن جماعة للشيخ أبي حيان من النظم غير ما قدمنا ذكره ... » . وذكرها في ص ٤١٠ من الجزء نفسه وقال : « وأنشد أبو حيان لابي جعفر احمد بن صابر القيسي :

لولا ثلاث هن والله من ... أكبر آمالي في الدنيا
حج لبيت الله أرجو به ... أن يقبل النية والسعيا
والعلم تحصيلا ونشراً اذا ... رويت أوسعت له ريا
وأصل ود أسأل الله أنْ ... يمتع بالبقيا وباللقيا
ماكنت أخشى الموت أنّى أتى ... بل لم أكن ألتذ بالبقيا

وقال أبو حيان فى هذه المادة : أما انه لولا ثلاث ... » ثم ذكر الابيات .

فمِنها رَجائي أنْ أفوزَ بتوبةٍ
تُكَفِّرُ لي ذَنباً وتُنجِحُ لي سَعيا

ومِنهُنَّ صَوني النفسَ عن كلِّ جاهلٍ
لئيم فلا أَمشي الى بابِهِ مَشيا

ومنهُنَّ أخْذي بالحديثِ إذا الورَى
نَسُوا سُنَّةَ المختارِ واتَّبعوا الرَّأْيا

أتَترُكُ نصّاً للرسولِ وتقتدي
بِشخصٍ ، لقد بَدَّلْتَ بالرَّشدِ الغَيا

٢٤٦

وقال(١) غفر الله له : **الوافر**

يقولُ ليَ العذولُ ولم أُطِعْهُ
تَسَلَّ فقد بَدَتْ لِلحِبِّ لِحيَه(٢)

تخيَّلَ أنها شانَت حَبيبي
وعندِي أنَّها زَينٌ وحِلْيَه(٣)

٢٤٧

وقال عفا الله عنه [١٨٥] : **الطويل**

أَذَاتَ اللثامِ الحَمِّ والشَّفَةِ اللَّميا
بعادُكِ لي موتٌ وقُربُكِ لي مَحيا(٤)

---

(١) ذكرت في الوافي بالوفيات ونكت الهميان ص٢٨٢ ، وفيه يقول الصفدي : « وانشدني من لفظه لنفسه » ، واعيان العصر ج٧ وفوات الوفيات ونفح الطيب ج٣ ص٣٠٨ .

(٢) الحب ـ بكسر الحاء ـ : الحبيب .

(٣) شانت : عابت .

(٤) الأحم : هو الاسود من كل شيء والجمع : الحم ـ بضم الحاء ، والشديد السواد . (اللسان ـ حمم)

سكَنتِ فؤاداً لم يزَلْ منكِ خافِقاً
وصيَّرتِ حلوَ العيشِ يا منيتي شَرْيا

برُوحِي التي زارَت بليلٍ وأقبلَتْ
تجرُّ على آثارِها العَصْبَ والوَشْيا

هداها سناها نحو طاوٍ ضلوعَهُ
على سلْوَةٍ ماتت ووجد بها حيّا

تحلَّت بدُرٍّ فوقَ لبَاتِ نحرِها
فكانَ لذاكَ الدُرِّ لبَاتُها حلْيا

ومسَّت بمسواكٍ موشّرَ ثغرِها
فذاقتْ له مِسْكاً ومجَّت به أرْيا

وألْقت به نحوي لتبرد غلَّتي
برشفي له فازدادَ قلبي به غلْيا

من التركِ ضاقَ العينُ منها لبُخلِها
وليست من العينِ التي تُشبِهُ الظَّبيا

سُمَيراءُ حاكَى طائرَ السُّمر قدُّها
حكاهُ ولكن اينَ أردافهُ الرَّيّا

أبى الدمعُ إلاَّ نشرَ حُبّي وإنْ غدا
فؤادي طواه عن جميع الورَى طيّا

٢٤٨

وقال عفا الله عنه : الطويل

وأَغْيدَ من أَبناءِ خاقانَ قد بَدا
له وجنةٌ يجلو سَناها الدَّياجِيا

تعلَّم من عينِ الظِّباءِ نِفارَها
يمرُّ ويأتي لاعِبًا مثلَ ماهِيا

ومرَّ بنا يعدُو وراءَ إِوَزَّةٍ
وقد ذعِرَت منهُ كذُعرِ فؤادِيا

[١٨٦]

عجِبْتُ لهذا الظبيِ يكسِرُ طائراً
وقد كَسَرتْ عيناه أُسداً ضواريا

أَيَجْهلُ هذا الطيرُ أَنَّكَ جارحٌ
ألم يرَ أكبادَ الرجالِ دَوامِيا

٢٤٩

وقال عفا الله عنه : الخفيف

أنا مشطٌ حُزْتُ المَلاحةَ لمّا
سُرِّحتْ بي دبوقةٌ لِعَلِيِّ(١)

كلُّ قلبٍ في حُبِّهِ قَدْ توالى
كيفَ لا واسمُهُ سَمِيُّ الوصِيِّ

* *

تم الديوان المبارك بحمد الله وعونه وحسن توفيقه ، والحمد لله رب العالمين [١٨٧]

---

(١) الدبوقة : الشعر المضفور ، مولدة (القاموس المحيط) .

تكملة الديوان

الهمزة

١

قال من قصيدة في مدح أم ولده حيان(١) :

الطويل

جُنِنْتُ بها سوداء لون وناظرٍ
ويا طالما كان الجنونُ بسَوداءِ

وَجَدْتُ بها بَرْدَ النعيم وإنْ يكن
فؤاديَ منها في جحيمٍ ولأْواءِ(٢)

وشاهَدْتُ معنى الحسن فيها مُجَسَّداً
فاعجبْ لمعنى صار جَوْهَرَ أَشياءِ(٣)

أطاعنةً من قَدِّها بمثقفٍ
أَصَبْتِ وما أغنى الفَتَى لبْسُ حَصّداءِ(٤)

لقد طعنتْ والقلبُ ساهٍ فما دَرَى
أبالقَدِّ منها أم بِصَعْدَةٍ سَمراءِ(٥)

---

(١) هي زوجه زمردة بنت أبرق ام ولده حيان . وقد أسمعها الكثير على الابرقوهي وغيره ، وحدثت وسمع منها البرزالي ، وماتت في ربيع الاول سنة ٧٣٦هـ . وكانت تكنى « أم حيان » . (ينظر الدرر الكامنة ج٢ ص١١٦) .

(٢) اللأواء : المشقة والشدة ، وقيل : القحط . ويقال : « أصابتهم لأواء وشأصاء » ، وتكون اللأواء في العلة . وقال العجاج :
وحالت اللأواء دون نسعي

(٣) جوهر الشيء : ما وضعت عليه جبلته .

(٤) المثقف : الرمح . الحصداء : الدرع ضيقة الحلق ، المحكمه .

(٥) الصعدة : القناة المستوية .

ثم غير البيت الاول وانشد :

جُنِنْتُ بها سـوداءَ شـعرٍ وناظـرٍ
وسـمراءَ لون تزدري كُلَّ بيضـاءِ

التخـريج :

١ ـ نفح الطيب ج٣ ص٣٢٥ •

٢

ومن ذلك قوله في فتى يسمى مظلوما :

الطـويل

وما كنتُ أدري أنَّ مالِكَ مهجتي
يُسَمَّى بمظـلومٍ ، وظـلمٌ جفاؤُه
الى أنْ دعـاني للهـوى فأجَبْتـه
ومـن يَكُ مظـلوماً أُجيبَ دعـاؤه

التخـريج :

١ ـ الكتيبة الكامنة في من لقيناه بالاندلس من شعراء المائة الثامنة للسان الدين ابن الخطيب ص٨٥ • وذكر أنهما من بديع ما ينسب الى ابي حيان •

البـاء

٣

وقـال : **الطويل**

وما لَكَ والإتعابَ نفساً شريفةً
وتكليفَها في الدهر ما ليس يَعْذُبُ
أرِحْها فعن قُرْبٍ تلاقي حِمامَها
فتنعمُ في دارِ البقا أو تُعَذَّبُ

التخـريج :

١ ـ نفح الطيب ج٣ ص٣٤٠ ـ ٣٤١ وذكر المقرى بعدهما : « واستشكل هذان البيتان بان ظاهرهما خلاف الشرع ، وأجيب بان مراده أمر الرزق لا أمر التكليف » .

٤

وقـال : **الطويل**

إذا غاب عن عيني أقول : سَلَوْتُهُ
وإن لاحَ حالَ اللونُ فاضطرب القَلْبُ
يُهَيِّجني عيناهُ والمبسمُ الذي
بهِ المِسْكُ منظومٌ به اللؤلؤ الرَّطْبُ

التخـريج :

١ ـ نفح الطيب ج٣ ص٣٤٠ . وذكر المقري قبل هذين البيتين : « وبعد كتبي ما نقله ابن رشيد عن أبي حيان ، رأيت لبعضهم أن أبا حيان هذا الذي ذكره ابن رشيد ليس هو أبو حيان النحوي الاندلسي ، وانما هو شخص آخر . وفيه عندي نظر لا يخفى . والذي اعتقده ولا أرتاب فيه أنه أبو حيان النحوي . وقال ابن رشيد وأنشدني أبو حيان لنفسه : اذا غاب ... » .

٥

وقـال :

الطويل

أُريد من الدنيـا ثلاثاً وإنَّهـا
لغايةُ مطلوبٍ لمن هو طالِبُ
تلاوةُ قـرآنٍ ونفسٌ عَفيفَـةٌ
وإِكثارُ أَعمالٍ عليهـا أُواظِبُ

التخـريج :

١ ـ نفح الطيب ج٣ ص٣٢٠ ، نقلا عن البرنامج للفقيه المحدث أبي عبدالله محمد بن سعيد الرعيني الاندلسي تلميذ أبي حيان .

٦

وقـال :

الطـويل

سعت حَيَّـةٌ من شَعْرِه نحـو صُدْغه
وما انْفَصَلَتْ من خَدِّه إنَّ ذا عَجبْ (١)
وأَعجبُ مِنْ ذا أَنَّ سلسـالَ ريقـه
بَرُودٌ ، ولكن شَبَّ في قلبيَ اللَّهَبْ (٢)

التخـريج :

١ ـ نفح الطيب ج٣ ص٣٣٠ .

---

(١) الصدغ : ما بين العين والاذنين ، ويسمى أيضا الشعر المتدلي عليه صدغا ، يقال « صدغ معقرب » .

(٢) برود ـ بفتح الباء ـ بزنة (صبور) : بارد .
شب : اضطرم أو أضرم .
اللهب : النار .

٧

وقال في رثاء أستاذه أبي عبدالله بن علي بن يوسف بن محمد بن يوسف الانصارى الشاطبي البلنسي(١) ، وأنشدها ارتجالا :

المتقارب

نُعي لي الرَّضيُّ فقلت لقد
نُعي ليَ شيخُ العُلا والأَدَبْ

فَمَنْ للغاتِ ؟ ومَنْ للثقاتِ ؟
ومَنْ للنُحاة ؟ ومَنْ للنَّسَبْ ؟

لقد كان للعلمِ بَحْراً فغارَ
وإنَّ غؤورَ البحارِ العجب

فقُدِّس من عالِمٍ عاملٍ
أثار لشجويَ لمّا ذهب

التخريج :

١ ـ الحلل السندسية ج٣ ص٢٠٧ ، ولم يذكر المصدر الذي استقى منه الابيات .

٨

وقال في أعمى :

البسيط

ما ضرَّ حُسْنُ الذي أهواه أنَّ سنى
كريمتيه بلا شَيْنٍ قد احتجبا(١)

---

(١) هو محمد بن علي بن يوسف رضي الدين أبو عبدالله الانصارى الشاطبي اللغوى . ولد ببلنسية سنة ٦٠١هـ . كان امام عصره في اللغة ، وروى عنه أبو حيان وآخرون . توفى في القاهرة سنة ٦٨٤هـ . (ينظر بغية الوعاة ج١ ص ١٩٤) .

(١) الشين : يقال شانه يشينه : ضد زانه .

قد كانتا زَهْرَتَي روض وقد ذوتا

لكنَّ حُسْنَهما الفتّان ما ذهبا[1]

كالسيفِ قد زال عنه صقْله فغدا

أنكى وآلمَ في قلبِ الذي ضربا

التخريج :

١ ـ الوافي بالوفيات ، يقول الصفدي : « وانشدني لنفسه ومن خطه نقلت في مليح أعمى » .

٢ ـ أعيان العصر واعوان النصر للصفدي ج٧ .

٣ ـ نفح الطيب للمقري ج٣ ص٣٠١ ـ ٣٠٢ .

٩

وقال :

الطويل

شكا الخصْرُ منه ما يلاقي بردْفه

ويضْعفُ غصنَ البانِ جرُّ كثيبِ

إذا كان منه البَعْضُ يَظْلِمُ بعضَه

فما حالُ مشتطِّ الديارِ غريبِ[2]

التخريج :

١ ـ الكتيبة الكامنة في من لقيناه بالاندلس من شعراء المائة الثامنة للسان الدين ابن الخطيب ص٨٥ . وذكر انهما من أبدع ما ينسب الى أبي حيان من المقطوعات .

---

(١) كذا في الوافي بالوفيات واعيان العصر ونفح الطيب ، ولكن جاء في احدى نسخ نفح الطيب هكذا : « لكن حسنهما الفتان قد ذهبا » .

(٢) شط : بعد .

١٠

وقال : الخفيف

جُنَّ غيْري بعارضٍ فترجّى
أهلُه أن يفيقَ عمّا قريبِ
وفؤادي بعارضين مُصابٌ
فهو داءٌ أعيا دَواءَ الطبيبِ(١)

التخريج :

١ - الكتيبة الكامنة في من لقيناه بالاندلس من شعراء المائة الثامنة للسان الدين بن الخطيب ص ٨٥ . وذكر انهما من بديع ما ينسب الى أبي حيان من المقطوعات .

٢ - نفح الطيب ج٣ ص٣٢٩ .

١١

وقال رحمه الله : مخلع البسيط

بَعيدُ ودٍّ ، قريبُ صَدٍّ
كثير عَتْبٍ ، قليلُ عُتّبَى(٢)
كالشمسِ ظَرْفاً ، كالمسك عَرْفاً
كالخِشْفِ طَرْفا ، كالصخر قَلْبا(٣)

---

(١) كذا في نفح الطيب ، اما في الكتيبة : أعيا فؤاد الطبيب . عارضتا الانسان : صفحتا خديه . وقولهم : « فلان خفيف العارضين » يراد به خفة شعر عارضيه .

(٢) العتبى : المسرة بعد الاساءة .

(٣) الظرف : الكياسة ، والظرف انما هو في اللسان أو هو حسن الوجه والهيئة ، أو يكون في الوجه واللسان .
العرف : الريح طيبة أو منتنة ، وأكثر استعماله في الطيبة . والعرف : نبات أو الثمام .
الخشف : ولد الظبي أول ما يولد ، أو أول مشيه ، أو التي نفرت من اولادها وتشردت . جمعه كقردة .

التخـريج :

١ ــ الكتيبة الكامنة في من لقيناه بالاندلس من شعراء المائة الثامنة للسان الدين ابن الخطيب ص ٨٦ • وذكر انهما من أبدع ما ينسب الى أبي حيان من المقطوعات •

١٢

وقـال :

البسيط

يا نَفْسُ مالَـكِ تَهْوَيْنَ الاقـامة في
أرضٍ تَعَـذَّرَ كُـلٌّ من مناكِ بِهـا
أما تلوتِ وعجـزُ المـرءِ منقصـةٌ
في محكم الوحي « فامشـوا في مناكبها »[١]

التخـريج :

١ ــ نفح الطيب ج ٧ ص ١١٨ • يقول المقري قبلهما : « ومن الغريب في توارد الخواطر ما وجد بخط الأديب البارع المحدث الكاتب أبي عبدالله محمـد ابن الشيخ الكبير أبي القاسم جزي الكلبي رحمهما الله تعالى ما معناه : قلت هذه القطعة :

ومعسـول اللـمى عـادت عـذابا   على قلبـي ثنايـاه العـذاب
وقـد كـتب العـذار بوجنتيه   كتـابا خَطُّ قـارئه اكتئـاب
وقالوا : لو سلوت ، فقلت خـيراً   وأنّى لي ؟ وقـد سـبق الكتاب

ثم عرضتها على شيخنا القاضي أبي القاسم الشريف بعد نظمها بمدة يسيرة فقال لي : قد نظمت هذا المعنى بالعروض والقافية في هذه الأيام اليسيرة ، وانشدني :

---

(١) قال تعالى في سورة الملك ، الآية ١٥ : « هو الذى جعل لكم الارض ذلولا فامشوا في مناكبها » •

واحور زان خديه عـذار ٠ ٠ ٠

وهذا يقع كثيرا ، منه ما وقع لابن الرقام حيث قال : من شعر عمي قوله :

جُلْ في البلاد تنل عِزاً وتكرمةً في أي أرض فكن تبلغ مناك بها[١]
جلْ الفـوائد بالاســفار مكتسبٌ والله قد قال (فامشوا في مناكبها)

فقال له الفقيه ابن حذلم : مثل هذا وقع لابي حيان حيث قال : يانفس ٠٠٠٠

---

(١) جل : أمر من الجولان ، وهو التنقل في البلاد ٠

التـاء

١٣

ومن أبياته في غرض التصوف قوله في جيد كلامه :

الطويل

تَفَرَّدْتُ لمـا أنْ جُمِعْتُ بذاتي
وأسكنْتُ لما أنْ بَدَتْ حَرَكاتي

فلم أرَ في الأكوانِ غيري لأنني
أزحْتُ عن الأغيـارِ روحَ حياتي

وقدَّسْتُها عن رُتبةٍ لو تَعَيَّنَتْ
لها دائماً دامتْ لهـا حَسَراتي

فها أنا قد أصعَدْتُها عن حَضيضها
الى رتبـةٍ تقضـي لهـا بثبـاتِ

تشاهِدُ معنىً ، روضُـه أذْهَبَ العنـا
وأيقظنـي للحقِ بَعـد سِناتي[١]

أقـامت زمانـا في حجـابٍ فعنـدما
تزحزح عنهـا رامتِ الخلـواتِ

---

(١) الوسن والسنة : النعاس . وقد وسن الرجل ـ بالكسر ـ يوسن وسناً فهو وسنان ، واستوسن مثله .

لنقضيْ بهـا مـا فـات من طِيبِ أنْسِـنا

بهـا وننالَ الجمـع بعـد شـتاتِ

التخـريج :

١ ـ الكتيبة الكامنة في من لقيناه بالاندلس من شعراء المائة الثامنة للسان الدين بن الخطيب ص **٨٢ ـ ٨٣** .

الثـاء

١٤

وقـال :

الطويل

أَلا إِنَّ أَلحـاظاً بقلبـي عوابِثـا
أَظُنُّ بهـا هاروت أصبـح نافثا(١)

إِذا رام ذو وَجْدٍ سُـلواً مَنَعْنَه
وكُنَّ على دِينِ التَّصـابي بواعِثـا

وَقَيَّدْنَ مَنْ أَضْحى عن الحب مُطلقـاً
وأَسْرَعْنَ للبلوى بمن كان رائثا(٢)

بروحي رَشـاً من آل خاقـان راحِلٌ
وإن كانَ مـا بين الجوانحِ لابثـا(٣)

---

(١) كذا في أعيان العصر ونفح الطيب ، أما في الوافي بالوفيات وفي نسخة أخرى من نفح الطيب : الا يالها لحظا بقلبي عوابثا ·
ورد ذكر هاروت في القرآن الكريم قال تعالى في سورة البقرة الآية ١٠٢ : « واتبعوا ما تتلو الشياطين على ملك سليمان وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا ، يعلمون الناس السحر وما انزل على الملكين ببابل هاروت وماروت وما يعلمان من أحد حتى يقولا انما نحن فتنة فلا تكفر فيتعلمون منهما ما يفرقون بـه بين المرء وزوجه وما هم بضارين به من أحد الا باذن الله ، ويتعلمون ما يضرهم ولا ينفعهم ، ولقد علموا لمن اشتراه ما له في الآخرة من خلاق ولبئس ما شروا به أنفسهم لو كانوا يعلمون » ·

(٢) رائثا : مبطئاً ، الريث : الابطاء ·

(٣) الرشأ : الظبي اذا قوى ومشى مع أمه ·

غدا واحداً في الحُسْنِ للفضل ثانيا
وللبـــدر والشمس المنــيرةِ ثالثـا

التخـريج :

١ ـ الوافي بالوفيات للصفدي .

٢ ـ أعيان العصر واعوان النصر للصفدي ج٧ .

٣ ـ نفح الطيب للمقري ج٣ ص٣٠٩ .

الحاء

١٥

قال أبو حيان : « وكنت ماشياً بين القصرين مع ابن النحاس[١] ، فعبر علينا صبي يدعي شهرته بجمال ، وكان مصارعا فقال البهاء : لينظم كل منا فيه » . ثم قال :

البسيط

مصارعٌ تصرعُ الآسادَ شـــهرتُه
تيهـاً ، فكلٌّ مليحٍ دُونـه سَمِج
لما غدا راجِحاً في الحُسْنِ قلت لهم :
عن حُسْنِهِ حَدِّثوا عنـه ولا حَرَجُ

فنظمت أنا :

الطويل

سَباني جمـالٌ من مَليـحٍ مُصارعٍ
عليـه دليـلٌ للملاحةِ واضِـحُ
لئن عزَّ منـه المِثْلُ فالـكلُّ دونَـه
وإنْ خَفَّ منهالخَصْرُ فالرِّدْفُ راجحُ[٢]

التخـريج :

١ ـ نفح الطيب ج٣ ص٣٣٦ .

---

(١) هو محمد بن ابراهيم بن محمد بن أبي نصر الامـــام أبو عبدالله بهاء الدين بن النحاس الحلبي النحوى شيخ الديار المصرية فى علم اللسان وهو استاذ أبي حيان . ولد سنة ٦٢٧هـ ، ومات ســـنة ٦٩٨هـ . (ينظر بغية الوعاة ج١ ص١٣) .

(٢) الخصر : وسط الانسان ، وكشح مخصر : أى دقيق .
الردف : الكفل والعجز .

١٦

وقال مادحا احمد بن علي بن احمد الهمداني ثم الكوفي الحنفي فخرالدين الشهير بابن الفصيح(١) :

الخفيف

شَرُفَ الشّامُ واستنارَتْ رباه

بإمام الائمة ابْنِ الفَصيحِ

كُلَّ يَوْمٍ له دروسُ علومٍ

بلِسانٍ عَذْبٍ وفِكْرٍ صَحيحِ

التخريج :

١ ـ الدرر الكامنة ج ١ ص ٢٠٥ • وذكر ابن حجر بعدهما : «وقال العلامة ابن خطيب الناصرية : انهما من أبيات والله أعلم»•

٢ ـ تاج التراجم في طبقات الحنفية لابن قطلوبغا ص ١٣ (ترجمة ابن الفصيح) وقال قبل هذين البيتين : « كتب اليه الشيخ أثير الدين ابو حيان لما قدم دمشق قصيداً منها : شرف الشام ••••

١٧

ومن شعره في النسيب وما يناسبه ، قوله :

الكامل

كتم اللسانُ ، ومدمعي قد باحا

وثوى الأسى عندي وأنسي راحا

---

(١) هو احمد بن علي بن احمد فخر الدين أبو طالب الشهير بابن الفصيح • درّس ببغداد وقدم دمشق فاعاد وافاد ومهر في حل المشكلات والغوامض ونظم الكنز في الفقه ، والسراجية في الفرائض ، والمنار في أصول الفقه • ونظم شاطبية اظهر رمزها وجاءت أصغر من الشاطبية • وسمع على الصاغاني وروى عنه • وكانت وفاته بدمشق يوم الاحد السادس والعشرين من شعبان سنة خمس وخمسين وسبعمائة ومولده سنة ثمانين وستمائة ، وقد قارب الثمانين • (ينظر تاج التراجم في طبقات الحنفية ص ١٣) •

إني لَصَبٌّ طيَّ ما نشرَ الهوى
نَشْراً ، وما زال الهوى فضّاحا

وبمهجتي من لا أُصرّح باسْمِه
ومن الاشارة ما يكون صراحا

رِيمٌ أرومُ حنوَّه وجنوحَه
ويرومُ عني جفوةً وجماحا(١)

أبدى لنا من شَعْره وجبينه
خدين : ذا ليلاً ، وذا إصباحا

عَجباً له يأسو الجسومَ بطبه
ولكَمْ بأرواحٍ أثارَ جراحا(٢)

فبلفظِه بُرْءُ الأخيذِ ، ولحظه
أخْذُ البريءِ ، فما يطيقُ براحا(٣)

نادَمْتُه في ليلةٍ لا ثالثٌ
إلاّ أخوه البدرُ غارَ فلاحا

يا حُسْنَها من ليلةٍ لو أنّها
دامتْ ومَدّت للوصال جَناحا

التخريج :

١ ـ الكتيبة الكامنة في من لقيناه بالاندلس من شعراء المائة الثامنة للسان الدين ابن الخطيب ص ٨٣ .

---

(١) الريم : الظبي الخالص البياض .
الجماح : جمح الفرس جماحا : تغلب على راكبه وذهب به لا ينثني .

(٢) يأسو : أسا الجرح أسواً وأساً : داواه .

(٣) الأخيذ : الأسير والمسحور .

الـدال

١٨

وقال سامحه الله تعالى :

الطويل

تعشقته شيخاً كأنّ مشيبه
على وجنتيه ياسمين على وَرْدِ
أخا العَقْلِ[١] يدري ما يراد من النهى[٢]
أَمنتُ عليه من رقيبٍ ومن ضدّ[٣]
وقالوا[٤] : الورى قسمان في شرعة الهوى
لسود اللحى ناسٌ ، وناسٌ الى المرْدِ
ألا إنني لو كنتُ أصبو لأمردٍ
صبوت الى هيفاءَ مائسةِ القدّ[٥]
وسود اللحى أبصرت فيهم مشاركاً
فأَحْبَبْتُ أَنْ أبقى بأبيضهم وَحْدي

التخريج :

١ ـ الوافي بالوفيات للصفدي ٠

---

(١) كذا في الوافي بالوفيات ونكت الهميان ونفح الطيب ، أما في فوات الوفيات : أخا الفضل ٠

(٢) كذا في الوافي بالوفيات ونكت الهميان ، أما في فوات الوفيات ونفح الطيب : ما يراد من الهوى ٠

(٣) كذا في الوافي بالوفيات ونكت الهميان وفوات الوفيات ، أما في نفح الطيب : ومن صد ٠

(٤) كذا في الوافي بالوفيات ونكت الهميان وأعيان العصر ونفح الطيب ، اما في فوات الوفيات : وقال ٠

(٥) ماس يميس فهو مائس : متبختر ٠

٢ ـ نكت الهميان في نكت العميان ص ٢٨٢ • وقال الصفدي : « وأنشدني من لفظه لنفسه » •
٣ ـ أعيان العصر وأعوان النصر ج٧ •
٤ ـ فوات الوفيات ج٢ ص٥٥٧ •
٥ ـ نفح الطيب للمقري ج٣ ص٣٠٩ •

١٩

وقال :

البسيط

يا مُنضِيَ الطَّرْفِ في مَيدان لذته
وناضيَ الطَّرْفِ بين الراحِ والرَّودِ(١)

ستشربُ الراحَ راحَ الوقتَ كارهةً
ويذهبُ الجسمُ بين التُرْبِ والدُّودِ

التخريج :

١ ـ نفح الطيب ج٣ ص٣٢٥ •

٢٠

وقال ـ رحمه الله ـ في مليح فحّام :

الطويل

وعلَّقْتُهُ مسودَّ عينٍ ووفرةٍ
وثوبٍ يعاني صنعةَ الفحم عن قَصْدِ(٢)

(١) نضاه من ثوبه : جرده ، أنضاه : هزله وأعطاه نضواً ، وانضى الثوب : أبلاه • الرود : جمع زاد ، وهي الطوافة في بيوت جاراتها ، والرادة : سريعة الشباب ، وريح رود : لينة الهبوب ، وكذلك المراة •
(٢) الوفرة : الشعر المجتمع على الرأس ، أو ما سال على الاذنين منه ، أو ما جاوز شحمة الاذن •

كأنَّ خطوطَ الفحمِ في وَجناتِه

لطاخةُ مسكٍ في جَنيٍّ من الوَرْدِ

التخريج :

١ - الوافي بالوفيات للصفدي •

٢ - أعيان العصر وأعوان النصر ج ٧ • وقال الصفدي : « وانشدني من لفظه لنفسه في فحّام » •

٣ - فوات الوفيات ج٢ ص٥٥٧ •

٤ - نفح الطيب ج٣ ص٣١٠ •

٢١

وقال رحمه الله تعالى :

المديد

خَلِقَ الانسانُ في كَبَدِ(١)

بوجودِ الأهْلِ والوَلَدِ

كُلُّ عضْوٍ فيه نافعُه

غيرَ عضوٍ ضرَّ للأَبَدِ

منتجٌ ذُلاً وفقْدَ غِنى

وفراخاً جمَّةَ العَددِ

من يَمُتْ منهم يُذِقْه أسىً

أو يعش ألقاه في نكدِ

---

(١) قال تعالى في سورة البلد الآية ٤ : « لقد خلقنا الانسان في كبد » • أي في شدة الامر وصعوبة الخطب • (ينظر الكشاف للزمخشري ج٤ ص ٦٠٢) •

عاشَ في أَمْنٍ فتًى عزَبٌ
مستريحُ الفِكْرِ والجَسَدِ[1]

التخريج :

١ - نفح الطيب ج٣ ص ٣٢٩ .

٢٢

وقال :

الخفيف

إِنَّ عِلْماً تعبتُ فيه زماني
باذِلاً فيه طارِفي وتِلادي[2]
لجديرٌ بأنْ يكونَ عزيزاً
ومَصوناً إِلاَّ على الأَجوادِ

التخريج :

١ - نفح الطيب ج٣ ص٣٤٠ .

٢٣

وقال :

الطويل

وقابلني في الدرسِ أبيضُ ناعِمٌ
وأسمرُ لدنٌ أورثا جسمي الرَّدَى[3]
فذا هزَّ من عطفيه رُمحاً مثقفاً
وذا سَلَّ من جفنيه عَضْباً مُهنداً[4]

---

(١) العزب : من لا أهل له ، ولا يقال : أعزب .
(٢) الطارف : الجديد .
التالد : القديم الموروث .
(٣) اللدن : اللين من كل شيء ، جمعه لدان ولدن .
(٤) العضب : السيف والرجل الحديد الكلام .
المهند : السيف المطبوع من حديد الهند .

التخـريج :

١ ـ تأريخ أبي الفدا ج ٤ ص١٤٢ .

٢ ـ تأريخ ابن الوردي ج٢ ص٣٣٩ ـ ٣٤٠ .

٣ ـ جلاء العينين في المحاكمة بين الاحمدين ص١٨ .

٢٤

قال أحمد بن علي بن عبدالكافي بهاءالدين السبكي(١) يمدح شيخه أبا حيان من قصيدة :

الطويل

فداكم فـؤادٌ حـانَ للبُعْدِ فَقْدُه
وصَبٌّ قضى وَجْداً وما حال عَهْدُه(٢)

وقَلْبٌ جريـحٌ بالغـرامِ مُتَيَّمٌ
وطرْفٌ قريحٌ طال في الليل سُهْدُه(٣)

فأجابه الشيخ أبو حيان بقوله :

أبو حامـدٍ حَتْمٌ على الناسِ حَمْدُه
لما حازَ من علمٍ به بانَ رُشْدُه

غَذِيُّ علومٍ لم يَزَلْ منذ نَشئه
يلوحُ على أُفْقِ المعارفِ سَعْدُه

ذكيٌّ كأنّ قد جاحمَ النارَ ذِهْنُه
ذكاءً ومن شمس الظهيرةِ وَقْدُه(٤)

---

(١) هو احمد بن علي بن عبدالكافي بن علي بن تمام السبكي بهاءالدين ابو حامد . ولد سنة ٧١٩هـ وتوفي ٧٧٣هـ . وهو تلميذ أبي حيان (ينظر بغية الوعاة ج١ ص ٣٤٢) .

(٢) حال يحيل : تغير .

(٣) قريح : قرحه : جرحه ، فهو قريح أى جريح .

(٤) جحمت النار : اضطرمت وكثر جمرها ولهبها وتوقدها .

وَمَنْ حازَ في سِنِّ البلوغِ فضائلاً

زَمانَ اغْتَذى بالعِيِّ والجَهلِ ضِدُّه

التخـريج :

١ ـ بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة ج١ ص٣٤٣ •

٢٥

وقال في مدح النحو :

الطويل

هو العلم لا كالعلم شيءٌ تراوِده

لقد فاز باغيه وانجح قاصِدُه

التخـريج :

١ ـ اعيان العصر واعوان النصر ج٧ • قال الصفدي : « وانشدني من لفظه لنفسه القصيدة الدالية التى نظمها في مدح النحو والخليل وسيبويه ثم خرج منها الى مديح صاحب غرناطة وغيره من أشياخه وأولها : هو العلم ••• وهي قصيدة جيدة تزيد على مائة بيت • وحكي لي ان الشيخ أثير الدين ـ رحمه الله تعالى ـ ضعف فتوجه اليه جماعة يعودونه ، وفيهم شمس الدين ابن دانيال فأنشدهم الشيخ ـ رحمه الله تعالى ـ القصيدة المذكورة • فلما فرغت قال ابن دانيال : يا جماعة : اخبركم ان الشيخ قد عوفي وما بقي عليه بأس لانه لم يبق عنده فضلة ، قوموا باسم الله » •

٢ ـ الوافي بالوفيات للصفدي وذكر ما ذكره في أعيان العصر ، ولم يذكر القصيدة •

٣ ـ نفح الطيب ج ٣ ص ٣١٤ • وقد نقل الكلام السابق عن الصفدي •

الـراء

٢٦

وقال رحمه الله في النسيب :

الـكامل

نورٌ بَخَـدِّكَ أم تَوَقُّدُ نـارِ ؟
وَضنىً بجفنـك أم كـؤوس عقارِ[١] ؟
وشَـذاً بريقـكَ أم تـأرجُ مِسْـكةٍ
وسـنا بثغرك أم شَـعاعُ دراري[٢] ؟
جمِعَتْ معاني الحسـنِ فيك فأصبحت[٣]
قيـدَ القلـوبِ وفتنـةَ الأبصـارِ
متصـاوِنٌ خَفِـرٌ[٤] إذا ناطقْتَـهُ
أغضـى حيـاءً في سـكون وقـارِ
في وجهـه زهـراتُ روضٍ تجتـلى
من نـرجس مـع وردةٍ وبَهـارِ[٥]

---

(١) كذا في الكتيبة الكامنة ، اما في الاحاطة ونفح الطيب : أم فتور عقار •
العقار ـ بالضم ـ الخمر ، سميت بذلك لانها عقرت العقل أو عاقرت الدن ، أى : لازمته • والمعاقرة : ادمان شرب الخمر •

(٢) الشذا : حدة ذكاء الرائحة •
الارج والاريج : توهج ريح الطيب • وأرج الطيب : فاح •
المسك : من الطيب • فارسي معرب ، وكانت العرب تسميه المشموم •

(٣) كذا في الكتيبة ، أما في الاحاطة ونفح الطيب : فقد غدت •

(٤) كذا في الكتيبة ، اما في الاحاطة ونفح الطيب : متصاون خفراً •
الخفر ـ بكسر الفاء ـ شديد الحياء ، والخفر ـ بفتحتين ـ شـدة الحياء •

(٥) البهار : نبت طيب الريح ، وكل حسن منير •

خافَ اقتطافَ الوَرْدِ من وجناته[1]

فأدارَ من آسٍ سياجَ عِذار[2]

وسَلت نملَ العِذارِ بخدِّه

ليرِدنَ شهدةَ ريقه المعطارِ

وبخدِّه وَرْدٌ حَمَتْها وِرْدها

فوقَفْنَ بين الوِرْد والإِصْدارِ[3]

كم ذا أواري في هواه مَحبتي

ولقد وشىٰ بي فيه فَرْطُ أواري[4]

التخريج :

١ ـ الكتيبة الكامنة في من لقيناه بالاندلس من شعراء المائة الثامنة للسان الدين بن الخطيب ص٨٣ ـ ٨٤ ٠

٢ ـ الاحاطة في اخبار غرناطة للسانالدين بن الخطيب ٠

٣ ـ نفح الطيب ج٣ ص٣٣٩ ٠

---

(١) كذا في الكتيبة ، أما في الاحاطة ونفح الطيب : وجناتها ٠

(٢) عذار الرجل : شعره النابت في موضع العذار ، والعذار : جانب اللحية ٠

(٣) الورد ـ بالكسر ـ المجيء ٠ والورّاد : هم الذين يردون الماء ٠ الاصدار : الرجوع ٠

(٤) أوارى : اخفي وأدارى ٠
اوار ـ الثانية ـ : الحرقة ٠

٢٧

جاء أبو حيان الى ابن تيمية(١) والمجلس غاص فقال يمدحه ارتجالا :

البسيط

لما أتينا(٢) تقيَّ الدين لاح لنا
داعٍ الى الله فَرْدٌ ماله وَزَرُ

على محياه من سيما الالى صحبوا
خيرَ البريةِ نورٌ دونه القمرُ

حبْرٌ تسربل منه دهره حِبَراً
بحر تقاذَفُ من أمواجه الدرر(٣)

قام ابنُ تيميةٍ في نَصْرِ شرعتنا
مقامَ سيِّد تيمٍ(٤) إذ عصت(٥) مضَر

وأَظْهَرَ الحقَّ إذ آثاره انْدَرَسَتْ
وأخْمَدَ الشرَّ إذ طارتْ له شرر(٦)

كنا نُحَدَّثُ عن حَبْرٍ يجيء فها
أنت الامامُ الذي قد كان يُنْتَظَرُ(٧)

---

(١) هو تقي الدين أحمد بن عبدالحليم بن عبدالسلام بن تيمية الحراني الدمشقي الحنبلي الامام شيخ الاسلام ولد في حران سنة ٦٦١هـ ومات في دمشق سنة ٧٢٨هـ . له تصانيف كثيرة وآراء قيمة عظيمة .

(٢) كذا في نفح الطيب والدرر ، أما في جلاء العينين . لما أتانا .

(٣) الحبر : العالم .

(٤) سيد تيم : هو أبو بكر الصديق رضي الله عنه .

(٥) كذا في نفح الطيب والدرر ، اما في جلاء العينين : مضت .

(٦) لم يرد في نفح الطيب .

(٧) كذا في نفح الطيب والدرر الكامنة ، اما في جلاء العينين .
يا من يحدث عن علم الكتاب أصخ
هذا الامام الذى قد كان ينتظر

التخـريج :

١ ـ الدرر الكامنة ج١ ص١٥٢ .

٢ ـ نفح الطيب ج٣ ص٣٣٥ . يقول المقري بعد هذه الابيات : « ثم انحرف أبو حيان فيما بعد عن ابن تيمية ، ومات وهو على انحرافه ولذلك اسباب : منها انه قال له يوما : كذا قال سيبويه . فقال : يكذب سيبويه . فانحرف عنه رحم الله تعالى الجميع » .

٣ ـ جلاء العينين في المحاكمة بين الاحمدين ص١٧ .

٢٨

وقـال :

البسيط

لقد ذكرتكَ والبحرُ الخِضمُّ طغتْ
أمواجُه والـورى منه علـى سَـفَرِ

في ليلــةٍ أسْدَلت جلبابَ ظلمتهـا
وغاب كوكبُهـا عن أعينِ البشَـرِ

والماءُ تَحْت وفوقِ المزن واكفــه
والبـرقُ يستَلُّ أسيافاً من الشَّـررِ

والفُلْكُ في وَسَط الماءين تحسبُها
عيناً وقد أطبقت شفراً على شَفرِ(١)

والـروح من حَـزَنٍ راحت وقـد وردت
صَدْري فيالك من ورْد بلا صَدَرِ

---

(١) الفلك : السفينة .

هذا وشَخْصُكَ لا ينفك في خَلَدي

وفي فؤادي ، وفي سمعي ، وفي بصري

التخريج :

١ ـ الغيث المنسجم في شرح لامية العجم ج٢ ص٣٦ . وقال صلاح الدين الصفدي قبل هذه الابيات : « وأنشدني من لفظه لنفسه الشيخ الامام الحافظ أثير الدين أبو حيان محمد بن يوسف بالقاهرة سنة سبعمائة وثمانية وعشرين » .

٢٩

وقال في مدح تاج الدين السبكي(١) صاحب طبقات الشافعية الكبرى :

الطويل

ألا إنَّ تـاجَ الدين تـاجُ معارفٍ

وبدرُ هُدىً تجلى بها ظُلَمُ الدَّهْرِ

سليلُ إمامٍ قلَّ في الناس مثلُه

فضائِلُه تربو على الزهر والزهر

التخريج :

١ ـ طبقات الشافعية الكبرى ج٦ ص٣٦ . وقال السبكي قبل هذين البيتين : «وأنشدنا لنفسه ما مدحني بهما وأنا ابن ثلاث سنين . وهما عندي بخطه ، وعليهما خط الوالد رحمه الله » .

---

(١) هو تاج الدين أبو نصر عبدالوهاب تقي‌الدين السبكي صاحب « طبقات الشافعية الكبرى » . ولد سنة ٧٢٧هـ وتوفي سنة ٧٧١هـ في دمشق .

٣٠

وقـال :

المتقارب

حُبيتَ بريحانَتَيْ روضةٍ
وبَعْدَهما جاء نَجْلٌ أغرّ(١)

وسميته اسمَ امام إذا
رآه أبو مُرّةٍ منه فَرّ(٢)

ولا عجب منك عبدالعزيز
إذا كان نجلك سَمِيّ عمر

تَفَرّعتما من امام الهدى
وبدر الدجى ورئيس البشَرْ

فلا زال يُوضِحُ سُبْلَ الهدى
ولا زلتما تقفوانِ الأثَرْ

التخريج :

١ ــ نفح الطيب ج٣ ص٣٢٥ ــ ٣٢٦ • وقال المقري : « قال ابن جماعة : خاطبني به ارتجالا عند ولادة ابني عمر بعد بنتين » •

---

(١) النجل : الابن •
الأغر : الابيض ، والشريف •
(٢) أبو مرة : كنية ابليس •

٣١

وقـال :

الطويل

إِذا وضِـعَ الاحسـانُ في الخَبِّ لم يَفِدْ
سوى كفره ، والحـرُّ يجزى به الشكرا[1]

كَغَيْثٍ سقى أفعى فجاءت بسمها
وصاحَبَ أصدافاً فاثمـرتِ الدرَّا

التخـريج :

١ ـ نفح الطيب ج٣ ص٣٣٩ ـ ٣٤٠ • يقـول المقري قبلهمـا : « وقال ابن رشيد : حدثنا أبو حيان قال : حدثنا التاجر أبو عبدالله البرجوني بمدينة عيذاب من بلاد السودان ، وبرجونة قرية من قرى دار السلام قال : كنت بجامع « لولم » من بلاد الهند ، ومعنا رجل مغربي اسمه يونس فقال لي : اذكر لنا شيئاً • فقلت له : قال علي رضي الله عنه : « اذا وضع الاحسان في الكريم أثمر خيراً ، واذا وضع في اللئيم أثمر شراً كالغيث يقع في الاصداف فيثمر الدر ويقع في فم الافاعي فيثمر السم » • فما راعنا إلا ويونس المغربي قد أنشدنا لنفسه :

صنائع المعـروف إن أودعـت　　عنـد كريم ذكت النعمـا
وان تكـن عنـد لئيم غـدت　　مكفـورة موجبـة إثمـا
كـالغيث في الاصـداف دُرٌ وفي　　فـم الافـاعي يثمر السما

قال أبو حيان : فلما سمعت هذه الأبيات نظمت معناها في بيتين وهما :
اذا وضع •••• » •

٢ ـ تأريخ الفكر الاندلسي ص١٨٨ •

---

(١) الخَب : الخداع •

٣٢

وقال رحمه الله :

الطويل

وزَهَّدَني في جمعيَ المال أنَّه
إذا ما انتهى عند الفتى فارق العُمْرا
فلا روحَه يوماً أراحَ من العنا
ولم يكتسبْ حَمْداً ولم يَدَّخِرْ أجرا

التخـريج :

١ ـ الكتيبة الكامنة في من لقيناه بالاندلس من شعراء المائة الثامنة للسان الدين بن الخطيب ص٨٤ • وقال لسان الدين قبل هذين البيتين : « ومن نظمه في المقطوعات وان عدت لها اجادة فهي مظنة ذلك » •

٢ ـ نفح الطيب ج٣ ص٣٢٠ ، نقلا عن كتاب البرنامج للفقيه المحدث أبي عبدالله محمد بن سعيد الرعيني الاندلسي تلميذ أبي حيان •

٣٣

وقال رحمه الله تعالى يمدح البخاري(١) وكتابه الصحيح :

الطويل

أسامعَ أخبارِ الرسول لك البُشْرى
لقد سُدْتَ في الدنيا،وقد فُزْتَ في الاُخرى
تشنف آذانا بعقد جواهر
تَوَدُّ الغواني لو تُقَلَّدُهُ النَّحْرا

---

(١) هو أبو عبدالله محمد بن اسماعيل بن ابراهيم بن المغيرة البخاري • ولد في بخارى سنة ١٩٤هـ • طوف في العالم الاسلامي وسمع من نحو الف شيخ وجمع نحو ٦٠٠ ألف حديث اختار منها في صحيحه ما وثق بروايته • توفي في خرتنك ـ من قرى سمرقند سنة ٢٥٦هـ •

جواهـــركم حلَّتْ نفوساً نفيسةً
فحلت بهـا صَدْراً وجلَّت بهـا قـدرا[1]

هـل الـدين إلا مـا روتـه أكابرٌ
لنـا نقلوا الأخبارَ عن طيب خِبْـرا

وأَدَّوْا أحاديثَ الرسـول مصونةً
عن الزَّيْف والتصحيفِ فاستوجبوا الشكْرا

وإنَّ البخـاريَّ الامـامَ لجـامعٌ
بجامعِـه منهـا اليواقيت والـدرا

على مَفْرِقِ الاسلامِ تـاجٌ مُرَصَّعٌ
أضاءَ بـه شمسـاً ونـارَ بـه بدْرا

وبحـرُ علـوم يلْفـظُ الـدُّرَّ لا الحَصَا
فأنفِسْ بـه دراً ، وأعْظِم بـه بَحْـرا

تصـانيفه نَـوْرٌ ، ونُـورٌ لنـاظرٍ
فقد أشرقت زهْـراً وقد أينعتْ زهْـرا[2]

نَحا سُنَّةَ المختـارِ ينظم شتَّهـا
يلخِّصُهـا جمعـاً ويخلصهـا تِبـرا

(١) في احدى نسخ نفح الطيب : « تحلت بها صدرا وجلت بها قدرا » .
(٢) النور ـ بالفتح ـ الزهر ، أو الابيض منه .
الزهر ـ بالضم ـ المشرقة ، والازهر : النير .
الزهر ـ بالفتح ـ الورد الاصفر .

وكم بَذَلَ النَفْسَ المصونةَ جاهداً
فجاز لها بحراً وجاب لها براً(١)
فطوراً عراقياً ، وطوراً يمانياً
وطوراً حجازياً ، وطوراً أتى مِصْرا
الى أنْ حوى منها الصحيحَ صحيحُه
فوافى كتاباً قد غدا الآيةَ الكبرى
كتابٌ له من شَرْعِ أَحْمَدَ شِرْعَةٌ
مطهرةٌ تعلو السِماكين والنَسْرا(٢)

التخريج :

١ - نفح الطيب ج٣ ص٣٣٠ - ٣٣١ .

٣٤

وقال - رحمه الله :

الطويل

علَى قَدْرِ حبي فيك وافاني الصَبْرُ
فَلَسْتُ أُبالي كان وَصْلُكَ أمْ هَجْرُ
وما غَرَضي إلاَّ سلامٌ ونظرةٌ
وقَدْ حصلا ، والذُلُ يأنفه الحرُّ
سأَسْلوكَ حتى لا أَراكَ بناظري
وأنْساكَ حتى لا يمرُّ بك الفكرُ

(١) جاب : طاف .
(٢) السماك : ما سمك به الشيء أي رفع ، والاعزل والرامح نجمان نيران ، وهما السماكان .

التخـريج :

١ ـ الطالع السعيد للأدفوي ص**٥٨٤** • وقد ذكرهما في ترجمة ابن دقيق العيد • يقول : « وقال شيخنا أثيرالدين : أنشدته ـ أي ابن دقيق العيد ـ مرة لنفسي : على قدر ••• فقال : أعده لي • فأعدته عليه حتى حفظه » • والبيتان غير مذكورين في « من شعر أبي حيان » •

٣٥

قال رحمه الله :

البسيط

أَرحتُ نفسي من الايناس بالناس
لمّا غنيتُ عن الأكياس بالياسِ[1]
وصرتُ في البيت وحدي لا أرى أحداً
بناتُ فكري وكتبي هُنّ جُلاّسي

التخـريج :

١ ـ الكتيبة الكامنة في من لقيناه بالاندلس من شعراء المائة الثامنة للسان الدين بن الخطيب ص٨٤ وقال لسان الدين قبل هذين البيتين : « ومن نظمه في المقطوعات وان عدت لها اجادة فهي مظنة ذلك » .

٢ ـ نفح الطيب ج٣ ص٣٢٠ نقلا عن كتاب البرنامج للفقيه المحدث أبي عبدالله محمد بن سعيد الرعيني الاندلسي تلميذ أبي حيان .

---

(١) الاكياس : جمع كيس وهو : الرجل الظريف . البعيد عن الحمق .

العـين

٣٦

وقال في مليح أبرص :

الطويل

وقالوا : الذي قـد صِرْتَ طَوْعَ جمالـه
ونفسُـكَ لاقَتْ في هواه نِزاعهـا

به وَضَحٌ تأباه نفسُ أُولي النهى
وأفظـع داء ما ينـافي طباعَهـا(١)

فقـلتُ لهـم : لا عيبَ فيه يَشينُه
ولا علـة فيـه يـروم دِفاعَهـا

ولـكنها شَمْسُ الضحى حين قابلَتْ
محاسنَهُ ألقت عليـه شـعاعهـا

التخـريج :

١ ـ الوافي بالوفيات للصفدي .
٢ ـ أعيان العصر وأعوان النصر ج٧ . وقـال الصفـدي قبلها : « وانشدني اجازة في مليح أبرص ومن خطه نقلت » .
٣ ـ نفح الطيب ج٣ ص٣١٠ .

---

(١) الوضح : الضوء والبياض ، وقد يكنى بهما عن البرص .

القاف

٣٧

وقال :

الخفيف

بدرُ تمٍّ لـه على الخـد خـالٌ
في احمرار ينْشَقُ منه الشقيق
كتب الحُسْنُ بالمحُقَّـــقِ معنـا
ه ، ولـكن عِـذارَه تعليـقُ

التخـريج :

١ - بدائع الزهـور ج١ ص٢٠٠ . وقال ابن اياس قبلهما : « وكان عالما فاضلا ناظما ، وله شعر جيد . ومن شعره اللطيف قوله : بدر تم ... » .

الكاف

٣٨

ولـه :

الطويل

وَقَصَّرَ آمالي مآلي الى الردى
وأنّي وإنْ طال المدى سوف أَهْلِكُ

فَصُنْتُ بماءٍ الوجه نَفْساً أبيةً
وجادت يميني بالذي كنت أَمْلِكُ

التخـريج :

١ ـ نفح الطيب ج٣ ص٢٩٠ . وقال المقري قبل هذين البيتين : « وأنشدني الرحالة ابن جابر الوادي آشي لابي حيان قوله : وقصَّر ... » . وفي احدى نسخ نفح الطيب : « فصنت بماء الوجه نفس أبية » .

٣٩

وقـال :

الطويل

وذي شَفَةٍ لمياءَ زِيْنَتْ بشامةٍ
من المسك في ترشافها يذهبُ النُسْكُ(١)

ظمئتُ اليها ريقةً كَوثريَّةً
بمِثلِ لآلي ثغرها يُنْظم السِلْكُ

(١) اللمى : سمرة في الشفة تستحسن ، ورجل ألمى ، وجارية لمياء : بينة اللمى .

تُعَـــلُّ بمعســـولٍ كـأنَّ رُضـابَه

مُدامٌ من الفردوس خاتمهُ مِسْـكُ

التخـريج :

١ ـ الكتيبة الكامنـة في من لقيناه بالاندلس من شعراء المائة الثامنة للسان الدين بن الخطيب ص ٨٥ ـ ٨٦ • وذكر ان هذه الابيات سماها بالمورد العذب في معارضة قصيدة كعب » •

اللام

٤٠

وقال معارضا قصيدة « بانت سعاد » لكعب بن زهير(١) :

البسيط

لا تَعْذلاه فما ذو الحبِّ مَعْذول
العقلُ مُخْتَبِلٌ والقلبُ متبولُ(٢)

هَزَّتْ لـه أسْمراً من خُوط قامتها
فما انثنى الصَّبُّ إلاّ وهو مقتول(٣)

جميلةٌ فُصِّلَ الحسنُ البديعُ لها
فكم لها جُمَلٌ منه وتفصيلُ

فالنَّحْرُ مرمرةٌ ، والنَّشْرُ عَنْبرةٌ
والثَّغْرُ جوهرةٌ ، والريقُ مَعْسولُ(٤)

والطَّرْفُ ذو غَنَجٍ ، والعَرْفُ ذو أَرَجٍ
والخَصْرُ مختطفٌ ، والمتنُ مجدولُ(٥)

---

(١) هو الصحابي الجليل وأحد فحول الشعراء المخضرمين المجيدين ، كعب ابن زهير بن أبي سلمى . عده ابن سلام في الطبقة الثانية . وهو صاحب القصيدة المشهورة التي مطلعها :

بانت سعاد فقلبي اليوم متبول   متيم إثرها لم يجز مكبول

(٢) عذل : لام . التبل : الاسقام ، وتبله : ذهب بعقله .

(٣) الخوط ــ بالضم ــ الغصن الناعم ، يقال خوط بان ، الواحدة : خوطة .

(٤) النحر : موضع القلادة من الصدر .

(٥) غنج : تدلل . الأرج : نفحة الرائحة الطيبة .

هيفاء ينبس في الخصر الوشاح لها
درماء تخرس في الساق الخلاليل[1]

من اللواتي غذاهن النعيم فما
يشقين ، آباؤها الصيد البهاليل[2]

نزر الكلام عييات الجواب إذا
يسألن ، رقد الضحى حصر مكاسيل[3]

من حلها وسناها مؤنس وهدى
فليس يلحقها ذعر وتضليل

حلت بمنعقد الزوراء زائرة
شوساً غيارى فعقد الصبر محلول

حي لقاح إذا ما يلحقون وغى
حيت ونادم مهزوز ومسلول

لبانة لك من لبناك ما قضيت
وموعد لك منها الدهر ممطول

---

(١) كذا في الممتع المقتضب ، أما في طبقات الشافعية الكبرى : تسلس في الخصر ، وفي الاحاطة ونفح الطيب : يستن • الهيف : ضمر البطن والخاصرة • درم الساق : استوى ، وامرأة درماء : لا تستبين كعوبها ومرافقها ، وكل ما غطاه الشحم واللحم وخفي حجمه فقد درم •

(٢) كذا في الممتع ونفح الطيب ، أما في طبقات الشافعية الكبرى : من اللواتي علاهن •••

(٣) كذا في الممتع ، اما في المصادر الاخرى : نزر الكلام عنات ••• عنت عنه : أعرض •

فعدَّ عن ذِكْرِ لبنى إنَّ ذِكْرَكها

على التنائي لتعذيبٌ وتعليلُ

إيَّاكَ منك نذير ما نذرت به

وبادر التوبَ ، إنَّ التوبَ مقبولُ

وأمّل العَفْوَ واسلُكْ مَهْمَهاً قذفاً

الى رضى الربِّ ، إنَّ العَفْو مأمولُ

إنّ الجهادَ وحجَّ البيتِ مختتماً

بذمة المصطفى للعفوِ تأميلُ

فشُقَّ حيْزومَ هذا الليل مُمْتطياً

أخا حزامٍ به قد تَبْلُغُ السُّول (١)

أقبَّ أَقْوَدَ يعزى للوجيه له

وَجْهٌ أغَرّ ، وفي الرجلين تحجيلُ (٢)

جفْرٌ حوافرُه ، مُعْرٌ قوائمُه

ضُمْرٌ أياطله ، والذَّيْلُ عثكول (٣)

---

(١) الحيزوم : وسط الصدر ·

(٢) الأقب : الضامر البطن · الأقود : الذليل المنقاد ·

(٣) جفر : واسعة · الأمعر من الشعر : المتساقط ، ومن الخفاف : الذي ذهب شعره ، ومن الحافر : الشعر الذي يسبغ عليه · العثكول : هو في النخل بمنزلة العنقود في الكرم · الايطل : الخاصرة ، الجمع : اياطل ·

إذا توجَّسَ أَصْغى وهو ملتهبٌ
أساعراً عُتقاً فيهن تَأْليل[1]

وإنْ تعارضْ به هوجاءُ هاج له
جرْيٌ يرى البرق فيها وهو مَخْذول

تحمي به حَوْزَةَ الاسلامِ ملتقباً
لبابياً غَصَّ منها العرْضُ والطول[2]

لبابياً قد عموا عن كلِّ واضحة
من الكتابِ وغرَّتهم أباطيلُ

في مأقطٍ ضرب الموت الزؤام به
سرادقاً فعلتهم منه بحليل[3]

هيجاء يُشرق فيها المشرفيُّ على
هامِ العدا ولسُحْبِ النقع تظليلُ

تديرُ كأسَ شَعُوبٍ من شعوبهم
فكلهم مَنْهَلٌ بالموتِ مَعْلول[4]

(١) التاليل : التحديد والتحريف .
(٢) كذا في الاصل .
(٣) المأقط : الموضع الذي يقتتلون فيه ، والمضيق في الحرب (اللسان) .
(٤) شعوب : الموت ، المنية .

فبينهم هوَمَتْ عُرْجٌ مغرَّثة
وفوقَهم دوَّمَتْ فُتخٌ شماليلُ[1]

تخطو قشام على أشلائهم ولها
تَبَسُّمٌ ولوَجْهِ السِّيدِ تهليل[2]

واذْ قضيت غزاةً فأتَنِفْ عَمَلاً
للحجِ فالحج للاسلامِ تكميلُ

واصِلْ سُراك بسيرٍ يا ابْنَ انْدلسٍ
والطرفُ أدْهمُ بالأشطان مغلول[3]

يلاطم الريحَ منه أبيضٌ يقَقٌ
له من السُّحبِ المربَدِّ اِكليلُ[4]

تعلو خضارة منه شامخٌ جللٌ
سامٍ ، طفا ، وهو بالنكباء محمول[5]

كأنما هو في طخياء لجَّتِهِ
أيم يفري أديم الماء شمليلُ[6]

(١) الشمليل : الخفيفة ، السريعة ٠
(٢) السيد : الذئب ٠
(٣) الأدهم : الاسود ٠
(٤) اليقق : الشديد البياض ٠ المربد : اربد : تحول لونه الى الغبرة ٠
(٥) النكباء : كل ريح ، وقيل : كل ريح من الارياح الاربع انحرفت ووقعت بين ريحين ٠
(٦) ليلة طخياء : شديدة الظلمة ، والطخياء : ظلمة الليل ٠

مـا زالت الموج تُعليـه وتخفضـه
حتى بـدا من منـارِ الثَّغْـر قنديـلُ

فكَبَّـرَ النـاسُ إعظـاماً لربهـم
وكلُّهم طرفُـه بالسُّهْـدِ مكحولُ

وصافحوا البيدَ بعد اليَـمِّ وابتـدأوا
سُبْلاً لهـا لجنـابِ اللهِ توصيـل

عـلى نجائب تتلوهـا جنائبهـا
جيداً بها الخيرُ معقـودٌ ومَعْقـولُ

في موكبٍ تزحفُ الأرْضُ الفضاءُ بـه
أضْحتْ ومُوحِشُها بالناسِ مأهـولُ

تطاردُ الوحشَ منـه فَيلقٌ لجبٌ
حتى لقـد ذعرت في بيدهـا الغـولُ

يَسُوقهم طربٌ نحـو الحجازِ فَهُمْ
ذوو ارتياحٍ على أكوارِهـا مِيـلُ

شُعْثٌ رؤُوسهم ، يُبْسٌ شفاهُهم
حُوصٌ عيونُهم ، غُرْثٌ مهـازيلُ

حتى إذا لاح من بيت الالـه لهم
نـور إذا هـم عـلى الغبرا أراحيلُ

يُعفرون وجوهاً طالما سهَمت

حتى كأنَّ أديم الأرض مَبلولُ[1]

حفوا بكعبةِ مولاهم فكعبهم

عالٍ بها ، فلهم طوفٌ وتقبيلُ

وبالصفا وقتهم صافٍ بسعيهم

وفي منى لمناهم كان تنويلُ

تعرفوا عرفاتٍ واقفين بها

لهم الى اللهِ تكبيرٌ وتهليلُ

لمّا قضينا من الغرّاء منْسكنا

ثرنا ، وكلٌ بنار الشوقِ مشمولُ

ثرنا الى الشدْقميات التي سَهِكَتْ

أبدانهن وأعياهُنَّ تنعيلُ[2]

الى الرسولِ نُزَجّي كلَّ يعملة

أجل من نحوه تزجى المراسيلُ[3]

مَنْ أُنزلتْ فيه آياتٌ مطهرة

وأوريت فيه توراةٌ وانجيلُ

---

(١) في الأصل : حتى اديم الأرض مبلول ، السهام ـ بضم السين وفتحها ـ الضمر وتغير اللون وذبول الشفتين .
سهم ـ بفتح الحاء ـ : ضمر وتغير .

(٢) سهك الرجل : ظهرت له ريح كريهة من عرقه . وسهكت الدابة : جرت جرياً خفيفا .

(٣) اليعملة : الناقة . ناقة مرسال : سهلة السير ، ج : مراسيل .

وسُطِّرَتْ في علاه كلُّ خالدةٍ
لها من الذكر تجويدٌ وترتيلُ

وعطرت من شذاه كل ناحيةٍ
كأنما المسْكُ في الأرجاء محلولُ

سِرٌّ من العالم العلويِّ ضمَّنَه
جسمٌ من الجوهرِ الأرضيِّ مجبولُ

نورٌ تمثَّلَ في أبصارِنا بشَراً
على الملائكِ من مسماه تمثيلُ

لقد تسامى وجبريل مصاحبُه
الى مقامٍ تراخى عنه جبريلُ

أَوْحى اليه الذي أَوْحاه من كتبٍ
فالقَلْبُ واعٍ بسرِّ الله مشغولُ

يتلو كتاباً من الرحمن جاء به
مطهراً ظاهرٌ منه وتأويلُ

جارٍ على منْهجِ الأعراب أعْجزهم
باقٍ مدى الدهر لا يأتيه تبديلُ

بلاغة عندها كعَّ البليغ فلم
ينطِقْ ، وفي هديه طاحت أضاليلُ (١)

---

(١) كذا في المنتخ ، اما في البحر المحيط : فلم ينبس .

وطولبوا أنْ يجيئوا حين رابهم

بسورةٍ مثلهِ فاستعجز القيلُ

لاذوا بذبّل خطّيٍ وبتْرِ ظبىً

يوم الوغى واعتراهم منه تنكيلُ

فموثق في حبال الوهد منجدلٌ

وموثق في حبالِ القدّ مكبولُ

ما زال كالعضب هتّاكاً سوابغَهم

حتى انثنى العضب منهم وهو مفلولُ

وقد تخطّم في نحر العدا قصداً

صم الوشيح وخانتها العواميلُ

من لا يُعدّلُهُ القرآن كان له

من الصعاد وبيض البتر تعديلُ

وكم له معجزاً غير القرآن أتى

فيه تظافرَ منقولٌ ومعقولُ

فللرسولِ انشقاق البدر نشهده

كما لموسى انفلاق البحر منقولُ

ونبع ماءٍ فراتٍ من أَناملِه
كالعينِ ثرّت فما التهتان ما النيلُ ؟

أروى الخميس وهم زهاءَ سبعِماءٍ
من الركابِ فمشروب ومحمولُ

ورد عيناً بكفٍ جاءَ يحملها
قتالة وله شكوى وتعليلُ

وكانت أَحْسَنَ عينيه ولا عَجَبٌ
مسّت أنامل فيها اليُمْنُ مجعولُ

والجدْع حنّ اليه حين فارقه
حنين ولهى لها للروم مثكولُ

وأشبع الكُثْرَ من قُلٍّ الطعام ولم
يكن ليعروهُ بالكبر تقليلُ

وفي جرابِ أبي هرٍ عجائب كم
يمتار منه ، فمأكولٌ ومبذولُ

وفي ارتوائي الى ذر بزمزم ما
يلفى لبدْن منه وهو مهزولُ

والعنكبوت بباب الغارِ قد نسجت
حتى كأنَّ رداءاً منه مَسْدولُ

وفرَّخت في رجاه الورْقُ ساجعة
تبكي وما دمعها في الخد مطلولُ

هذا وكم معجزاتٍ للرسولِ أتَتْ
لها من الله امدادٌ وتأصيلُ

غدَت من الكثر أعداد النجوم فما
يُحصي لها عدداً كُتْبٌ ولا قيلُ

قد انقضَتْ معجزاتُ الرُسْلِ مُنْذُ قَضوا
نَحْباً وافحم منها ذلك الجيلُ

ومعجزاتُ رسولِ اللهِ باقيةٌ
محفوظةٌ ما لها في الدهرِ تحويلُ

تكفل اللهُ هذا الذكر يحفظه
وهل يضيع الذي بالله مكفولُ

هذي المفاخر لا تحظى الملوكُ بها
الملْكُ منقطعٌ والوحيُ موصولُ

التخـريج :

١ ـ ذكرها كلها الشيخ شهاب الدين محمود الشافعي المقدسي في كتاب « الممتع المقتضب في سيرة خير العجم والعرب » ص٢٠٣ ، وقال قبلها وهو يتحدث عن قصيدة كعب بن زهير : « وقد عارض هذه القصيدة جماعة من الفضلاء منهم شيخنا العلامة حجة العرب أثير الدين أبو حيان محمد بن يوسف بن علي ابن موسى بن حيان الاندلسي ـ رحمه الله • وقد قرأت عليه جزءاً من حديثه خرجه لنفسه ، وجزءاً انتقيته له من متنوعة على قاضي القضاة شهاب الدين النحوي ، وجزء الانصاري ، وقطعة صالحة من شعره ، وأجازني رواية ما تجوز لـه روايته » • وجاء في آخر القصيدة : « آخر القصيدة وعدتها ثلاثة وثمانون بيتـا » •

٢ ـ ذكر أبو حيان بيتين منها في تفسير البحر المحيط ج٣ ص٤١٩ همـا :

جـار على منهـج الأعراب أعجزهم
باقٍ مدى الدهـر لا يأتيـه تبديـل
بلاغة عندها كعَّ البليـغ فلم
ينبس ، وفي هديـه طاحت أضاليـل

وقال قبلهما : « وفي مثل هذا أقول من قصيدة مدحت بها رسول الله (ص) معارضاً لقصيدة كعب ، ومنـه في وصف كتاب الله تعالى : جار على ••• » •

٣ ـ ذكر السبكي منها ستة عشر بيتاً في طبقات الشافعية الكبرى ج٦ ص٣٦ ، وقال : « وأنشدنا لنفسه اجازة قصيدته التي عارض بها بانت سعاد » •

٤ ـ الاحاطة في اخبار غرناطة •

٥ ـ أشار اليها المقري في نفح الطيب ج٣ ص٣٢٥ ، وذكر منهـا

الابيات السبعة الاولى ، وقال : « وله ـ رحمه الله قصيدة سماها بالمورد العذب في معارضة قصيدة كعب » .

٤١

ومن نظمه :

الخفيف

سبق الدمعُ بالمسيلِ المطـايا
إذ نوى من أحبُّ عنّيَ نُقلَه
وأجادَ السطورَ في صفحة الخـ
ـدِّ ، ولِمْ لا يُجيدُ وهو ابنُ مقله[1] ؟

التخريج :

١ ـ الوافي بالوفيات للصفدي .
٢ ـ نكت الهميان في نكت العميان ص٢٨٢ . وقال الصفدي قبلهما : « وانشدني من لفظه لنفسه » .
٣ ـ فوات الوفيات ج٢ ص٥٥٦ .
٤ ـ أعيان العصر وأعوان النصر للصفدي ج٧ .
٥ ـ طبقات الشافعية الكبرى ج٦ ص٣٥ .
٦ ـ النجوم الزاهرة ج١٠ ص١١١ . وقال قبل هذين البيتين : « ولنذكر هنا من شعره نبذة يسيرة بسندنا اليه ، أنشدنا القاضي عبدالرحيم بن الفرات اجازة ، أنشدنا الشيخ صلاح الدين بن أيبك الصفدي اجازة ، قال : أنشدني العلامة أثيرالدين أبو حيان

---

(١) كذا في جميع المصادر ، ما عدا نفح الطيب فالبيت فيه :
وأجاد الخطوط في صفحة الخـ د ، ولم لا يجيد وهو ابن مقله ؟
وابن مقلة هو محمد بن علي بن الحسين بن مقلة أبو علي وزير من الشعراء الادباء يضرب بحسن خطه المثل ولد في بغداد سنة ٢٧٢هـ ، وتوفي سنة ٣٢٨هـ .

من لفظه لنفسه » .

٧ - المنهل الصافي ج٣ ص٣٢٢ أ .

٨ - بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة ج١ ص٢٨٣ .

٩ - نفح الطيب ج٣ ص٣٠١ .

١٠- أزهار الرياض في أخبار عياض لشهاب الدين أحمد بن محمد المقري التلمساني ص٣٠٤ (القاهرة ١٩٣٩) .

١١- شذرات الذهب لابن العماد ج٦ ص١٤٧ .

الميـم

٤٢

وقال ـ رحمه الله ـ في مليح أحدب :

المتقارب

تَعَشَّقْتُه أَحدَباً كَيِّساً
يُحاكي نَجيباً حنينَ البغام[١]
إذا كِدْتُ أسقُطُ من فوقه
تعلَّقْتُ من ظهرِه بالسَّنام

التخريج :

١ ـ الوافي بالوفيات للصفدي .

٢ ـ نكت الهميان في نكت العميان ص٢٨٢ . وقال الصفدي قبلهما : « وأنشدني من لفظه لنفسه في أحدب » .

٣ ـ أعيان العصر وأعوان النصر للصفدي ج٧ .

٤ ـ فوات الوفيات ج٢ ص٥٥٧ .

٥ ـ نفح الطيب للمقري ج٣ ص٣٠١ .

٤٣

وقال :

المتقارب

ويعجبني رَشْفُ تلك الشفاهِ
وعَضُّ الخدودِ ، وهَصْرُ القوام[٢]

---

(١) البغام : صوت الظبية .
وفي فوات الوفيات : يحاكي نجيبا حنين البغام .

(٢) الهصر : الجذب والامالة والكسر والدفع والادناء وعطف شيء رطب كالغصن ونحوه .

محاسنُ فاقت قضيبَ الأراكْ

وورد الرياض ، وكأسَ المـدام[1]

التخـريج :

١ - نفح الطيب ج٣ ص٤٠٩ ٠

٤٤

وقال رحمه الله :

الطويل

أَجَلُّ شفيعٍ ليس يُمكِنُ رَدُّه

دراهمُ بيضٌ للجروحِ مراهمُ[2]

تُصيِّرُ صَعْبَ الأمرِ أسهل ما أرى

وتقضي لبانـاتِ الفتى وهــو نائمِ[3]

التخـريج :

١ - أعيان العصر وأعوان النصر للصفدي ج٧ ٠

٢ - الكتيبة الكامنة في من لقيناه بالاندلس من شعراء المائة الثامنة للسان‌الدين بن الخطيب ص٨٤ - ٨٥ قال لسان‌الدين قبـل هذين البيتين : « ومن نظمه في المقطوعات وان عدت لها اجادة فهي مظنة ذلك » ٠

٣ - الدرر الكامنة ج٤ ص٣٠٥ ٠

٤ - نفح الطيب للمقري ج٣ ص٢٩٨ ٠

---

(١) الاراك : شجر من الحمض يستاك به ، واحده : أراكة ٠

(٢) كذا في الكتيبة ، أما في الدرر الكامنة وأعيان العصر ونفح الطيب ٠ أتى بشفيع ٠

(٣) كذا في الكتيبة ، أما في الدرر : أهون ما ترى ٠ وفي نفح الطيب : أهون ما يرى ٠
اللبانة : الحاجة ، ج لبان ، ولبانات ٠ يقال : « قضى لبانته » اى حاجته ووطره ٠

٤٥

وقال في مليح نوتي :

الطويل

كلفت بنوتي(١) كأنَّ قوامَه
إذا ينثني خوطٌ من البانِ ناعمُ

مجاذفه في كل قلبٍ مجاذبٌ
وهزاته للعاشقين هزائمُ

التخريج :

١ ـ الوافي بالوفيات للصفدي •

٢ ـ أعيان العصر وأعوان النصر للصفدي ج٧ •

٣ ـ نفح الطيب للمقري ج٣ ص٣٠١ •

٤٦

ومن النسيب قوله :

الخفيف

سال في الخدِ للحبيبِ عذارٌ
وهو لاشكَّ سائلٌ مرحومٌ

وسألت التثامه فتجنَّى
فأنا اليوم سائلٌ محرومٌ(٢)

التخريج :

١ ـ الكتيبة الكامنة في من لقيناه بالاندلس من شعراء المائة الثامنة للسان‌الدين بن الخطيب ص٨٥ • وقد ذكر انهما من بديع ما ينسب الى أبي حيان •

٢ ـ نفح الطيب ج٣ ص٣٢٤ •

---

(١) النوتي : الملاح الذي يدير السفينة في البحر ، ج : نواتي •

(٢) كذا في الكتيبة ، اما في نفح الطيب : التثامه •

٤٧

وقال في المنتسبة الى الصوف :

الخفيف

فارْتَموا يَدَّعُون أمراً عظيماً
لم يكن للخليلِ لا والكليمِ(١)

بينما المرءُ منهم في استفالٍ
أبصر اللوح ما به من رقومِ(٢)

فجنى العلم منه غضاً طريا
ودرى ما يكون قبل الهجومِ

إنَّ عقلي لفي عقالٍ إذا ما
أنا صدقت بافتراءٍ عظيمِ

التخريج :

١ ـ البحر المحيط ج٤ ص١٤٥ . وقال أبو حيان نفسه قبل هذه الابيات عند تفسير قوله تعالى : « وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو » « ولقد ظهر من هؤلاء المنتسبة الى الصوف أشياء من ادعاء علم المغيبات ، والاطلاع على علم عواقب اتباعهم وانهم معهم في الجنة مقطوع لهم ولاتباعهم بها يخبرون بذلك على رؤوس المنابر ، ولا ينكر ذلك أحد . هذا مع خلوهم عن العلوم يوهمون انهم يعلمون الغيب .... وقد كثرت هذه

---

(١) الخليل : نبي الله ابراهيم . والكليم : نبي الله موسى .

(٢) الرقم : الكتابة . وفي القرآن الكريم : « كتاب مرقوم » .

الدعاوى والخرافات في ديار مصر ، وقام بها ناس صبيان العقول يسمون بالشيوخ عجزوا عن مدارك العقل والنقـل ، وأعياهم طلاب العلوم » .

وقال ابن مكتوم في الدر اللقيط ج٤ ص١٤٥ : « هذه الابيات من قصيدة شيخنا العالم أبي حيان أيده الله ، وقد أنشدنيها بكمالها من لفظه وحفظه » .

٢ ـ الطالع السعيد ص ١٣٣ ، وفيه البيت الأخير فقط .

٤٨

وقال رحمه الله تعالى :

الطويل

رجاؤُكَ فَلْساً قد غَدا في حَبائلي
قَنيصاً رجاءٌ للنِتاجِ مِنِ العُقْمِ

أأتعبُ في تَحْصيله وأُضيعه(١)
إِذَنْ كنتُ معتاضاً من البرءِ بالسقْمِ

التخـريج :

١ ـ الوافي بالوفيات للصفدي .
٢ ـ أعيان العصر وأعوان النصر للصفدي ج٧ .
٣ ـ فوات الوفيات ج٢ ص٥٥٧ .
٤ ـ الدرر الكامنة ج٤ ص٣٠٥ .
٥ ـ نفح الطيب ج٣ ص٢٩٧ . وفي احدى نسخ نفح الطيب : « اذن كنت معتاضا عن البرء بالسقم » .
٦ ـ البدر الطالع ج٢ ص٢٩١ .

---

(١) كذا في جميع المصادر ، أما في الدرر الكامنة : أأتعب في تخليصه .

٤٩

ومن شعره ، قال رحمه الله تعالى حسبما نقل عن خطه : قدم علينا الشيخ المحدث أبو العلاء محمد بن أبي بكر البخاري الفرضي(١) بالقاهرة في طلب الحديث ، وكان رجلا حسنا طيب الاخلاق لطيف المزاج ، فكنا نسايره في طلب الحديث ، فاذا رأى صورة حسنة قال : هذا حديث على شرط البخاري فنظمت هذه الابيات :

الطويل

بدا كهـلالِ الأُفقِ وقتَ طلوعِـــه
ومال كغُصْنِ الخيزران المنعَّمِ
غزالٌ رخيمُ الـدَّلِّ وافى مواصـلاً
موافقـةً منـه على رَغْمِ لُوَّمِ
مليحٌ غريبُ الحسن أصبحَ مُعْلَمـاً
بحمرةِ خَـدٍّ بالمحاسِنِ مُعْلِمِ
وقالوا : على شَرْط البخاريُّ قد أتى
فقلتُ : على شرط البخاريْ ومُسْلِمِ

قال : فقال لي : يا مولانا أنا البخاري ، فمن مسلم ؟ قلت له : أنت البخاري وأنا مسلم . قلت : ولو كنت المخاطب لكان مدى الدعابة أفسح ، ومن العصمة أنْ لا تجدَ .

التخـريج :

١ ـ الكتيبة الكامنة في من لقيناه بالاندلس من شعراء المائة الثامنة للسان‌الدين بن الخطيب ص٨٢ .

(١) كذا في الكتيبة الكامنة ، وفي تاج التراجم ص ٧٠ انه : « محمود بن ابي بكر بن أبي العلاء شمس‌الدين أبو العلاء الكلابادي البخاري الفرضي برع في الفرائض وغيرها ، وقدم القاهرة . وكان رأسا في الفرائض ، عارفا بالحديث والرجال . مات في دمشق سنة ٧٠٠هـ .

٥٠

وقال :

الطويل

لقد زادني بالناس علماً تجاربي
ومن جَرَّبَ الايامَ مِثْلي تعلَّما
واني وتَطْلابي من الناس راحةً
لكالمبتغي وَسْطَ الجحيم تَنَعُّما
سأَزْهَدُ حتى لا أرى لي صاحباً
وأُنْجِدُ حتى لا أُلاقيَ مُتْهِما(١)

التخـريج :

١ - نفح الطيب ج٣ ص٣٢٦ .

(١) أنجد : دخل نجداً .
أتهم : دخل تهامة .

النـون

٥١

وقـال : الطويل

أَمدعيـاً علمـاً ولَسْتَ بقـاريءٍ
كتاباً على شيخٍ به يَسْهُل الحزْنُ[١]
أتزْعُم أنَّ الذهن يُوضِحُ مشكلاً
بلا موضح ؟ كَلاَّ لقد كَذَبَ الذِّهْنُ
وإنَّ الذي تبْغيه دون مُعَلِّمٍ
كموقدِ مصباحٍ وليس له دُهْنُ

التخـريج :

١ – نفح الطيب ج٣ ص٣٢٤ ٠

٥٢

ونسب اليه في مدح أبي محمد عبدالمهيمن الحضرمي(٢) :

من مجزوء الخفيف

ليس في الغَرْبِ عالِمٌ
مِثْلُ عبدِ المُهَيْمِنِ
نحن في العِلْمِ أسوةٌ
أنـا منه وهـو منِي

التخـريج :

١ – نفح الطيب ج٧ ص٣٩٠ ٠ قال المقري : « واما ما اشتهر على

---

(١) الحزن : ما غلظ من الارض ٠

(٢) هو عبدالمهيمن بن محمد بن عبدالمهيمن أبو محمد الحضرمي ، صاحب القلم الاعلى بفاس وصدرها في عصره ٠ كان غزير العلم بالادب والتاريخ ٠ ولد سنة ٦٩٦هـ بسبتة ونشأ فيها ، وولي كتابة الانشاء لابي الحسن المريني بفاس ٠ توفي بتونس سنة ٧٤٩هـ في الطاعون ٠ تقدم في علم الحديث وضبط رجاله ، وله شعر ٠

الالسنة بالمغرب من أن أبا حيان مدح عبدالمهيمن بقوله :

ليس في الغـــرب عالـم مثــل عبد المهيمـــن

نحن في العلم اسـوة أنـا منـه وهـو منـي

فقد نسبه ابن غازي الى أبي حيان كما أشتهر ، ولكن تأريخ مرور أبي حيان بالمغرب كان قبل ظهور عبدالمهيمن بلا خفاء • وهو عندي محمول على أحد أمرين : ان المراد عبدالمهيمن جد عبدالمهيمن المذكور • أو انّ أبا حيان كتب بالبيتين من مصر بعد ما ظهر عبدالمهيمن وصارت له الرياسة بالمغرب ، اذ أبو حيان عاش الى ذلك الزمان بـلا ريب • ولذا لمـا ذكر لسان‌الدين ابن الخطيب في كتابه « الكتيبة الكامنة في أنباء أهل المائة الثامنة » الشيخ أبا حيان : قال : وهذا الرجل طالت حياته حتى أجاز ولدي »[1] •

٥٣

وقــال : الـكامل

إنَّ الدراهمَ والنسـاءَ كلاهمـــا

لا تأمَنَنَّ عليهمـــا انْســـــانا

يَنْزَعْنَ ذا اللب المتينِ عن التقى

فـيرى أسـاءة فعلـهِ احســـانا

التخـريج :

١ ـ أعيان العصر وأعوان النصر للصفدي ج٧ •

٢ ـ الدرر الكامنة ج٤ ص٣٠٥ •

٣ ـ نفح الطيب ج٣ ص٢٩٨ •

---

(١) قال لسان‌الدين بن الخطيب في كتابه « الكتيبة الكامنة في من لقيناه بالاندلس من شعراء المائة الثامنة ص ٨١ : « وكان له شعر مهاده في الاجادة وثير ، ودعابة يثيرها الطبع فتثير ، وان لم ألق هذا الرجل فهو من بلدي ، وتأخرت وفاته عن مولدي الى أن أجاز ولدي » •

اليـاء

٥٤

قال في مدح الشافعي(١) رضي الله عنه :

الطويل

غَذِيتُ بعلم النحو اذْ دَرَّ لي ثديا(٢)
فجسمي به ينمى ، وروحي به تحيا

وقد طال تَضرابي لزيدٍ وعَمْرِه
وما اقترفا ذنباً ولا تبعا غيّا

وما نِلْتُ من ضَرْبِيهما غيرَ شُهرةٍ
بفنٍ وما يُجدي اشتهاري به شيّاً

ألا إنَّ علمَ النحو قد بادَ أهلُه
فما أنْ ترى في الحي من بعدهم حيّا

سأتركه تَرْكَ الغزالِ لظله
وأُتبِعُه هَجْراً وأُوسِعُه نأْيا

وأسمو الى الفقه المباركِ إنَّه
ليُرضيكَ في الاخرى، ويُحظيك في الدُنيا

---

(١) هو محمد بن ادريس بن العباس ، ولد بغزة سنة ١٥٠هـ وطاف في البادية والعراق والحجاز ومصر وكان فيلسوفا في أربعة أشياء : في اللغة واختلاف الناس والمعاني والفقه ، وهو صاحب المذهب المعروف . توفي سنة ٢٠٤هـ وقد بلغ من العمر أربعة وخمسين عاما .

(٢) كذا في طبقات الشافعية ونفح الطيب ، اما في الدرر الكامنة : ان صار لي ثديا . ولم يرد في الدرر غير هذا الشطر .

وما الفِقهُ إلا أَصلُ دينِ محمدٍ
فَجَرِّدْ له عَزْماً ، وجدِّدْ له سَعْيا

وكُنْ تابِعاً للشافعيَّ وسالِكاً
طريقتَه تبلُغْ به الغايةَ القصْيا

أَلا يا ابن ادريس قد اتضحَ الهُدى
وكم غامضٍ أَبْدَى ، وكم دارسٍ أَحْيا

سمي الرسول المصطفى وابن عمه
فناهيك مجداً قد سما الرتبة العليا

هو استنبط الأُصول فاكتسى به الـ
فقهَ من ديباج إنشائه وَشْيا

التخريج :

١ ـ طبقات الشافعية الكبرى ج٦ ص٣٦ . وقال السبكي بعدها : « وهي قصيدة مطولة . وقصيدته التي امتدح بها البخاري رضي الله عنه ومطلعها :

أسامع أخبار الرسول لك البشرى
لقد سدت في الدنيا وقد فزت بالاخرى

٢ ـ الدرر الكامنة ج٤ ص٣٠٦ . ورد الشطر الاول فقط .

٣ ـ أشار اليها المقري في نفح الطيب ج٣ ص٣٢٥ ، ولكنه لم يذكرها ، واكتفى بقوله : « وقصيدة في مدح الامام الشافعي مطلعها : غذيت بعلم النحو اذ دَرَّ لي ثديا » .

٥٥

وقال في استاذه محمد بن علي بن يوسف العلامة رضي الدين أبي عبدالله الانصاري الشاطبي اللغوي :

الوافر

وأَوصَاني الرَّضِيُّ وصـاةَ نُصْحٍ
وكانَ مُهَذَّباً شَـهْماً أَبِيَـاً

بـألاَّ تُحسـنَنْ ظَنـاً بشخْصٍ
ولا تَصْحَبْ حياتَكَ مَغْرِبيـا

التخـريج :

١ ـ بغية الوعـاة في طبقات اللغويين والنحاة ج١ ص١٩٤ وقـال السيوطي في ترجمة الشاطبي قبل هذين البيتين : « واياه عنى بقوله : واوصاني ×××× » •

٢ ـ فهرس الفهارس والاثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات لابي المفاخر محمد الحسني الادريسي • ج١ ص١٠٩ •

٥٦

وله لغز في قيراط زاعما انه لا يفك :

الطويل

وما اسْمٌ خُماسـيٌ إذا مـا فـككتَه
يصيرُ لنا فِعلَينِ : أَمْراً وماضيـا

بعكس وهو كُـلٌ وجـزءٌ جمعـه
بابـدالِ عـين حـاز فيـه التناهيـا

ومَعْ كونـه فَرْداً وجمعـاً فأول

وآخـرهُ أضحى لشخصٍ مُعـادِيا

وفي عكْسِهِ صَوْتٌ فتبنيـه صيغـةٌ

وتَبْني بمعنـاه وما أنْتَ بانيـا

فـكم فيـه من معنى خفي وانمـا

عنيت بذكري للـذي ليس خافيـا

التخـريج :

١ ـ نفح الطيب ج٣ ص٣٢١ ، نقلا عن كتـاب البرنامج للفقيـه المحدث أبي عبدالله محمد بن سعيد الرعيني الاندلسي تلميذ أبي حيان .

٥٧

قال العز بن جماعة : وخاطب والدي وقد أبل من ضعف اشيع فيه موته مهنئاً له :

المتقارب

أدامَ الالـه لـك العافِيَـه

وصَيَّر دُورَ العـدا عافيَـه(١)

إذا لاح من بدركـم نـورُه

فكلُّ النجـومِ بـه خافِيَـه

---

(١) عافية : مدروسة .

تَخِذْتَ كلامَ الالـه الـدوا
فـآياتُـه كانت الشـافيه

تشـوَّف نـاسٌ لمنصبِكم
ورتبتُهـم للعُـلا نافيـه(١)

فـأين العلومُ ؟ واين الحلومُ ؟
وخُلْـقٌ مـوارِدُه صافِيَـه

هُمُ عُصْبَةٌ لا تنـال العُـلا
ولو أَنَّهـا قـد سعت حافِيـه

إذا كان خَـرْقٌ تدارَكْتَـه
وليست لمـا مزَقت رافِيـه(٢)

فإِنْ عَنَّ خَطْبٌ ثَبَتَّ لـه
وآراؤُهـم عنـده هافيـه(٣)

سجاياكَ لِيْنٌ ورِفْـقٌ بنـا
وأَخلاقُهم كُلُّهـا جافِيَـه

---

(١) تشوف : تطلع . وفي احدى نسخ نفح الطيب : تشوق ـ بالقاف ـ من الشوق .
(٢) رفا الثوب يرفيه : أصلح ما فسد منه بان خاط ما تمزق منه .
(٣) الهفو : المرء الخفيف ، وهوافي الابل : ضوالها ـ هافاه : مايله الى هواه .

تصلي على سبعةٍ منهم
وثامنهم نَفْسه طافيه

يقيمون في تُرْبِهم هُمَّداً
وتَسْفي على قبرهم سافِيه(١)

فلا زِلْتَ في صحَّةٍ دائماً
تجر ذيولَ السنى ضافيه(٢)

ويوردك اللهُ عَيْنَ الحياة
فتحيا بها مائةً وافيه

فإن زاد عَشْراً فذاك المنى
وعشرونَ أيضاً هي الكافيه

وهذي القوافي أَتَتْ كُمَّلاً
فلم تَبْقَ لي بعدها قافيه

التخريج :

١ - نفح الطيب ج٣ ص٣٢٨ - ٣٢٩ .

٥٨

وقال رحمه الله تعالى :

الطويل

أعاذِلَ ذَرْني وانفرادي عن الورى
فَلَسْتُ أرى فيهم صَديقا مصافِيا

---

(١) سفت الريح التراب تسفيه : ذرته أو حملته ، والسافياء : الغبار ، أو ريح تحمل ترابا .

(٢) الضفو : السبوغ والكثرة .

نداماي كُتْبٌ أَستفيدُ علومَها
أحبَّايَ تُغني عن لقائي الأعاديا
وأنسُها القرآنُ فهو الذي به
نجاتي إذا فكَّرْتُ أَوْ كُنْتُ تاليا
لقد جلْتُ في غرْب البلادِ وشرقِها
أُنقِّبُ عمن كان للهِ داعيا
فلم أَرَ إلاّ طالباً لرياسةٍ
وجمَّاعَ أَموالٍ وشيخاً مرائيا
قبضْتُ يدي عنْهمْ وآثرْتُ عزْلةً
عن الناسِ ، واستغنيت باللهِ كافيا

التخريج :

١ - نفح الطيب ج ٣ ص ٣٢٨ .

الموشحات

٥٩

وقال رحمه الله موشحا :

إنْ كان ليلي(١) داج وخـانـنـا الاصبـاح
فنـورها الوهـاج يغني عـن المصبـاح

* *

سُـلافة تبـدو كالكوكبِ الازهر(٢)
مـزاجهـا شـهد وعَـرْفُهـا عنبـر
يا حبّـذا(٣) الـوردُ منهـا وإنْ أسـكر
قـلبي بهـا قد هاج فمـا تراني صـاح
عن ذلك المنهـاج وعن هوىً يا صاح

* *

وبي رَشـأ أهيف قَدْ لجَّ في بُعْـدي(٤)
بـدر فلا يُخسـف منـه سنا الخَـدِّ

---

(١) كذا في الوافي بالوفيات وفوات الوفيات ، أما في النجوم الزاهرة وطبقات الشافعية ونفح الطيب : ان كان ليل .

(٢) السلاف : ما سال من عصير العنب قبل ان يعصر ، ويسمى الخمر سلافا . وسلافة كل شيء عصرته : أوله .

(٣) كذا في جميع المصادر ، أما في نفح الطيب : وحبذا .

(٤) الهيف : ضمر البطن والخاصرة ، ورجل أهيف وامرأة هيفاء .

بلحظه المرهف[1] يسطو على الأسدِ
كسطوة الحجاج في الناس والسفاح
فما ترى من ناج[2] من لحظه السفاح

* *

علل بالمسكِ[3] قلبي رشا أحور[4]
منعم المسكِ ذو مبسم أعطر[5]
ريّاه كالمسك وريقه كوثر[6]
غصن على رجراج طاعت له الأرواح
فحبذا الأزاج إنْ هبتِ الأرواح[7]

* *

مهلاً أبا القاسم على أبي حيان
ما إنّ له عاصم من لحظك الفتان

---

(١) كذا في جميع المصادر ، أما في طبقات الشافعية الكبرى : فلحظه المرهف .
(٢) كذا في جميع المصادر اما في طبقات الشافعية : فما يرى .
(٣) كذا في جميع المصادر ، أما في طبقات الشافعية : عذاره المسكي .
(٤) كذا في الوافي بالوفيات وفوات الوفيات والنجوم ، أما في طبقات الشافعية الكبرى : فلى رشا أحور . وفي نفح الطيب : قلب رشا أحور
(٥) كذا في الوافي والفوات والنجوم ، اما في طبقات الشافعية ونفح الطيب : ذي مبسم أعطر . والمسك ـ بالفتح ـ الجلد ، يريد ان جلده ناعم .
(٦) كذا في جميع المصادر ، اما في فوات الوفيات : وريقه سكر .
(٧) كذا في جميع المصادر ، أما في فوات الوفيات : الارياح .

وهجرك الدائم قد طال بالهيمان[1]
فدمعه أمواج وسرّه قد لاح[2]
لكنه ما عاج[3] ولا أطاع اللاح[4]

* *

يا رُبَّ ذي بهتان يعذل في الراحِ[5]
وفي هوى الغزلان دافعت بالراح
وقلت لا سلّوان عن ذاك يا لاحي[6]
سبع الوجوه والتاج هي مُنْيَةُ الأفْراح[7]
فاختر لي يا زجّاج قمصال وزوجْ أقداح[8]

---

(١) في سكردان السلطان ص ١٤٥ : قد زاد في الهيمان ·

(٢) كذا في الوافي والفوات وطبقات الشافعية ، أما في النجوم الزاهرة ونفح الطيب : وسره قد باح ·

(٣) كذا في جميع المصادر ، اما في النجوم الزاهرة : لكنه ما هاج ·

(٤) كذا في جميع المصادر ، اما في طبقات الشافعية : ولا اطال اللاح ·

(٥) كذا في معظم المصادر ، اما في النجوم الزاهرة وسكردان السلطان : يعذلني في الراح ·

(٦) في سكردان السلطان : عن حبه يا صاح ·

(٧) كذا في معظم المصادر ، اما في النجوم الزاهرة وسكردان السلطان : هي منية الارواح · وسبع الوجوه : مكان مشهور ظاهر القاهرة ، وهو من منتزهاتها الحسنة يقصده الناس في أيام الربيع · (ينظر سكردان السلطان ص ١٤٥) ·

(٨) لعله يريد بقمصال خابية الخمر او دنها أو شيئا من هذا القبيل · وليست هذه الكلمة عربية · (ينظر هامش ص٣١٣ ج٣ من نفح الطيب وفي هامش ٥٥٩ ج٢ من فوات الوفيات : « القمصال : كلمة مغربية معناها الوعاء الذي يستعمل للشرب ، وأصلها لاتيني » ·

التخـريج :

١ ـ الوافي بالوفيات للصفدي •

٢ ـ أعيان العصر وأعوان النصر ج٧ • وقال الصفدي : « وأنشدني من لفظه لنفسه » •

٣ ـ فوات الوفيات ج٢ ص٥٥٧ •

٤ ـ طبقات الشافعية الكبرى ج٦ ص٣٦ ـ ٣٧ •

٥ ـ النجوم الزاهرة ج١٠ ص١١٢ • وقال ابن تغري بردى بعد هذه الموشحة : قلت : ومذهبي في أبي حيان انه عالم لا شاعر • ولم أذكر هذه الموشحة هنا لحسنها ، بل قصدت التعريف بنظمه بذكر هذه الموشحة ؛ لانه أفحل شعراء المغاربة في هذا الشأن • وأما الشاعر العالم هو الأرجاني وأبو العلاء المعري وابن سناء الملك » •

٦ ـ المنهل الصافي ج٣ ص ٣٢٢ أ ـ ٣٢٣ أ •

٧ ـ نفح الطيب للمقري ج٣ ص٣١٣ •

٨ ـ سكردان السلطان لابن حجلة ص١٤٥ •

٦٠

وقال يعارض موشح ابن العفيف التلمساني :

عـاذلي فيِ الأهيفِ الأنْس
لـو رآه كَان قـد عَذَرا[١]

★ ★

رشـــأ قـد زانـه الحـور
غُصُنٌ من فوقــه قمــر
قمــر من سُــحْبه الشَّعَر
ثَغَــرٌ في فيــه أم دُرر[٢]
حَال[٣] بين الدر[٤] واللَّعَسِ[٥]
خمـرة مَنْ ذاقـهـا سـكَرا

★ ★

رجـةٌ بالرِدْف أم كَسَلُ
ريقــةٌ بالثغـر أم عَسَــلُ
وردة بالخـد أم خَجَــلُ
كَحَلٌ بالعين أم كُحُلُ[٦]

---

(١) كذا في جميع المصادر ، اما في نفح الطيب : لو رآه الان قد عذرا ٠
(٢) كذا في جميع المصادر ، اما في نفح الطيب : من فيه أم درر ٠
(٣) كذا في الوافي والفوات ، اما في طبقات الشافعية ونفح الطيب : جال ٠
(٤) كذا في جميع المصادر ، اما في طبقات الشافعية : الدور ٠
(٥) اللعس : سواد مستحسن في الشفة ٠ يقال : شفة لعساء ٠
(٦) الكحل ـ بفتح الكاف والحاء ـ أن يعلو منابت الاجفان سواد خلقة ، أو ان تسود مواضع الكحل ٠

يا لهـا من أعـين نُعُسٍ
جَلَبتْ للنـاظرِ السَّـهرا[٧]

★ ★

مُذْ نأى عن مقلتيَّ سَـني
مـا أُذيقـا لـذة الوسـنِ
طال مـا ألقـاه من شَـجَنِ
عجبـاً ضـدان في بـدنِ
بفـؤادي جـذوةُ القبس
وبعيني المـاءُ منفجـرا

★ ★

قـد أتـاني[٨] اللهُ بالفَـرج
إذْ دَنـا مني أبـو الفـرج
قَمَـرٌ قـد حَـلَّ في المُهَجِ[٩]

★ ★

كيف لا يخشى من الوهـج[١٠]
غَـيره لو صـابَه نفسي

(٧) كذا في الوافي والوفيات ، اما في نفح الطيب وطبقات الشافعية : لناظري سهرا .
(٨) كذا في جميع المصادر ، اما في طبقات الشافعية : قد أتانا .
(٩) كذا في الوافي وطبقات الشافعية ، اما في فوات الوفيات ونفح الطيب : بالمهج .
(١٠) كذا في جميع المصادر ، اما في الطبقات : كيف لا تخشى من الوهج .

ظنه من حرّه شررا

★ ★

نصبَ العينينِ لي شَركا
فانثنى والقلب قد ملكا
قمر أضحى له فلكا
قال لي يوماً وقد ضحكا :
أتجيءُ من أرضِ أندلسٍ[11]
نحو مصر تعشق القمرا

★ ★

والموشحة التي لشمس الدين محمد بن التلمساني[12] - رحمه الله - في هذا الوزن هي :

قمر يجلو دجى الغَلَسِ
بَهَرَ الأبصارَ مذ ظهرا[13]
آمِنٌ من شَينةِ الكَلَف
ذبت في حُبه بالكلفِ
لَم يزل يسعى على تلفي

(11) كذا في جميع المصادر ، أما في الوافي والطبقات : أنت جئت من أرض اندلس .
(12) هو محمد بن سليمان بن علي شمس الدين بن الشيخ عفيف الدين التلمساني . ولد في القاهرة في عاشر جمادى الاخرة سنة ٦٦١هـ ، وتوفي في شهور سنة ٦٨٨هـ بدمشق .
(13) يجلو : يكشف ويمحو . الدجى : جمع دجية ، وهي الظلام الشديد . وبهر الابصار : غلبها .

بركاب الدَّلِّ والصَّلَفِ(١٤)
آهِ لولا أعينَ الحرسِ
نلت منه الوصل مقتدرا

*   *

يا أميراً جار مذ وليا
كيف لا ترثِي لمن بليا
فبثغر منك قد جُليا
قد حلا طَعْماً وقد حليا
وبما أُوتيتَ من كَيَسِ
جُدْ فما أبقيت مصطبرا

*   *

بدر تم في الجمال سنِي
ولهذا لقبوه سني
قد سباني لذةَ الوسنِ
بمحيّاً باهرٍ حَسَنِ
هو خِشْفِي وهو مفترسي
فَارْوِ عن اعجوبتي خبرا

*   *

لك خَدٌّ يا أبا الفرجِ

---

(١٤) الصلف ـ بالتحريك ـ التيه والكبر .

زِيـنَ بالتـوريدِ والفـرجِ
وحـديث عاطـــر الارجِ
كم سبَى قلباً بـلا حَرَجِ
لـو رآكَ الغصن لـم يـمِسِ
أو رآكَ البــدر لاســترا

* *

يا مُذيبـاً مهجتي كمــدا
فُقْتَ في الحسن البدورَ مدَى
يا كحيـلا كحلــه اعتمــدا
عجبـا أن تبـريء الرمــدا
وبســقم الناظـرين كُسي
جفنُـكَ السَّحَارُ فانكسـرا

التخـريج :

١ ـ الوافي بالوفيات للصفدي •
٢ ـ أعيان العصر وأعوان النصر ج٧ • وقال الصفدي : وأنشدني من لفظه لنفســه موشحة عارض بها شمس الدين محمــد بن التلمساني » •
٣ ـ فوا ت الوفيات ج٢ ص ٥٥٩ ـ ٥٦٠ •
٤ ـ طبقات الشافعية الكبرى ج٦ ص٣٧ ـ ٣٨ •
٥ ـ نفح الطيب للمقري ج٣ ص ٣١٠ ـ ٣١٣ •

الأبيات

٦١

قال في « غاية الاغراب في علمي التصريف والاعراب »

الرجز

عرفهما أو نكرن أو عرفن
للوصف أو معموله ولتعرِبَن[١]
معمولَه بضمة أو كسره
فتحة تبلغ ثماني عشره
يقبح ما حذفت منه المضمرا
أو كان فيه مضمر تكررا
ونحو داجي شعره قد وردا
نثراً ونظماً فاترك المبردا
ونصب شعره دليل الجر
والنصب في النثر أتى والشعر
ويمنع اثنانِ كَهِمْ بالحَسَنِ
عذارُه لا بالقبيح ذَقَنِ

التخريج :

١ - الارتشاف ص ٣٣٦ ب • وقال أبو حيان قبلها وهو يتحدث عن الصفة المشبهة • « وتلقفنا عن شيوخنا ان ما تكرر فيه الضمير

---

(١) من مؤلفات أبي حيان التي قال عنها في اجازته انها لم تكمل حتى سنة ٧٢٨هـ ، أرجوزة في علمي التصريف والاعراب سماها « غاية الاغراب في علمي التضريف والاعراب » • وقد أشار اليها في كتابه « الارتشاف » وكتابه « منهج السالك » ، ونقل السيوطي بعض أبياتها في « الاشباه والنظائر » ، وهذه هي الابيات التي ذكرها أبو حيان في « الارتشاف » •

من المسائل أو عري منه فهو ضعيف • وما وجد فيه ضمير واحد قوي الا ما وقع الاتفاق على منعه وهو مثل « الحسن وجهه » و « الحسن وجه » • وقد نظمت هذا الذي تلقفناه في ارجوزتي المسماة « غاية الاغراب في علمي التصريف والاعراب » ولم تكمل ، فقلتُ عرفهما أو نكرن ••• » •

٢ ـ منهج السالك ص ٣٦٠ ـ ٣٦١ •

٦٢

ذكر المتاخرون البواعث على حذف الفاعل ، وقد نظم أبو حيان ذلك في قوله :

الرجـز

وحذفــه للحــولِ والابهـامِ
والــوزن والتحقــير والاعظــامِ
فالعــلم والجهــل والاختصــار
والســجع والوفــاق والايثــار

التخـريج :

١ ـ الارتشاف ص ١٦٦ ـ أ •

٦٣

وقال في مسوغات الابتداء بالنكرة :

الرجـز

وكل ما ذكرت في التقسيم
يرجـع للتخصيص والتعميم

التخـريج :

١ ـ منهج السالك ص٤٥ • يقول أبو حيــان وهــو يتحدث عن مسوغات الابتداء بالنكرة : « وقد ذكرت جملة من هذه المسوغات

في أرجوزتي المسماة بـ « نهاية الاغراب في علمي التصريف والاعراب » ، ثم ذكرت أن جميعها راجع الى مسوغين اثنين فقلت : وكل ما ذكرت ....

ولولا الغرض في هذا الكتاب الاختصار لاوضحت رجوع كل واحد من هذه المسوغات الى أحد هذين الوصفين اللذين هما : التخصيص ، والتعميم » .

٦٤

قال أبو حيان في حصر جموع التكسير واسماء الجموع واسم الجنس :

الطويل

لجمع قليل في المكسر : أفعل
وأفعِلَة أفعال في كثرة فُعَل
وبالتا وفُعْل والفَعال فعولها
وبالتا هما الفَعال فعّل مع فِعل
وبالتا وفعلى ثم فعلى وافعلاء
فعلان فعلان فواعل مع فعل
فعاليّ فعّالى فعالى فعائل
ومع فعلاء فعلة هكذا نقل
فعالى وما ضاهى وزان فعاعل
وتمت ولاسم الجمع فعلة مع فعل
فعالة فعلان وفعلة مع فعل
وفعلاء مفعولاء مفعلة فعل

وبالخلف فعـل مع فعيـل وفعلـة
وبالفتح عيناً مع فعال فعل فعل
وقاعدة اسم الجنس ما جاء فرده
بيا أو بتـا والعكس في التاء قـل وقـل

التخـريج :

١ ـ الاشباه والنظائر ج٢ ص١٢٦ .

٦٥

قال في ارجوزته « خلاصة التبيان في علمي البديع والبيان » :

الرجـز

اللفْظُ إِنْ أُرِيدَ منـه الظاهـرُ
حقيقـةٌ مجـازُه مغايـرُ
لابـدَّ من علاقـةٍ تكـونُ
بينهمـا تقـرب أو تبـينُ
مثالُـه مقـالُ بعض العربـان
« صـار الثريدُ في رؤوس العيـدان »
أرادَ بالثـريدِ حَبَّ السُنْبُلَه
سماه بالشيءِ الذي يؤولُ لَـه
وفي الأعـمِّ جعلـوا مدارَه
كنايـةً تمثـيلاً اسـتعارَه
كنايـة أَنْ تثبت المعنـى لمـا
يكـونُ عن وجـوهـِه قد لزمـا

كقولهم : يتعبُ هنداً رِدْفُها
كمثل ما يريح دعداً عِطفها
وذا رمادُ قدره جليل
وذا نجادُ سيفهِ طويل
دلاًّ على الجودِ وطولِ القامه
كلاهما لذا وذا علامه
وربما يُنْسَبُ ما يراد
لشاملٍ لمن له المراد
نحو : رقاشُ الحُسْنُ في بُرْدَيها
وحبَّذا التفاحُ في خدّيها
والنحوُ واللُّغى لسيبويهِ
في قبةٍ مضروبةٍ عليه
تمثيله كنحو : إنّ بشرا
مُقَدِّمٌ رجلاً مؤخر اخرى
إذا يكونُ فعلُه تردُّدا
في فعلْه أو تركه ما قد بدا
ونحو لم يَبْرَح أَبو المناقبِ
يفتل في ذروته والغاربِ
إذا غدا مستسهلاً ما استصعبا
كيما ينال منه ما قد طلبا

وجعلك اسم مُشبهٍ عباره

عن مشبه ، ذلك الاستعاره

بشرط فقدانٍ أداةٍ للشَّبَه

وجعلَك الشيءَ لشيءٍ ليس له

نحو محت خطا الدجى كف الصباح

وقد جرى ريق الندى على الأقاح

التخريج :

١ ـ الارتشاف ص٣٤٠ ب .

٦٦

قال في قصيدته « عقد اللآلي في القراءات السبع العوالي » :

الطويل

وعشرةُ أفعالٍ تُمالُ لحمزةٍ

فجاء وشاءَ ضاق رانَ وكمَّلا

بزاد وخابَ طابَ خافَ معاً وحا

قَ زاغ سوى الأحزاب مع صادها فلا

ومنها :

تولّوا بأنفالٍ وهودٍ هما معاً

ونور وفي المحنة بهم قد توصلا

تنزّل في حجر وفي الشعرا معا

وفي القدر في الاحزاب لا آن تبدلا

تبرجْن مع تناصرون تنازعوا

تكلم مع تيمموا قبلهن : لا

تلقف أنى كان مَعْ لتعارفوا
وصاحبتيها فتفرّق حصلا
بعمران لا تفرقوا بالنساء أتى
توفاهم تخيرون له انجلا
تلهى تلقونه تلظى تربصو
ن ، زد ولا تعارفوا تميز تكملا
ثلاثين مع احدى وفي اللات خلفه
تمنون مع ما بعد ظلتم تنزلا
وفي بدئه خففْ وإنْ كان قبلها
لدى الوصل حرف المد مدّ وطولا

التخريج :

١ - البحر المحيط ج١ ص٥٩ ، وقد ذكر فيه البيتان الاولان ، أما الأبيات الاخرى فقد ذكرت في ج٢ ص٣١٧ .

انتهى بعونه تعالى

المصادر والمراجع

١ ـ ابن نباتة المصري · الدكتور عمر موسى باشا · القاهرة ١٩٦٣ ·
٢ ـ أبو حيان النحوي · الدكتورة خديجة الحديثي · بغداد ١٩٦٦ ·
٣ ـ الاحاطة في أخبار غرناطة · لسان‌الدين بن الخطيب الطبعة الاولى والثانية في القاهرة ·
٤ ـ أدب الدول المتتابعة · الدكتور عمر موسى باشا · بيروت ١٣٨٦هـ ـ ١٩٦٧م ·
٥ ـ الادب الصوفي في مصر في القرن السابع الهجري · الدكتور علي صافي حسين · القاهرة ١٩٦٤ ·
٦ ـ الادب المصري ـ الدكتور عبداللطيف حمزة · القاهرة ·
٧ ـ ارتشاف الضرب من لسان العرب · ابو حيان الاندلسي مخطوطة دار الكتب في القاهرة والمصورة المحفوظة في معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية ·
٧ب : أزهار الرياض في أخبار عياض · شهاب‌الدين المقري التلمساني · القاهرة ١٩٣٩م ·
٨ ـ الاشباه والنظائر في النحو · جلال‌الدين السيوطي · الطبعة الثانية حيدر آباد الدكن ١٣٥٩هـ ·
٩ ـ الاعلام · خير‌الدين الزركلي · الطبعة الثانية ـ القاهرة ١٣٧٦هـ ـ ١٩٥٦م ·
١٠ـ أعيان العصر وأعوان النصر · صلاح‌الدين بن أيبك الصفدي · مخطوطة دار الكتب في القاهرة ·
١١ـ البحر المحيط · أبو حيان الاندلسي · الطبعة الاولى ـ القاهرة ١٣٢٨هـ ·
١٢ـ بدائع الزهور في وقائع الدهور · محمد بن احمد بن اياس الحنفي المصري الطبعة الاولى ـ بولاق ـ القاهرة ١٣١١هـ ·
١٣ـ البداية والنهاية في التاريخ · عماد‌الدين أبو الفدا اسماعيل بن عمر ابن كثير · القاهرة ـ الطبعة الاولى ·
١٤ـ البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع · محمد بن علي الشوكاني الطبعة الاولى في القاهرة ١٣٤٨هـ ·
١٥ـ بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة · جلال‌الدين السيوطي · تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم · الطبعة الاولى في القاهرة ١٣٨٤هـ ـ ١٩٦٤ ·
١٦ـ تاج التراجم في طبقات الحنفية · قاسم بن قطلوبغا · بغداد ١٩٦٢م ·
١٧ـ تاريخ ابن الوردي · زين‌الدين عمر بن الوردي · القاهرة ١٢٨٥هـ ·
١٨ـ تاريخ الفكر الاندلسي · آنخل جنثالث بالنثيا · ترجمة الدكتور حسين مؤنس · الطبعة الاولى في القاهرة ١٩٥٥م ·

١٩ـ تحفة الانظار في غرائب الامصار • ابن بطوطة • القاهرة ـ ١٣٥٨هـ ـ ١٩٣٨م •
٢٠ـ جلاء العينين في المحاكمة بين الأحمدين • نعمان خيرالدين بن الآلوسي البغدادي • القاهرة ١٢٩٨هـ •
٢١ـ الحركة الفكرية في مصر في العصرين الايوبي والمملوكي الاول • الدكتور عبداللطيف حمزة • الطبعة الاولى ـ القاهرة •
٢٢ـ حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة • جلال‌الدين السيوطي ١٢٩٩هـ •
٢٣ـ الحلل السندسية في الأخبار والآثار الاندلسية • الأمير شكيب أرسلان • الطبعة الاولى في القاهرة ١٣٥٨هـ ـ ١٩٣٩م •
٢٤ـ الدارس في تاريخ المدارس • عبدالقادر بن محمد النعيمي الدمشقي • تحقيق جعفر الحسني • دمشق ١٣٦٧هـ ـ ١٩٤٨م •
٢٥ـ الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة • أحمد بن علي العسقلاني • الطبعة الاولى بحيدر آباد الدكن ١٣٥٠هـ •
٢٦ـ روضات الجنات ـ ميرزا محمد باقر الموسوي الخوانساري طبعة حجرية في ايران •
٢٧ـ سكردان السلطان • احمد بن يحيى بن أبي بكر الشهير بابن حجلة المغربي التلمساني •
٢٨ـ شذرات الذهب في أخبار من ذهب • عبدالحي بن العماد الحنبلي • القاهرة ١٣٥١هـ •
٢٩ـ شرح ديوان كعب بن زهير • طبعة دار الكتب في القاهرة ١٣٦٩هـ ـ ١٩٥٠م •
٣٠ـ شفاء الغليل فيما في كلام العرب من الدخيل • شهاب‌الدين احمد الخفاجي المصري • تحقيق محمد عبدالمنعم خفاجي • الطبعة الاولى ـ القاهرة ١٣٧١هـ ـ ١٩٥٢ •
٣١ـ الطالع السعيد • الادفوي • تحقيق سعد محمد حسن • القاهرة ١٩٦٦م •
٣٢ـ طبقات الاولياء • ابن الملقن • مخطوطة مكتبة الاوقاف العامة ببغداد •
٣٣ـ طبقات الشافعية • جمال‌الدين الاسنوي • مخطوطة مكتبة الاوقاف العامة في بغداد رقم ٩٧٠ •
٣٤ـ طبقات الشافعية الكبرى • تاج‌الدين عبدالوهاب بن تقي‌الدين السبكي • الطبعة الاولى في القاهرة •
٣٥ـ عصر سلاطين المماليك • الدكتور محمود رزق سليم • القاهرة ١٩٦٥ •
٣٦ـ غاية النهاية في طبقات القراء • شمس‌الدين أبو الخير محمد بن محمد الجزري • القاهرة ١٣٥٢هـ ـ ١٩٣٣ •
٣٧ـ الغيث المنسجم في شرح لامية العجم • صلاح‌الدين بن أيبك الصفدي • القاهرة ١٢٩٠هـ •

٣٨ـ فوات الوفيات · محمد بن شاكر بن احمد الكتبي · تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد · القاهرة ١٩٥١م ·
٣٩ـ القاموس المحيط · مجدالدين الفيروزابادي ·
٤٠ـ الكتيبة الكامنة في من لقيناه بالاندلس من شعراء المائة الثامنة · لسان الدين بن الخطيب · تحقيق الدكتور احسان عباس · بيروت ١٩٦٣م ·
٤١ـ الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل · محمود بن عمر الزمخشري · الطبعة الثانية في القاهرة · ١٣٧٣هـ ـ ١٩٥٣م ·
٤٢ـ كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون · الحاج خليفة مصطفى بن عبدالله · استانبول ١٣٦٠هـ ـ ١٩٤١م ·
٤٣ـ لسان العرب · ابن منظور المصري ·
٤٤ـ المختار من صحاح اللغة · محمد محيي الدين عبدالحميد ومحمد عبداللطيف السبكي · الطبعة الثالثة في القاهرة ·
٤٥ـ المختصر في اخبار البشر · عمادالدين اسماعيل أبو الفدا · الطبعة الاولى في القاهرة ·
٤٦ـ مفتاح السعادة ومصباح السيادة · احمد بن مصطفى المعروف بطاش كبرى زاده · الطبعة الاولى في حيدرآباد الدكن ١٣٢٨هـ ·
٤٧ـ الممتع المقتضب في سيرة خير العجم والعرب · شهاب الدين الشافعي المقدسي · مخطوطة المكتبة الظاهرية في دمشق (٧ سيرة) ·
٤٨ـ من شعر أبي حيان الاندلسي · جمعه وحققه الدكتور احمد مطلوب والدكتورة خديجة الحديثي · بغداد ١٩٦٦ ·
٤٩ـ منهج السالك في الكلام على الفية ابن مالك · أبو حيان الاندلسي · تحقيق سدني جليزر · نيوهافن ١٩٤٧م ·
٥٠ـ المنهل الصافي · جمال الدين أبو المحاسن يوسف بن تغري بردى الاتابكي · مخطوطة دار الكتب في القاهرة ·
٥١ـ النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة · جمال الدين أبو المحاسن يوسف بن تغري بردى الاتابكي · دار الكتب في القاهرة ١٣٦١هـ ـ ١٩٤٢م ·
٥٢ـ نظرات في ديوان أبي حيان الغرناطي · بحث للاستاذ سعيد أعراب نشر في مجلة دعوة الحق المغربية (العدد الخامس ابريل ١٩٦٧ والعدد السادس مايو ١٩٦٧) ·
٥٣ـ نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب · أحمد بن محمد المقري التلمساني · تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد · القاهرة ١٣٦٨هـ ـ ١٩٤٩م ·
٥٤ـ نكت الهميان في نكت العميان · صلاح الدين خليل بن ايبك الصفدي · القاهرة ١٣٢٨هـ ـ ١٩١١م ·

٥٥ـ النهر الماد من البحر المحيط ، أبو حيـان الاندلسي • مطبوع على حاشية البحر المحيط •
٥٦ـ هدية العارفين • اسماعيل باشا البغدادي • استانبول ١٩٥٥م •
٥٧ـ الوافي بالوفيات • صلاح الدين بن أيبك الصفدي • مصورة مخطوطة المتحف البريطاني (محفوظة في المكتبة المركزية بجامعة بغداد) •

الفهارس

الموضوعات

ديـوان

أبي حيان الاندلسي

١٠٣ ـ ٤٢٠

تكملة الديوان

٤٢١ ـ ٥٠٦

قصائد الديوان

الهمزة

البـاء

التـاء

(*) رتبت هذا الفهرس حسب رقم القصيدة فأولها فقافيتها فوزنها فرقم الصفحة .

الثـاء

الجيم

الحـاء

الخـاء

الدال

الذال

الراء

الشين

الصاد

الضاد

القاف

الكاف

اللام

الميم

النون

الهـاء

الواو

اليـاء

تكملة الديوان

الهمزة

البـاء

التـاء

الثـاء

الحـــاء

الدال

الراء

الأشعار*

الهمزة

البـــاء

الجيم

الدال

الراء

(*) هي ما ورد في الديوان لغير أبي حيان ، وقد رتبت حسب اول البيت فقافيته فوزنه فقائله فرقم الصفحة .

الميم

صنائع	النعما	السريع	يونس المغربي	٤٥١،٥٣

النون

لو كنت	حيني	البسيط	الصفدي	٢٥

الهـاء

رضيت	وجيها	الطويل	الزجاج	١٣

اليـاء

قلدت	بهي	الكامل	الذهبي	٤١٦
لولا	الدنيا	السريع	القيسي	٤١٧
فخراً	علي	الكامل	مظفر	٤١٧

الأعلام

الهمزة

البـــاء

التاء

الجيم

الحـاء

الخـاء

الدال

الـدال

الـراء

الـزاي

السين

الشين

الصاد

الطاء

العين

الفـاء

القاف

اللام

الكاف

الميم

النون

الهاء

الياء

الألف

الهمزة

البـاء

التـــاء

الجيم

الحـــاء

الخـــاء

الدال

الـــراء

الزاي

السين

الشين

الصاد

الطـاء

العين

الغين

الفـاء

القاف

الكاف

اللام

الميم

النون

الهـاء

الواو

الأماكن

الخطأ والصواب

الخطـأ	الصواب	الصفحـة	السطر
تضخم	تفخيم	٢٧	١٧
كمتلي	كمثلي	٩٣	١٧
سالح	سابح	١٥٢	١٦
كيـد	كبـد	١٥٦	١٣
فاحمة	فاحمه	١٧٥	١٠
فتكحلَ	فتكحلُ	١٧٩	١٨
تلبسَ	تلبسُ	١٧٩	١٨
نابيات	نانيات	١٩٨	٩
فيدوور	فيدور	١٩٩	٣
تلت	تلت	٢٠١	١٥
يَرى	يُرى	٢٢٢	٩
العذرة	الشعر المضفور	٢٣٢	هامش ٦
االاسي	الاسى	٢٣٦	١٢
مضى	لعله (معنى)	٢٤١	١٦
العذرة	الشعر المضفور	٢٤٦	هامش ٢
فواده	فوداه	٢٦٣	٤
الحرم	الرحم	٢٦٨	١٤
أنوكِ	أنوكَ	٣٢٣	١٢
١٦٩	١٦٨	٣٢٩	٥
١٦٨	١٦٩	٣٢٩	١٦
مدائحم	مدائحهم	٣٣١	٤
امتعظت	امتعضت	٣٤٧	١٠
قلة	قبلة	٣٥٨	١
يجفلن	يحفلن	٣٦١	١٣
أوحشت	أُحشّت	٣٧٠	٥
يَقضَون	يُقضَّون	٣٨٤	١
النشع	النفع	٣٩٦	١٥
(١)	(٥)	٤٠٣	١٧
(٢)	(١)	٤٠٤	هامش ١
الناضر	الناظر	٤١٤	٣
١	٢	٤٢٧	١٧
١	٢	٤٢٧	هامش ٢
وذكر ان	تحذف هذه العبارة لانها في غير مكانها	٤٦٠	٥
ـــ	تضاف الى هامش (١) هـذه العبارة : «كع : جبن وتاخر» .	٤٦٨	هامش ١

ملاحظة :

صور معهد المخطوطات العربية بجامعة الدول العربية نسخة الديوان الفريدة من المكتبة الوطنية بالرباط في مراكش ، وهي التي عثر عليها في مكتبة وزان .

انتهى طبع ديوان أبي حيان في ٣٠ مايس ١٩٦٩ ومن الله التوفيق .